العقود الفضية

في

أصول الإباضيّة

تأليف

الشيخ العلامة

سالم بن حمد بن سليمان الحارثي

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



حقوق الطبع محفوظة
لوزارة التراث والثقافة
سلطنة عُمان

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

رقم الايداع المحلي : ٢٠١٦/٧٥٠

رقم الايداع الدولي : ٣-٨٥٨-٠-٩٩٩٦٩-٩٧٨

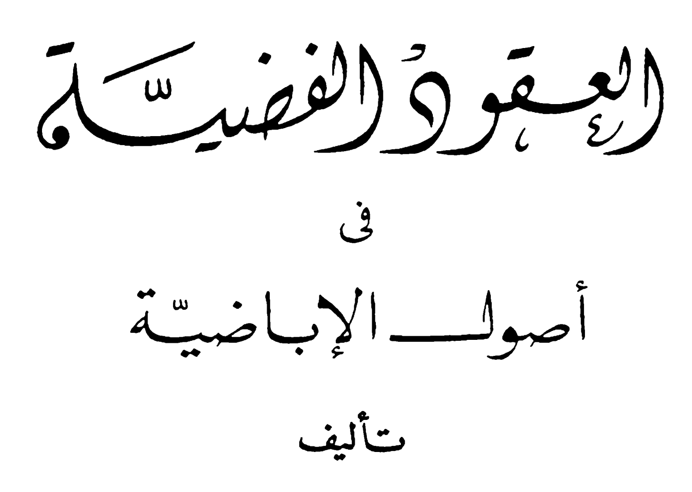
سلطنة عُمان - ص.ب : ٦٦٨ مسقط ، الرمز البريدي: ١٠٠

هاتف: ٢٤٦٤١٣٠٠/ ٢٤٦٤١٣٢٥، فاكس: ٢٤٦٤١٣٣١

البريد الإلكتروني: info@ mhc.gov.om

موقع الوزارة على الإنترنت: www.mhc.gov.om

لا يجوز نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب في أي شكل من الأشكال أو بأية وسيلة من الوسائل - سواء التصويرية أو الإلكترونية، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي أو سواه وحفظ المعلومات واسترجاعها - إلا بإذن خطي من الوزارة.



تأليف

الشيخ العلامة/ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي

مراجعة

إبراهيم بن محمد العساكر

الطبعة الثانية

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م


بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــة الكتـــاب

الحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام، وشرَّفنا بكتابه العزيز الذي أُنزل فيه ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

والصلاة والسلام على رسوله المصطفى ونبيه المجتبى، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وعلى آله وأصحابه أنوار الظلام وقادة الأنام إلى الهدى، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيام ، أما بعد:

فإن من حكمة الله في خلقه أن ابتلاهم بالخير والشر والطاعة والمعصية ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ الأنبياء: ٣٥, وجعل كتابه منه المحكم ومنه المتشابه ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾آل عمران: ٧ فافترقت الأمة على مذاهب، وكل مذهب يرى أنه المحق وغيره المبطل، فمنهم المقلد ومنهم المجتهد، ومنهم المبالغ في التعصب لمذهبه ومنهم المتساهل الذي يلتمس الحق حيثما وجده ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾النساء: ٨٣ فهذا كتاب الله وسنة رسوله المجمع عليها بين أيديهم، وكان الواجب الرجوع إليهما والتماس العذر لمن يحتمل له العذر وترك القدح والتخطئة لمن يحتمل الخلاف والعذر في قوله، ولكن قدر الله سابق وحكمه نافذ ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ ﴾ هود: ١١٨ - ١١٩.

ثم إن من جملة المذاهب الإسلامية مذهب الاباضية المعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس فيما لم يرد فيه نص، وقد طلب مني كثير من المشايخ والإخوان أن أكتب نبذة من سيرتهم وطائفة من نشأتهم، وإن كنت لست أهلا لذلك، وفي المذهب رجالٌ هم أولى مني بذلك، ولكن امتثالا لمن طلب وموافقة لمن رغب وتقربا إلى الله في تحرير العلم ودفع الظلم أقول متبركا بالرسول وأصحابه الفحول وقد تخيرت من الروايات أصحها ومن الأقوال أرجحها، وأصبح اليوم الناس وعندهم حرية في القول والتفكير، ويعطون القضايا حكمها غير منقبعين تحت رأي فلان وتفكير فلان.

شمر وكن في أمور الدين مجتهداً ولا تكن مثل عير قيد فانقادا
من يعرف الرجال بالحق فلا تلقاه في الأمور إلا بطلا

وهذا المذهب أقدم المذاهب تأسيسًا، وعلماؤه أكثرهم تأليفًا، فهم أول من دون تفسير القرآن، وأول من دوَّن الحديث، وأول من دوَّن الفقه، والله حسبي ونعم الوكيل، منه المبدأ وإليه الرجعى، وله الحمد في الآخرة والأولى، نعم المولى ونعم النصير.

الباب الأول

في ذكر شيء من حياة النبي (ص) وخلفائه الراشدين

الباب الأول في ذكر شيء من حياة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن حكيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانه بن خزيمه بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

هذا ما أجمع عليه المؤرخون في نسبه ﷺ وأنه متصل بالنبي إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وروى عنه ﷺ "أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" وأجمع المسلمون على أنه ﷺ أفضل المخلوقات على الإطلاق من ملائكة وجن وإنس وغيرهم. وأمّهُ : آمنةُ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن حكيم، تجتمع مع أبيه في "حكيم"، توفيت وهو ابن ست سنوات، وتُوفي أبوه وهو في بطن أمه.

ولد بمكة ليلة الاثنين عند الفجر، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، وفيها يحسن الاحتفال بمولده الشريف وإكثار الصلاة والسلام عليه، وذلك بعد مقدم الفيل بشهر (عام ٥٧٠ ميلادية بالعشرين من شهر أيلول) حملت به أمّهُ يوم الاثنين، ووضعته ليلة الاثنين، وهاجر من مكة يوم الاثنين، ووصل المدينة يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وكان من مبعثه إلى أن دخل المدينة مهاجرًا ثلاث عشرة سنة كاملة، ومكث بالمدينة عشر سنين وشهرين، إلى أن مات سنة أربع وستين من عام الفيل، وسنة ستمائة وثلاثة وثلاثين للميلاد، هذا ما اختاره بعض المحققين. وروى الربيع بن حبيب في المسند (الذي هو عمدة الإباضية) أبو

عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك، قال: "كان رسول الله ﷺ ليس بالطويل الباين، ولا بالقصير المتطامن، ليس بالأمهق، ولا بالآدم، وليس بالجعد القطط ولا بالسبط، بعثه الله على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا وتوفاه الله، وهو ابن ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء" قال الربيع: القصير المتطامن أقصر ما يكون، والأمهق الشديد البياض.

قلت: والآدم: شديدُ السمرة، والجعد القطط: منقبض الشعر شديد الالتواء.

وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب صُحارية، رواه ابن هشام في السيرة، فكان من شرف عُمان أن كُفِّن رسولُ الله ﷺ في أثواب صُحارية (نسبة إلى صُحار إحدى عواصم عمان المشهورة من بلدان الأباضية).

قال ياقوت في معجم البلدان: صحار قصبة عمان مما يلي الجبل وتوأم (قلت: هي واحة البريمي) قال: قصبتها مما يلي الساحل، وصحار مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه، مبنية بالآجر والساج، كبيرة ليس في تلك النواحي مثلها، وقيل: إنما تلك النواحي مثلها، إنما سميت بصحار بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أخو رباب وطسم وجديس. قال اللغويون: إنها تلي الجبل، وقال البشارى: صحار قصبة عمان، ليس على بحر الصين بلد أجل منه، عامر آهل حسن طيب نزه، ذو يسار وتجار وفواكه، أجل من زبيد وصنعاء وأسواق عجيبة وبلدة ظريفة ممتدة على البحر، دورهم من الآجر والساج، شاهقة نفيسة، والجامع على الساحل، له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق، ولهم آبار عذبة وقناة حلوة، وهم في سعة من كل شيء، وهو (يعني صحار) دهليز الصين، وخزانة الشرق والعراق، ومغوثة اليمن. والمصلى وسط النخيل،

ومسجد صحار على نصف فرسخ، وثمة بركت ناقة رسول الله ﷺ ومحراب الجامع بكوكب يدور فتارة تراه أصفر وتارة أحمر وأخرى أخضر. هكذا قال ياقوت، ولست أدري كيف كان بروك الناقة. قال المؤلف: قلت: لعل هذه الناقة هي ناقة عمرو بن العاص رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ إلى عُمان؛ حيث وصلها يدعوهم إلى الاسلام، وكانوا أسرع الناس إجابةً لداعي الله. وهذا الوصف لصحار ينطبق عليها في زمان الإمام غسان بن عبدالله ومن بعده من الأئمة، وقد تمَّ عقدُ بيعته في العشر الأواخر من آخر القرن الثاني من الهجرة، وقد كان له أسطول بحري مهم جدًا، وخصبت عمان في زمانه، وكثرت الخيرات فيها، وعمت البركات في نواحيها وإلى وقت غير بعيد. وعمان يصدر منها إلى الخارج السمن والثوب وأنواع كثيرة من المنتوجات العديدة، ونرجو بحياة هذا الشاب النشط المخلص لأمته ووطنه قابوس بن سعيد سلطان عمان أن يعيد إلى البلاد سعادتها الدينية ورفاهتها الدنيوية وما ذلك على الله بعزيز. وإنما وقع خراب على صحار في زمان الإمام الصلت بن مالك سنة إحدى وخمسين ومائتين بسيول مجحفه نزل عليها وادي صلان واعتمرت بعد ذلك.

(فائدة) نذكر ما نزل في القرآن مطابقًا للغة أهل عمان: الصاعقة: الموتة بلغة أهل عمان. خبالا: غيا بلغة أهل عمان. نفقا: سِربًا بلغة أهل عمان. أعصر خمرا: عنبا بلغة أهل عمان. دار البوار: الهلاك بلغة أهل عمان. قومًا بورًا: هلكا بلغة أهل عمان. حيث أصاب: أراد بلغة أهل عمان. إن المجرمين في ضلال وسعر: السعر الجنون بلغة أهل عمان.

كان العرب بعمان على الدين المسيحي، ولما دخل عمرو بن العاص رسول رسول الله ﷺ على جيفر بن الجلندى الأزدي ملك عمان قال له: هل تعلم أن عيسى كان يعبد الله؟ قال: نعم، قال: أدعوك إلى عبادة من كان يعبد عيسى، فأسلم، وأسلم أهلُ عمان، وحسُن إسلامُهم.

فصل خلافة

أبي بكر الصديق

فصل خلافة أبي بكر الصديق

هو أبو بكر الصدّيق عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهنا يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ. أجمع الصحابة على أنه أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، قال بعض المفسرين: عاتب الله أهل الأرض كلهم إلا أبا بكر في قوله تعالى ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ التوبة: ٤٠ بعد قوله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ﴾، واتفق المحققون على أنه أفضل الصحابة.

ولد بعد الفيل بسنتين وستة أشهر، وكانت وفاته يوم الاثنين لثمان بقين من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة للهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، أجمع الصحابة على استخلافه، وتخلف عن بيعته سعد بن عبادة وعلي بن أبي طالب، وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ مات وأبو بكر بالسنح[1]، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبَّله ثم قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رَسلك، فلمَّا تكلَّم أبو بكر جَلَس عمر، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإنَّ محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت، وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الزمر: ٣٠ وقال:

---

[1]) بستان له بالعالية ، كان يخرج لإصلاحه خارج المدينة.

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٤ قال: فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: مِنَّا أميرٌ ومنكم أمير، فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أنِّي قد هيأت كلامًا قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل! منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا فبايعوا عمرًا وأبا عبيدة، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذه عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله. وقال مسلم عن عائشة: إن عليًّا بايعَ أبا بكر بعد موت فاطمة رضي الله عنها، وذلك لَمَّا فقد وجوه الصحابة الذين كانوا يزورونه في حياتهم وحسنت حاله بعد ذلك وسيرته.

وأما سعد فقد خرج إلى الشام وتوفي بها، وانتشرت الأعراب بل وجميع العرب على أبي بكر وارتدوا على أعقابهم، ولم يبقَ إلا البعض متمسكًا بإسلامه، ولكن الصديق لبس للمرتدين جلد النمر، وتصلَّب في وجوههم، ولم يكن المرتدّون بأشد عليه من أصحاب رسول الله ﷺ في اعتراضهم عليه في قتالهم، وأشدّهم عمر بن الخطاب ﷺ، ولكنه ظهر جوهر الصدّيق وصلاحيتُه للخلافة؛ حيث

انتصب في مواقف، أهمها: أن وجد الصحابة محتارين بعد ما فاضت الروح الشريفة الطاهرة، فخطب الخطبة التي ذكرناها، ثانيًا: اختلافهم في دفن الجثمان الشريف، فروى لهم أن الأنبياء يُدفنون في المواضع التي قُبضوا فيها. ثالثًا: في قتال أهل الردة؛ حتى كشّر في وجه عمر ﷺ بقوله: أَجَبّارٌ في الجاهلية وخَوَّارٌ في الإسلام يا عمر؟! رابعًا: في بعث جيش أسامة الذي كان قد بعثه رسول الله ﷺ إلى الشام. خامسًا: في ميراث أقارب النبي ﷺ حيث روى «نحن معاشر الأنبياء لا نورث» وكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر فيما قيل. وله أخبار وأحوال وآثار مع رسول الله ﷺ لا يطمع فيها غيره، ولا تنال إلا بفضل الله؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «أرحمُ أمتي بأمتي أبو بكر». سماه الله صديقا ومتقيا حيث قال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣ واستخلفه رسول الله ﷺ في الصلاة (وهي عماد الدين) وغيره مأموم، كما قال الإمام علي بن أبي طالب: «رضيك رسول الله لديننا ورضيناك لدنيانا» رواه أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (من علماء الإباضية في القرن السادس من أهل وارجلان بالجزائر) وقال الإمام الثبت العالم الجليل محمد بن محبوب العماني (من علماء القرن الثالث للهجرة) ثبت عندي أنه نزل في أبي بكر ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴾ الليل: ٥ - ٦ الآيات. قلت: وفي القرآن والسنة كثيرٌ من فضائله وفواضله لا يسع حصرها، وله أقوال يقال إنها خاصة به، وهي: سَبيُ المرتد وإنفاذُ الوصية بالرؤيا.

لما توفي رسول الله ﷺ خرج عمرو بن العاص بأعيان أهل عُمان إلى المدينة، ولما اجتمعوا بأبي بكر الصديق قام فيهم خطيبًا فقال -بعد أن حَمِدَ الله وأثنى

عَلَيه-: "معاشرَ أهلِ عُمانَ، إنَّكُم أَسْلَمتم طَوعًا لَم يطأ رَسولُ الله ساحتَكم بِخُفٍّ ولا حَافرٍ، ولا جشمتموه ما جشمه غيركم من العرب، ولم ترجعوا معها بفرقة ولا تشتت شمل، فجمع الله على الخير شملكم ثم بعث إليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح، فأجبتموه إذ دعاكم على بُعد داركم، وأطعتموه إذ أمركم على كثرة عددكم وعُدتكم، فأي فضلٍ أبر من فضلكم، وأي فعل أشرف من فعلكم، كفاكم قول رسول الله ﷺ شرفًا إلى يوم المعاد، ثم أقام فيكم عمرو ما أقام مُكرَّمًا، ورحل عنكم إذ رَحَل مُسلَّمًا، وقد منَّ الله عليكم بإسلام عَبْد وَجَيفَر ابني الجُلندى، وأَعزكم الله به، وأعزه بكم، وكنتم على خيرِ حالٍ حتى أتتكم وفاةُ رسولِ الله ﷺ فأظهرتم ما يُضاعِفُ فَضلَكم، وقُمتم مقامًا حَمِدناكم فيه، ومَحضتم بالنصيحة، وشاركتم بالنفس والمال، فيثبت الله ألسنتكم ويهدي قلوبكم، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظني فيكم".

فصل خلافة

عمر بن الخطاب

فصل خلافة عمر بن الخطاب

هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العز بن قرط بن رياح بن عبدالله بن رزاح بن عدي بن كعب، وهنا يلتقي نسبه بالنبي ﷺ، وكنيته: أبو حفص، ولقبه: الفاروق. ولد بعد رسول الله ﷺ بثلاث عشرة سنة، وأسلم قبل الهجرة بأربع سنوات، فما زال الإسلام منذ أسلم في تقدم حتى مات، أحيا الله به سننًا كثيرةً، وأمات على يديه بدعًا كثيرة، وفتحَ على يديه ما يلي جزيرة العرب من العراق والجزيرة والشام ومصر وطرابلس وفارس وكرمان، استخلفه أبو بكر على الناس، وكتب الاستخلاف عثمان بن عفان، ورضي به جميع المهاجرين والأنصار، فعدل في القضية وقسم بالسوية وتصلب عند الرزية، كان أول مَن أمرَ بقيام شهر رمضان، وأول من دوَّن الديوان، وأول من سمي بأمير المومنين، وأول من مصر الأمصار، وأول من جعل أول التاريخ بالهجرة، وأول من أعال الفريضة، وأول من جمع الناس على أربع تكبيرات في الصلاة على الميّت، وأول من جعل الطلاق بثلاث فأكثر في لفظة واحدة ثلاثا، وأول من جعل جلد السكران ثمانين، وأول من قَسَم الفيئ بالتفصيل وكان قسمه بالسوية، وأول من اتخذ المزكين في الشهادة، وأول من اتخذ بيت المال، وله أقوال وآراء يقال إنها خاصَّة به؛ منها: إسقاط خُمس ذوى القربى الثابت في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الأنفال: ٤١ ، ومنها إسقاط حق المؤلفة قلوبهم الثابت في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ التوبة: ٦٠ ، ومنها إسقاط القطع عن السارق عام الرَّمَادة الثابت في قوله تعالى ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا﴾

المائدة: ٣٨ ، ومنها ترك أخذ الزكاة من الناس عام الرَّمَادة وأخذها في العام الثاني الثابت في قوله ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ الأنعام: ١٤١ ومنها أنه أعتق أمهات الأولاد على أربابها وقد ثبت رقهن في زمان النبي ﷺ وأبي بكر، ومنها: إسقاط اسم الجزيه والذلة عن نصارى تغلب الثابت في قوله تعالى ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ التوبة: ٢٩ ، ومنها رد الأملاك والأصول من الفيء إلى أربابها بعد أن حازتها جيوش المسلمين وأعتقهم على المسلمين بعد أن كانوا عبيدًا لهم الثابت في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ الأنفال: ٤١ ومنها: اجلاؤه اليهود من الحجاز والنصارى من فَدَك، وكانوا بها زمان النبي ﷺ وأبي بكر ؓ على العهد، وكل هذا آراء ثاقبة وأنظار صائبة ينظر إلى مصلحة أعم وفائدة أتم.

روى العلامةُ الشَّمَّاخِيُ في كتاب السِّيَرِ (وهو من علماء الإباضية من ليبيا) عن علي بن أبي طالب: ما خَلَّفتَ أَحَدًا أَحَبَّ [إِلَيَّ] أن أَلقَى اللهَ بِمثلِ عَمَلِه مِنكَ- يُخاطب عمر وهو على النعش- وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: إني لواقفٌ في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب، وقد وضع على سريره، إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك؛ لأني كثيرًا ما كنت أسمع رسول ﷺ يقولُ: كنتُ وأبو بكر وعمر، وفعلتُ وأبو بكر وعمر، وانطلقتُ وأبو بكر وعمر، فإن كنتُ لأرجو ان يجعلك الله معهما، فالتفتُ فإذا هو علي بن أبي طالب. هذا

وكم من الآيات العديدة النازلة على لسان عمر موافقة لما يقوله حتى قال رسول الله ﷺ: لو نزلَ عذابٌ من السماء ما نجا منه إلا عمر. وتُوفي لسبع بقين من ذي الحجة تمام ثلاث من طعنة أبي لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، بعدما كبَّر لصلاة الصبح إماما للجماعة، ودفن مع صاحبيه رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة، فكان سنه وسن أبي بكر وسن رسول الله ﷺ متفقا، ومدفنهم في حجرة عائشة زوج النبي ﷺ فأبو بكر خلف رسول الله وعمر خلف أبي بكر، فلله ذلك المثوى، ولله تلك الأجساد، ولله تلك الأرواح، ولله ذلك الاجتماع، ولله تلك المزية، وكانت مدة خلافة عمر عشر سنين وثلاثة أشهر فيما قيل.

استعمل عمر بن الخطاب على عُمان عثمانَ بنَ أبي العاص الثقفي سنة خمس عشرة، فكتب إليه أن يقطع البحر إلى كسرى بفارس، فندب عثمانُ العمانيين وانتدب إليه ثلاثة آلاف من راسب وناجية وعبد القيس وأكثر أزد شنوءة، فعبر بهم عثمانُ من جلفار (رأس الخيمة) إلى جزيرة كلوان (القسم) وكان فيها قائد الفرس فسالم عثمانَ، وكتب يزدجرد إلى أمير كرمان: أن اقطع البحر إلى جزيرة كلوان فَحُل بين العرب الذين بها وبين إخوانهم، ففعل وسار من هرمز إلى القسم، فلقيه عثمان بها فقاتله، فانتصر العمانيون عليه وهزم الفرس وقتل قائدهم، وكان يدعى (شهرك) وفي ذلك يقول شاعرهم:

باب ابن ذى الحرة اردى شهركا   والخيل تحتاب العباب الارمكا

ثم ساروا بعد الظفر بشهرك حتى قدموا العراق فنزلوا توج فشاركوا في تمصير مدينة البصرة، وأمرهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يبنوا بها منازلهم كما أمر

غيرهم من العرب، ووفد إليه من الغزاة كعب بن سور فاستقضاه عمر على البصرة، وفي هذا ما يدل أن عمر أول خليفة قطع البحر غازيا، ولعله بدا له بعد ذلك المنع.

فصل خلافة

عثمان بن عفان

فصل خلافة عثمان بن عفان

هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وهنا يلتقى نسبه بالنبي ﷺ، وُلد بعد النبي ﷺ بست سنين، كان يُلقب بذي النُّورين؛ وهما: رقية وأم كلثوم ابنتا النبي ﷺ تزوجهما واحدة بعد الأخرى.

جعل عمر بن الخطاب الأمر بعده شورى بين ستة من أصحاب النبي ﷺ: عثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، فجعلوا الاختيار إلى عبد الرحمن لَمَّا تنازل عن حقه في الخلافة فاختار عثمانَ بعد مشاورة طويلة مع الصحابة، كان عثمان ألينهم وأطيبهم وأحبهم وأكرمهم، وتمت البيعة له في اليوم الثالث من شهر محرم عام أربعة وعشرين للهجرة، وكثر في الناس الرعاف حتى سمي هذا العام بعام الرعاف، وكان فألا للمسلمين، سلك عثمان مسلك صاحبيه قدمًا في الجهاد وفتح الثغور، فافتتح ما وراء الدروب من الشام والماهان وأذربيجان وخراسان بعد الري وحلوان وسجستان وأفريقية، وكانت الفتوح هكذا متوالية في أطراف الأرض حتى وقع ما وقع من الافتراق والشقاق.

قال ابن الأثير والطبري وغيرهما من المؤرخين: أول ما تكلم الناس في عثمان أن أتمَّ الصَّلاةَ بمنى وعرفة، فكان أول ما تكلم الناس به في عثمان ظاهرا، فعاب ذلك غيرُ واحد من الصحابة؛ وقال له علي: واللهِ ما حدث أمر ولا قدم عهد، ولقد عهدت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر يصلون ركعتين وأنت صدرا من خلافتك؛ فما أدري ما ترجع إليه؟ فقال: رأي رأيته. وبلغ الخبر عبد الرحمن بن عوف، وأنكر عليه بأشد من ذلك، وكذلك حكوا عن ابن مسعود، واعتذر عثمان

بأعذار، فقال له عبد الرحمن: ما في هذا لك عذر، وذكر ابن الأثير أيضًا حديث الوليد وشربه الخمر، وهو عامله على الكوفة وتبديله ولاة عمر بأقاربه وبني عمه، وانتشار الصحابه وأهل الغيرة عليه نصحًا وتداركًا، ومنهم ابن مسعود وأبو ذر وعمار بن ياسر وعبد الرحمن بن عوف وعلي بن أبي طالب، وذكر ابن الأثير حديث أبي ذر وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وسب معاوية إياه وتهديده بالقتل وحملَه إلى المدينة من الشام بغير وطاء ونفيَ عثمان له من المدينة إلى الربذة على الوجه الشنيع، وهذه فقرة أنقلها من ابن الأثير، وهي مطابقة لما في الطبري وغيرها من كتب التاريخ المعتذرة لعثمان والمخطئة له، وأكتب ما اتفقوا عليه وأترك ما اختلفوا فيه.

قال: في هذه السنة (يعني سنة أربع وثلاثين) تكاتب نفر من أصحاب رسول الله ﷺ وَغيرهم بعضهم إلى بعض أن اقدموا فإن الجهاد عندنا، وعظم الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وليس أحد من الصحابة ينهى ولا يذب إلا نفر منهم: زيد بن ثابت وأبو أسيد الساعدي وكعب بن مالك وحسان ابن ثابت، فاجتمع الناس فكلَّموا علي بن أبي طالب، فدخل على عثمان فقال له: الناس ورائي، وقد كلَّموني فيك وما أدري ما أقول لك، ولا أعرف شيئًا تجهله، ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما أعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيتَ وصحبتَ رسول الله ﷺ، وسمعت منه، ونلت صهره، وما ابن أبي قحافة بأولى بالعمل منك بالحق، ولا ابن الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وأنت أقرب إلى رسول الله ﷺ رحمًا، ولقد نِلت من صهر رسول الله ﷺ ما لم

ينالاه, وما سبقاك إلى شيء، فاللهَ اللهَ في نفسك، فإنك والله ما تُبَصّرُ من عَمَى, ولا تُعلّمُ من جَهَالَة, وإنَّ الطريق لواضحٌ بيّنٌ وإنَّ أعلامَ الدينِ لقَائِمةٌ، اعلم يا عثمان أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هَدى وهُدِي، فأقامَ سُنةً معلومةً وأماتَ بِدعةً متروكةً، فواللهِ إنَّ كُلاً لَبَيِّنٌ وإنَّ السُّنَنَ لقائمةٌ لها أعلامٌ، وإنَّ البِدعَ لقائمةٌ لها أعلامٌ، وإنَّ شرَّ الناسِ عندَ اللهِ إمامٌ جائرٌ ضَلَّ وأضَلَّ، أماتَ سُنَّةً مَعلومةً وأحيَا بِدعةً متروكةً، وإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: يُؤتَي يومَ القيامةِ بالإمامِ الجائرِ وليسَ معهُ نَصيرٌ ولا عاذرٌ فيُلقَى في جهنم فيدورُ في جهنم كمَا تدورُ الرَّحَى ثم يرتَطِمُ في غَمرةِ جهنمَّ وإني أُحذِّرُكَ اللهَ وَسَطوَاتِهِ ونقمَاتِهِ؛ فإنَّ عذابَه شديدٌ أليمٌ، وأُحذِّرُكَ أَن تكونَ إمامَ هذه الأمةِ يُقتل فيفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها ويتركها شيعا لا يبصرون الحق لعلو الباطل، يموجون فيها موجًا ويمرجون فيها مرجًا. فقال عثمان: قد علمتُ واللهِ لتقولَنَّ الذي قلتَ، أَمَا واللهِ لو كنتَ مَكَاني مَا عَنَّفتُكَ وَلا أَسلمتُكَ ولا عِبتُ عَليكَ، ولا جئتُ مُنكِرًا أَن وصلتَ رحمًا وسددتَ خُلةً وآوايتَ ضَائِعًا ووَلَّيتَ شبيهًا بمن كان عمرُ يُولى، أُنشدك اللهَ يَا علي، هل تعلم أن المغيرةَ بنَ شُعبةَ ليس هناك؟ قال: نعم، فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم، قال: فَلِمَ تَلُومني أن وَلَّيتُ بنَ عَامر في رحمه وقرابته؟ قال علي: إنَّ عمرَ كان يَطأ على صماخ من ولّى إن بلغه عنه حرف جلبه، ثم بلغ به أقصى العقوبة، وأنت لا تفعل، ضَعُفت ورققت على أقربائك، قال عثمان: وهم أقرباؤك، قال عثمان: هل تعلم أن عمر ولى معاوية، فقد وليته، فقال علي: أنشدك الله هل تعلم أن معاوية كان أخوف لعمر من برفاء غلام عمر له، قال: نعم، قال علي: فإن معاوية يقتطع الأمور دونك ويقول للناس: هذا أمر عثمان، وأنت تعلم ذلك

فلا تغير عليه. ثم خرج علي من عنده، وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر ثم قال: أما بعد فإن لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإن آفة هذه الأمة وعاهة هذه النعمة عيابون طعانون يرونكم ما تحبون ويسترون عنكم ما تكرهون، يقولون أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحب مواردهم إليهم البعيد لا يشربون إلا نغصًا، ولا يَرِدون إلا عكرا، يقول لهم رايدٌ وقد أعيتهم الأمور، ألا فقد والله عبتم عليّ ما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنه وطأكم برجله وضربكم بيده وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم وكرهتم، ولنت لكم وأوطأتكم كتفي وكففت يدي ولساني عنكم فاجترأتم علي، أما والله لأنا أعز نفرا وأقرب ناصرا وأكثر عددًا وأحرى إن قلت هلم أتى إلي، ولقد عددت لكم أقرانا وأفضلت عليكم فضولا وكشرت لكم عن نابي وأخرجتم مني خلقا لم أكن أحسنه ومنطقا لم أنطق به، فكفوا عني ألسنتكم وعيبكم وطعنكم علي ولقاءكم، فإني كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا، ألا فما تفقدون من حقكم والله ما قصرت عن بلوغ ما بلغ من كان قبلي، ولم تكونوا تختلفون عليه. قال: فاشتد قوله على الناس وعَظم، وزاد تألبهم عليه. إلى أن قال: بعدها ذكر شكاوى العمال من الرعايا وشكاوى الرعايا من العمال فكتب عثمان إلى أهل الأمصار أما بعد: فإني آخذ عمالي بموافاتي كل موسم وقد رفع إليّ أهل المدينة أن أقواما يشتمون ويضربون فمن أدعى شيئًا من ذلك فليواف الموسم يأخذ حقه حيث كان مني أو عمالي أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين، فلما قريء في الأمصار بكى الناس ودعوا لعثمان، فاستدعى عثمان العمال في الموسم وتداولوا الحديث بينهم. إلى أن قال ابن الأثير (وذكر اجتماع أهل الأمصار مصر والبصرة والكوفة وحصارهم

لعثمان) قال: ولما رأى عثمان ذلك جاء إلى علي فدخل عليه بيته فقال له: يا ابن عم إن قرابتي قريبة، ولي عليك حق عظيم، وقد جاء ما ترى من هؤلاء القوم وهم مصبحي، ولك عند الناس قدر، وهم يسمعون منك، وأحب أن تركب إليهم فتردهم عني، فإن في دخولهم توهينا لأمري، وجراءة علي، فقال علي: على أي شيء أردهم عنك؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت إليه ورأيته لي، فقال علي: إني قد كلمتك مرة بعد أخرى، فكل ذلك نخرج ونقول، ثم ترجع عنه، وهذا من فعل مروان وابن عامر ومعاوية وعبدالله بن سعد، فإنك أطعتهم وعصيتني, قال عثمان: فأنا أعصيهم وأطيعك، فأمر الناس فركب معه من المهاجرين والأنصَار ثلاثون رجلا، فيهم: سعيد بن زيد وأبو جهم العدوي وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام ومروان وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، ومن الأنصار: أبو أسيد الساعدي وأبو حميد وزيد بن ثابت وحسان بن ثابت وكعب ابن مالك، ومن العرب: نيار بن مكرز، فأتوا المصريين فكلموهم، وكان الذي يكلمهم علي ومحمد بن مسلمة، فسمعوا مقالتهما ورجعوا إلى مصر. إلى أن قال: وجاء مروان بكرة الغد إلى عثمان فقال له: تكلم الناس واعلم الناس أن أهل مصر قد رجعوا، وأن ما بلغهم عن إمامهم كان باطلا، قبل أن يجيء الناس إليك من أمصارهم ويأتيك ما لم تستطع دفعه، ففعل عثمان، خطب الناس، قال له عمرو بن العاص: اتق الله يا عثمان فإنك قد ركبت أمورًا وركبناها معك، فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان: وإنك هناك يا ابن النابغة. ومضى ابن الأثير في حكايته إلى أن قال: فقال علي: أي عباد الله يا للمسلمين، إن قعدت في بيتي قال لي: تركتني وقرابتي وحقي، وإن تكلمت فجاء ما تريد يلعب به مروان فصار سيقة له يسوقه حيث يشاء بعد كبر السن

وصحبة رسول الله ﷺ, وقام مُغضبًا حتى دخل على عثمان فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلا بتحرفك عن دينك وعن عقلك مثل جمل الضعينة، يقاد حيث يشاء ربه, والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا نفسهِ، وأيم الله إني لأراه يوردك ولا يصدرك، وما أنا عائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك وغلبت على رأيك. قال: وخرج عنه علي وأرسل عثمان إليه فأبا من إتيانه. قال: فأتاه (يعني عثمان) أتى عليًا ليلا بمنزله، وقال: إني غير عائد، وإني فاعل، فقال له علي: بعد ما تكلمت على منبر رسول الله ﷺ وأعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، فخرج مروان إلى الناس يشتمهم على بابك ويؤذيهم! فخرج عثمان من عنده وهو يقول: قطعت رحمي وخذلتني وجرأت الناس علي، فقال علي: والله إني لأكثر الناس ذبا عنك، ولكني كلما جئت بشيء أظنه لك رضى، جاء مروان بأخرى فسمعتَ قوله وتركتَ قولي. ولم يعد عليٌّ يعمل ما كان يعمل، إلى أن مُنع عثمان الماء. فيمضي ابن الأثير في حكايته إلى أن قال: ونذكر الآن كيف قُتِلَ ومَا كان بَدَاءُ ذلك وابتداءُ الجرأةِ عليه قَبل قَتلِه؛ فكان من ذلك أن إبِلا من إبل الصدقة قدم بها إلى عثمان فوهبها لبعض بني الحكم، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس، وعثمان في الدار. قال: وكان أول من اجترأ على عثمان بالمنطق جبلة بن عمرو الساعدي، مرَّ به عثمان وهو في نادي قومه وبيده جامعة، فسلم فردَّ القومُ، فقال جبلة: لِمَ تَردُّون على رجل فَعَل كَذا وكَذا، ثم قال لعثمان: والله لأطرحن هذه الجامعة في عنقك أو لتتركن بطانتك هذه الخبيثة (قلت: جبلة هذا ممن شهدا أحدًا مع النبي ﷺ وهو الذي منع دفن عثمان في البقيع، ودفن في حش كوكب -كذا قال ابن حجر في الإصابة- وقال عمار بن ياسر: أراد أن يغتال ديننا فقتلناه. وقال ابن

الأثير أيضًا: وقيل كتب جمعٌ من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى من بالآفاق منهم: إن أردتم الجهادَ فهلُمُّوا إليه؛ فإن دينَ محمدٍ ﷺ قد أفسَده خليفتُكم) ويمضي ابن الأثير فيقول: أقبل الناس من الآفاق كالمصريين وعلى رأسهم عبد الرحمن بن عديس، وهو صحابي أُحُدِيٌّ بايع تحت الشجرة وعنده مابين خمسماية إلى ألف مقاتل، وجاء أهل الكوفه وعلى رأسهم زيد بن صوحان العبدي والأشتر النخعي، وزيد صحابي جليل وهم في عداد المصريين، وجاء أهل البصرة وعلى رأسهم حرقوص ابن زهير، وهو صحابي جليل. واختلفوا في هؤلاء المحاصرين فالمقلل يقول: ستمائة، والمكثر يقول: ثلاثة آلاف. وذكر ابن الأثير ما حصل أثناء الحصار فقال: إنه ما زال عثمان يبعث إلى علي والصحابة، ويعدهم الوفاء، ويخلفهم المرة بعد الأخرى، وأخيرًا حَذَّرهم قتله، وأجابوه -وهو في الحصار، وفيهم علي وطلحة والزبير وغيرهم من أعيان الصحابة- بما نصه: أما ما ذكرتَ من قِدَمك وسَلَفِك مع رسول الله ﷺ فقد كنت كذلك، وكنت أهلا للولاية، ولكن أحدَثتَ ما علمتَه، ولا نترك إقامة الحق عليك مخافةَ الفتنة عامًا قابلا، وأما قولُك: إنك لا يحل إلا قتل ثلاثة، فإنَّا نجدُ في كتابِ الله قتلَ غيرِ الثلاثة الذين سميتَ؛ قتلَ من سَعَى في الأرضِ فَسادًا، وقتلَ من بَغَى ثم قاتَل عَلى بَغيِهِ، وقتلَ من حالَ دونَ شيءٍ من الحقِ ومنعَه وقاتَل دونَه، وقد بغيتَ ومنعتَ وحلتَ دونه، وكابرتَ عليه، ولم تقد من نفسَك ما ظلمت، وقد تمسكت بالإمارة علينا، فإن زعمتَ أنَّك لم تكابرنا عليها فإنَّ الذين قاموا دونك ومنعوك منا إنما يقاتلون لتمسكك بالإمارة، فلو خلعت نفسَكَ لانصرفُوا عن القتال معك، فسكت عثمانُ، وهذا آخر الحديث بينه وبين الصحابة. واشتد عليه الحصار ومُنع الماءَ والطعامَ أربعينَ ليلةً، وذُكر أن طلحة كان يأتي المحاصرين ويؤلبهم على عثمان، وكان يقول عثمان: اللهم اكفنى

طلحة؛ فإنَّه حملَ عليَّ هولاء وألَّبَهُم، فما استحلوا قتلَه حتَّى قتلَ من المحاصرين رَجُل من الصحابة اسمه نيار بن عياض، وطلَبُوا قاتلَه فامتنع عثمانُ من دَفعه، وكان من جُملة القاتلين لعثمان مباشرة محمد بن أبي بكر. وقُتل لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا. قال: وبقي عثمان ثلاثة أيام لم يدفن حتى كلم على أن يدفن فأذن في دفنه، فخرجوا به ليلا والناس يرجمونه بالحجارة، ولم يشيعه أحد من الصحابة، إنما خرج في جنازته ثلاثة من مواليه ومروان وابنته حتى دفن في حش كوكب. قال: وجاء ناس من الأنصار يمنعون من الصلاة عليه. قال: ولَمَّا ظهر معاوية ألحقَ البقيعَ بالموضع الذي دُفِن فيه، وأَمَر بِدفنِ الموتى، حتى اتصلَ بقبرِ عثمان. ويقال: سِنُّه ما بين خمس وسبعين إلى تسعين على اختلاف الروايات.

ويقال: له أقوال وأفعال خاصةٌ به؛ منها: أول من جمع بين ابنتي نبي، وأول من هاجر بأهله، وأول من جمع الناس على قراءة، وأول من أتم في السفر، وأول من اتخذ السجن، وأول خليفة قتل صبرًا، وأول خليفة حوصر، وأول خليفة أحدث القعودَ على المنبر في الخطبة لَمَّا كبر، وأول من اتخذ صاحب شرطة، وأول من باع ضالة الإبل.

وهنا وقفة مهمة، قد علمت ما حكاه العلامتان المحققان الثقتان ابن جرير الطبري وابن الأثير في الكامل، وغيرهما من العلماء المنحازين إلى عثمان، وقد اتفق نقلهم مع الناقمين عليه على صحة الأحداث التي نقمها عليه إخوانه أصحاب رسول الله ﷺ، منهم: جبلة بن عمرو الساعدي الأنصاري الأحدي،

ورؤساء الخارجين من الأمصار كعبد الرحمن بن عديس الأحدي الشجري، وزيد بن صوحان، وحرقوص بن زهير، وما قاله الصحابة، وفيهم علي وطلحة والزبير عن وجه استحلالهم قتله وحصاره أربعين ليلة وقيل ثلاثة أشهر، وقد منعوه الطعام والشراب، وفي المدينة ما يزيد على مائة ألف من المهاجرين والأنصار، وتقتله شرذمةٌ أقبلت من الخارج على ما قيل! ولا يدافعون عنه! ويدفن في غير مقابر المسلمين! وجيوش الصحابة تهزم فارس والروم، ويُقتل أميرُهم صبرًا! ويقال إنهم غير راضين أو مغلوبين على قتله! كلٌّ من تجرأ على الصحابة وقال بغير الحقيقة وقدح في القاتلين والخارجين والمحاصرين والراضين فقد أساء الأدب في حقهم، وحاول أن يغسل الغائط بالبول! فالسلامةُ السكوتُ لِمَن لا يستطيعُ أن يقولَ الحقَّ، ويترك أصحاب رسول الله ﷺ حيث أنزلهم الله، فيلزم منه نسبتُهم إلى الخَوَرِ والْمُداهنةِ؛ فلو حَصَلَ لرئيسٍ يَقتُلُه أجانب وسطَ أهلِه وعشيرتِه وهم ينظرون لاستَحَقُّوا الذَّم, فكيف بالصَّحابةِ الكِرام؟! فإنَّه لا يَحِل أن يعتذر لشخص في سَبِّ آخرين، بعض يقول: إنهم مرتدون، وبعض يقول: خوارج، وبعض يقول: بغاة, كلٌّ هذا جراءةٌ على الذين مدحهم الله بقوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾المائدة: ٥٤, وقول بعض: إنه نهاهم عن الدفاع عنه، وأمرهم بالتفرق عنه, فيشبه قول المسيحيين لليهود: إن مشيئة عيسى اختارت القتل! اللهم ثبتنا بالقول الثابت وارزقنا محبة أصحاب رسول الله ﷺ، فيا إخواني! أترونَ أن الإمامَ عليًا يَقبلُ البيعةَ من المرتدين ويدافعُ عنهم طالب الحق منهم ويدافع بهم، والله

يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومٗا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنٗا﴾ الإسراء: ٣٣. ورسول الله ﷺ يقول: لا يأوي الضالة إلا ضال.

أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال: بلغني عن عثمان بن عفان أنه جلس على المقاعد فجاء المؤذن فأذن لصلاة العصر، فدعا بماء فتوضأ ثم قال: "والله لأحدثنكم حديثًا لولا آية في كتاب الله ما حدثتكموه، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصليها إلا غفر الله له ما بينها وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها". وقوله: "لولا آية في كتاب الله" يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ﴾ آل عمران: ١٨٧.

قال العلامةُ الشمَّاخِيُّ النَّفُوسِيُّ الإبَاضِيُّ: "اختلف الناس في هذه الفتنة، فقال بعضهم: مسألة اجتهادية؛ المصيب مأجورٌ، والمخطئُ معذورٌ. وقيل: كلُّ مجتهدٍ مصيبٌ. وقال أهلُ الحقِّ: دينيةٌ؛ المحقُّ مأجورٌ والمخطئُ مأزورٌ، بل هالك بدليل ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ الحجرات: ٩".

وكان قتلُ عثمانَ سبب تفرقِ المسلمين إلى خوارج وشيعة ومرجئة إلى ثلاث وسبعين فرقةً كما ورد في الحديث، وهو الذي حذره الإمام عليٌّ في خِطابه وقتَ الحصارِ، وقد سبق ذكره ﴿لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا﴾ الأنفال: ٤٢.

روى في العقد الفريد، قيل لسعد بن أبي وقاص: يا أبا إسحق مَن قتلَ عثمان؟ قال: قتلهُ سَيفٌ سَلَّتهُ عَائِشَةُ وشَحَذَهُ طَلْحَة وسَمَّهُ عِلِيٌّ، قلتُ: فما

حَالُ الزُّبير؟ قال: أَشَارَ بِيَدِه وَصَمَتَ بِلسَانه. وفيه قال زيد بن ثابت: رأيتُ عليًا مُضطَجِعًا في المسجد، فقلت: أَبَا الحسن إنَّ النَّاس يرون أنك لو شِئتَ رَددتَ النَّاسَ عن عثمانَ، فَجَلَس ثم قال: واللهِ مَا أمرتهم بشيءٍ ولا دخلتُ في شيءٍ من شأنهم. قال فأتيت عثمان فأخبرته، فقال:

وَحَرَّقَ قَيسٌ عَلَيَّ البِلادَ حَتَّى إذا اضطَرَمَت أَحجَمَا

قال في بعض السير العُمانية أن أبا بكر أَقَرَّ جيفرَ وَأَخاه عَبدًا عَلَى ملكهما، وجعل لهما أخذ الصدقات من أهلها وحمله إليه، قال: ولم يزالا في عُمانَ متقدمين إلى أن ماتا، وجاء من بعدهما عباد بن عبد بن الجلندى في زمن عثمان وعلي، فلما وقعت الفتنة وصار الملك إلى معاوية، ولم يكن لمعاوية سلطان في عُمان، حتى صار الملك لعبد الملك بن مروان، واستعمل الحجَّاج على أرض العراق، وكان ذلك في زمن سليمان وسعيد ابني عباد بن عبد بن الجلندى فاحتل عمان، ولم تزل عليها عمال بني أمية وعمال السفَّاح أول ملوك بني العباس حتى إمامة الجلندى بن مسعود عام ١٣٢ هـ.

فصل خلافة

علي بن أبي طالب

فصل خلافة علي بن ابي طالب

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، واسم طالب عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ وصهره على ابنته فاطمة الزهراء، وأبو الحسنين ابنيهما، ولد بعد رسول الله ﷺ باثنتين وثلاثين سنة، عاش في حجر رسول الله ﷺ، وربي منذ عقل في أنوار النبوة وأحضان السعادة، ولم يتدنس بدنس الجاهلية وأوساخ الوثنيين، وشهد مع رسول الله ﷺ جميع الغزوات إلا غزوة تبوك، بويع له بالخلافة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وصارعها خمس سنوات حتى قتل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربعين للهجرة.

قال العلامة الشماخي النفوسي الإباضي: "بويع في اليوم الذي قتل فيه عثمان، وخلافته حقٌّ باجتماع أهل العقد من المسلمين، واختلفت أهل السنة فيها". قلت: ويدل على هذا الاختلاف ما حكاه ابن الأثير والطبري أن البيعة كانت ولم يحضرها طلحة والزبير وسعد وعبدالله بن عمر بن الخطاب وغيرهم من وجهاء الصحابة.

لم يزل الإمام علي كرم الله وجهه حريصا على الخلافة منذ توفي رسول الله ﷺ وبويع أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب وجعل الأمر شورى بين ستة هو أحدهم وبويع عثمان، وأفضت إليه الخلافة في هذا الوقت العصيب الذي انتشرت فيه الفتن والفوضى يحتار فيها الحليم ويتصدع من أجلها الكريم، فبينما يعالج معاوية وأهل الشام في الدخول في الأمر إذا بالطلحتين يتسللان إلى مكة، ومنها بِأُمِّ المؤمنين إلى البصرة.

قال ابن الأثير والطبري وغيرهما من المؤرخين: وكان على البصرة عند قدومها (يعني أم المؤمنين) عثمان بن حنيف الصحابي، فقال لهم: ما نقمتم على صاحبكم؟ فقالوا: لم نره أولى بها منا، وقد صنع ما صنع، قال: فإن الرجل أَمَّرني فأكتب إليه ما جئتم به على أن أصلي أنا بالناس حتى يأتينا كتابه، فوقفوا عنه. فكتب فلم يلبث إلا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه، وضربوه وحبسوه بعد ما قتل من أصحابه سبعون رجلا، منهم خمسون قتلوا صبرا. قال المسعودي: وهؤلاء أول من قتل في الإسلام صبراً وظُلْمًا. قلت: وذكر قبل ذلك رواية نسب هذا إلى الزط والسبابجة والسبائية وأمثال هؤلاء، ومن عادة بعض من المؤرخين يتحاملون على الضعفاء ومن لا رأي له، ويتركون أهل الرأي والعقل قادة هؤلاء فلا يلقون عليهم لومًا، كما وقع ذلك في قتل الإمام عثمان، وفي وقعة الجمل، والقولُ بإنصافٍ شأنُ أهلِ العدالة، وإلا فلمَاذَا جاءَ الإمامُ عَليٌّ بجيشه من المدينة بوجوه المهاجرين والأنصار، وقتلةُ عثمانَ فيه؟! وحكى ابن الأثير عن الإمام علي يقول: قد خرجت مخرجي هذا ظالما أو مظلوما، وإني أذكر الله رجلا رعى حق الله إلا نفر، فإن كنت مظلومًا أَعانني، وإن كنت ظالما أخذ مني، والله إن طلحة والزبير لأول من بايعني وأول من غدر. قال: "واجتمع معه تسعة آلاف، وانضم إليهم من أهل الكوفة اثنا عشر ألف رجل، وقال الأحنف بن قيس: ناظرت طلحة والزبير وعائشة مَن أبايع إن قُتل عثمان؟ قالوا: بايع عليًا، ولما قدموا البصرة ناشدهم قولهم هذا، فقالوا: نعم، ولكنه بدل وغير". ثم التقى الجمعان فانجلى الأمر عن قتلِ طلحة في المعركة على يد مروان بن الحكم فيما روى ابن الأثير؛ لأنه يعده من قتلة عثمان، وقتل الزبير

خارج المعركة، وأمر عليٌّ بعائشة أم المؤمنين أن تذهب إلى المدينة، وتفرق الجمعان عن مصرع عشرة آلاف من الفريقين، وتحول عليٌّ إلى الكوفة.

قال ابن الأثير: ثم أرسل علي كتابًا إلى معاوية يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، وذكر له فيه نكث طلحة والزبير وحربه إياهما، فأجمع رأي معاوية وعمرو بن العاص أن يُلزموا عَلِيًا دمَ عُثمان، ويطالبوه به، وبعد قتال وقع بينهم قام معاوية خطيبًا بين رُسل علي -منهم شبث بن ربعي- فقال: أما بعد فإنكم دعوتم إلى الطاعة والجماعة التي دعوتم إليها فمعنا هي، وأما الطاعة لصاحبكم فإنا لا نراها؛ لأن صاحبكم قتل خليفتنا، وفرق جماعتنا، وآوى ثأرنا، وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله، فنحن لا نرد عليه ذلك، فليدفع إلينا قتلة عثمان لنقتلهم، ونحن إلى الطاعة والجماعة. فقال شبث: أيسرك يا معاوية أن تقتل عمار بن ياسر؟ فقال: وما يمنعني من ذلك, لو تمكنت من ابن سمية لقتلته بمولى عثمان, فقال شبث: والذي لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تندر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك. وبعد ذلك خرج الإمام عليٌّ بمن معه، وهم سبعون ألفًا, قُتل منهم خمسة وعشرون ألفًا، وخرج معاوية بمن معه، وهم خمسة وثمانون ألفًا، قتل منهم خمسة وأربعون ألفًا، بعدما أوقعوا تسعين وقعة بالموضع المعروف بصفين, منهم عدد من المهاجرين والأنصار، ومن بينهم عمار بن ياسر الذي قال رسول الله ﷺ: تقتله الفئة الباغية، وبعد صراع دام أشهرا، وكادت تقع الهزيمة على معاوية وأصحابه رفعوا المصاحف على الرماح طالبين حكم القرآن, هنالك دب الخلاف في جيش علي واختلط عليهم الحق بالباطل، وافق الإمامُ عليٌّ وأهلُ الرَّأيِ من قومه على قَبولِه مَع أنه وهنٌ وضعفٌ وَخَورٌ، وانشقت

عصى السير، وخرج عدد كبير من جيشه هم أهل الشوكة والفضل والزهد والثفنات، وانفصل الحكم بخلع علي والخلاف في إبقاء معاوية بعد ما أعطى علي العهد والميثاق على قبول ما يحكم به عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري. قال ابن الأثير: وكتب الكتاب "هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضي علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم إننا ننزل عند حكم الله وكتابه، وأن لا يجمع بيننا غيره، وأن كتاب الله بيننا من فاتحته إلي خاتمته، نُحيي ما أحيى ونُميت ما أمات، فما وجد الحكمان في كتاب الله وهما أبو موسى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به، وما لم يجداه في كتاب الله فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة، وأخذ الحكمان من علي ومعاوية ومن الجندين من العهود والمواثيق أنهما آمنان على أنفسهما وأهليهما، والأمة لها أنصار على الذي يتقاضيان عليه، وعلى عبدالله بن قيس وعمرو بن العاص عهدُ الله وميثاقُه أن يحكما بين هذه الأمة لا يردانها في حرب ولا فرقة حتى يعصيا وأجل القضاء وإلى رمضان وإن أحبا أن يؤخرا ذلك أخراه وإن مكان قضيتهما مكان عدل بين أهل الكوفة وأهل الشام" ووقع عليه كل من الطرفين، ولكن الأشتر أَبَى من التوقيع قائلا: لا صحبتني يميني ولا نفعتني بعدها شمالي إن خط لي في هذه الصحيفة اسم ولست على بينة من عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر؟ فقال له الأشعث: والله ما رأيت ظفرا، هلم الينا لا رغبة بك عنا، فقال: بلى والله الرغبة عنك في الدنيا للدنيا وفي الآخرة للآخرة، لقد سفك الله بسيفي دماء رجال ما أنت خير عندي منهم ولا أحرم دما. قال: فكأنما قصع الله على أنف الأشعث الحمم. وخرج الأشعث بالكتاب يقرؤه على الناس حتى مرَّ على طائفة من بني تميم، فيهم عروة بن أدية

أخو أبي بلال، فقرأه عليهم، فقال عروة: تُحَكِّمونَ في أمرِ اللهِ الرِّجَالَ؟! لا حُكمَ إلا لله.. ثم شَدَّ بسيفِه فضربَ به عجز دابة الأشعث. وكُتب الكتابُ يومَ الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين، وهنا وقف القتال بين معاوية وعلي، وانفصلت عنه المحكمة، وهم ما بين أربعة آلاف إلى ستة وعشرين ألفًا، وبقيَ في صراعٍ أعنفَ وأشدَّ عليه من ذي قبل، خَذَلَه قومُه وقَاتَلُوه وقَتَلهم، ومعاويةُ وقومُه يحتلون ممالكَهُ شَيئًا فشيئًا. قال ابن الأثير: وكان عليٌّ إذا صلَّى الغداةَ يقنتُ فيقول: اللهم العَن معاويةَ وعَمرًا وأَبَا الأعور وحبيبًا وعبد الرحمن بنَ خالد والضحَّاكَ بنَ قَيسٍ والوليدَ. فبلغ ذلك معاوية، فكان إذا أقنت سَبَّ عليًا وابنَ عبَّاس والحسنَ والحسينَ والأشترَ. وهكذا استمر أمراءُ بني أُميَّة خليفةً بعد خليفة يَلعنُون عَلِيًا على المنابر، وفي خاتمة خُطبة كل جمعة، حتى استخلف الإمام العادل عمر بن العزيز فأبدلَ اللَّعنَ بقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وفارقَ عليًا أخُوه عَقيل وابنُ عمِّه عبدُالله بن عباس، وكان واليًا له البصرة، وكتب إليه على ما حكاه في كتاب بيان الشرع (من الكتب العمانية القديمة، وهو يشتمل على اثنين وسبعين جزءا) قال: "أما بعد فإني قد كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن أحدٌ من أهل بيتي أوثق منك في نفسي بمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إلي، فلمَّا رأيت الزمان قلب بابن عمك ظهر المجن فارقته مع القوم المفارقين، وخذلته أسوأ خذلان الخاذلين، وخنته فيمن خانه من الخائنين، فلا بابن عمك انتسبت، ولا أمانة الله أدَّيت، كأنك لم تكن بجهادك تريد الله، ولم تكن على بينة من ربك،

وكأنك إنما كنت تكيد أمة محمد ﷺ عن دينهم، وتتوعد بهم عن فيئهم، فلمّا أمكنتك الشدة في خيانتك للأمة أسرعت الغدرة وعاجلت الوثبة فاختطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الأزل، فحملت أموالهم الى الحجاز رحيب الصدر، غير متأثم منها، كأنك لا أب لغيرك، إنما خرجت لأهلك برأي من أبيك وأمك، سبحان الله العظيم أوما تؤمن بالمعاد؟ أوما تخاف الحساب؟ أوما يعظم عليك أن تأكل حرامًا من أموال الأرامل واليتامى، وتشرب حراما، فاتق الله وأدِّ إلى القوم أموالَهم التي أفاء الله عليهم، فإنك إن لم تفعل وأمكنني الله منك لاعذرن إلى الله فيك، واللِه لو كان الحسن والحسين فعلا الذي فعلت ما كان لهما عندي هوادة ولا طرق عندي في رخصة، إن الله لا يحب الظالمين". فكتب إليه ابن عباس: "أما بعد فقد جاءني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه من مال البصرة، ولعمري إن نصيبي فيه لأكثر مما أخذت، ولعمري لأن ألقى الله بما في الأرض من ذهب وفضة أحبّ إلي من القاه بدم رجل مسلم". وعن هاشم بن غيلان (وهو من علماء عمان في القرن الثالث) كتب علي إلى ابن عباس يؤنبه بما أخذه من البصرة من بيت المال فكتب إليه ابن عباس: "قد عرفت وجه أخذي المال، إنه كان بقية دون حقي، بعدما أعطيت كل ذي حق حقه، ولقد علمت أخذي المال من قبل قولي في أهل النهروان ما قلت، ولو كان أخذي باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن فكف عن القوم". وفي العقد الفريد: آخر كتاب كتبه ابن عباس لعلي: "لإن لم تدع عني أساطيرك لأحملنه إلى معاوية يقاتلك به"، فكفَّ عنه عليٌّ. ومن جملة ما حكاه صاحب العقد الفريد مما كتبه ابن عباس لعلي: "وأيم الله لأن ألقى الله بما في بطن هذه الأرض من عقيانها ومخبئها، وبما على ظهرها من طلاعها ذهبا أحبّ إلي من أن ألقى الله وقد

سفكت دماء هذه الأمة؛ لأنال بذلك الملك والإمرة، ابعث إلى عمالك من أحببت فإني ظاعن والسلام".

روي عن الإمام علي أنه قال: "إنما مثلي ومثل عثمان كمثل ثلاثة أثوار كانت في أجمة، أبيض وأسود وأحمر، ومعها أسد فكان لا يقدر منها على شيء لاجتماعها عليه، فقال الأسد للثور الأسود وللثور الأحمر أن لا بدل علينا في أجمتنا إلا الثور الأبيض، فإن لونه مشهور ولوني على لونكما، فلو تركتماني آكله خلت لكما الأجمة وصفت، فقالا: دونك وإياه فكله فأكله، ومضت مدة على ذلك ثم إن الأسد قال للثور الأحمر: لوني على لونك فدعني آكل الثور الأسود فقال له: شأنك به فأكله. بعد أيام قال للثور الأحمر: إني آكلك لا محالة، فقال: دعني أنادي ثلاثة أصوات، فقال: افعل، فنادى إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض، قالها ثلاثا، ثم قال علي: إنما هنت يوم قتل عثمان يرفع بها صوته. والحاصل أن الأمور تفاقمت على الإمام علي، فقاتل من رضي بالتحكيم؛ وهو معاوية وأصحابه، وقاتل من أَبَا التحكيم؛ وهم أهل النهروان، والأمر لله وحده. وسأفرد للخوارج بابًا فسيحًا ينظر فيه أهلُ النظرِ، ويقدّر القضية بين شخصين ليسا معاوية ولا عليا بل هما من أهل زماننا، وانفصلت من بينهما فاصلة، ما هو القول فيها وفي الأحاديث التي رويت إلى الامام على في الخوارج وهو يقاتلهم وهم يقاتلونه، وهو يقول -كما في البخاري-: الحرب خدعة، ويقول: لا تقاتلوا الخوارج، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأصابه. وما هو الفرق بينهم وبين طلحة والزبير وبين الخارجين على عثمان.

قال أبو الحواري (من علماء القرن الخامس) عن عزان بن الصقر (من علماء القرن الثالث من عمان): لما كان يوم الجمل فظهر علي بن أبي طالب على طلحة والزبير أخذ ما كان من جبايتهم وفرّقه على أصحابه وكانوا اثني عشر ألفًا فصار إلى كل واحد منهم خمسمائة درهم.

وكان قتله على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وعَدَّ ابنُ حَجَر عبدَ الرَّحمن هذا من الصحابة، وذكر عن الإمام الشافعي أنه لا يرى ابنَ ملجم مخطئًا في قتله؛ لأنه مجتهد، وكل مجتهد مصيب. وذكر ابن الأثير: لما بلغ عائشةَ قتلُه قالت:

فألقَت عَصَاهَا واستَقَرَّ بها النَّوَى كَمَا قرَّ عينًا بالإيابِ المسافرُ

ثم قالت: من قتله؟ فقيل لها: رجل من مراد، فقالت:

فإن يَكُ نائيًا فلَقَد نَعَاهُ نَعِيٌّ ليسَ في فِيه التُّرابُ

فقالت زينب بنت أم سلمة: أتقولين هذا في علي؟! فقالت: إنني أَنسَى فإذَا نسيتُ فذَكِّرُوني. ومعنى قولها "ليس في فيه التراب" أي لا يُقَالُ للمخبر بقتله بفيك التراب، ولعلها ترى قتله حقًا، لأنَّ ابن مجلم فيما يروى أنه قتله قصاصًا ببعض من قُتِل بالنَّهروان. وقد اختفى الموضع الذي دفن فيه[1].

---

١) يقال: إنه حمل على بعير ليدفن بالمدينة، فنَدَّ به البعيرُ حتى أدخله بجلي طَيّ، فدفن هناك، والله أعلم. ويقال: إن القبر الذي يزار الآن بالعراق على أنه قبر علي إنما هو قبر المغيرة بن شعبة، والله أعلم.

كان عليٌّ آيةً في غزارة العِلم واستنباطِه للأحكامِ وحلِّهِ المشكلات، وكان عمر بن الخطاب يرجعُ إليه في القضايَا المشكلة، وفيه يقال: قضيةٌ ولا أبَا حَسَنٍ لَهَا، وكان يتنفسُ الصُّعداء ويقول: عندي علمٌ لم أَجِد لَه حَامِلا.

كان أولَ من أسلمَ من الصبيان، وأول من بارز في الإسلام، وأول من كفله رسول الله ﷺ، وأول من استنبط معضلات الأحكام، وأول خليفة ترك دار الهجرة، وأول البارزين يوم بدر، وأول من قاتل أهل البغي من المسلمين.

ويقال إن له أقوالاً خاصةً به، منها أنَّ كلَّ مجتهد مصيب؛ فيعذر عثمانَ ويعذر قاتله.

رويت عنه أحاديث كثيرة، وفي مسند الربيع بن حبيب من رواياته أحاديث وأبواب مفردة له خاصة.

تنبيهان الأول

في انفصال الخوارج عنه وخلاصة الاحتجاج بينهم وبين ابن عباس

تنبيهان الأول في انفصال الخوارج عنه وخلاصة الاحتجاج بينهم وبين ابن عباس

الخوارج يسمون المحكمة والحرورية والمارقة والشراة، كل هذه الأسماء يُطلقها عليهم خصومهم ومحبوهم من المؤرخين، وقد سبق أَن قدَّمنَا أن بعض المؤرخين يتحاملون على الضعفاء والمساكين، فإن هؤلاء لم تكن لهم دولة فيُحترمون من أجلها، وكانت الدولة للأمويين والعلويين والعباسيين.

اختلف الناس في سبب تسميتهم خوارج فقيل: لخروجهم عن الإمام علي، وقيل: لخروجهم عليه، وقيل: لخروجهم عن الدين في رأي مخالفيهم، وهو معنى تسميتهم بالمارقة، وقيل: لخروجهم عن ضلالة التحكيم، وقيل لخروجهم جهادًا في سبيل الله، أخذا من قوله تعالى ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [التوبة: ٤٦] وهو معنى الشراة، إذ شروا أنفسهم؛ أي باعوها جهادًا في سبيل الله.

وأول من فتح باب الخروج: المصريون، ورئيسهم جبلة بن عَمْرو الساعدي الأنصاري، وهو ممن شهد أحدا وبايع تحت الشجرة. والبصريون، ورئيسهم حرقوص بن زهير السعدي الصحابي. والكوفيون، ورئيسهم زيد بن صوحان صحابي، وتبعهم طلحة والزبير. وأهل النهروان، ورئيسهم عبد الله بن وهب، صحابي ذكره ابن حجر وغيره. وأهل المدينة والحسين بن علي، وكلهم صحابة، وسعيد بن جبير والشعبي، وفقهاء العراق؛ إذ خرجوا على الحجاج، وكلهم تابعون صالحون.

وتسميتهم المحكمة لقولهم "لا حكم إلا لله" وأول من قالها عروة بن أُدية أخو أبي بلال، وأبو بلال من أهل النهروان، ولهما أخبار ذكرها ابن الأثير وغيره من المؤرخين. وأما الحرورية فنسبة الى حروراء الموضع الذي نزلوا به بعد انفصالهم من جيش الإمام علي. قال ابن الأثير: "لما رجع علي من صفين لقيه عبدالله بن وديعة الأنصاري، فدنا منه وسلم عليه وسايره، فقال: ما سمعت الناس يقولون في أمرنا؟ قال: منهم المعجب به ومنهم الكاره له، قال: فما قول ذوي الرأي؟ قال: يقولون إن عَليًا كان له جمع عظيم ففرقه، وكان له حصن حصين فهدَّه، فمتى يبني ما هدَّم ومتى يجمع ما فرَّق، ولو كان مضى بمن أطاعه إذ عصاه من عصاه فقاتل حتى يظفر أو يهلك كان ذلك الحزم". قال الشاعر العماني:

أبا حسن أطلقتها لطليقها فأنت بقيد الأشعري أسير

قال ابن الأثير: "ولما رجع علي من صفين فارقه الخوارج وأتوا حروراء فنزل بها منهم اثنا عشر ألفًا" قال العلامة الشماخي: "وقيل أربعة وعشرون ألفا، وهم خيار أهل الأرض يومئذ وقراؤهم وزهادهم ممن بَقِي من كبار الصحابة والتابعين، وفيهم من أهل بدر ومن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، كحرقوص بن زهير السعدي الذي قال فيه رسول الله ﷺ في رواية عائشة: "أول من يدخل علينا اليوم من أهل الجنة، فكان هو الداخل إلى ثلاث مرات" وشجرة ابن أوفا السلامى وكان بدريا، ومن أراد معرفة أسمائهم فعليه بالنهروان وغيره من الكتب". قلت: لم أقف على هذا الكتاب. وذكر العلامة البرادي في كتاب الجواهر عددًا منهم: أبو الهيثم ابن التيهان وفروة بن نوفل الأشجعي وسارية بن لجام السعدي ويزيد بن قيس الأزدي وجعفر بن مالك السعدي وبشر بن جبلة

العامري وشريك ابن الحكم الأزدي ومرداس أبو بلال وأخوه حيان والمستورد بن علاثة والأشعث بن بشر العبدي وميسرة بن خالد الفهري وأبو الصهبا وعبدالله بن وهب الراسبي وحمزة بن سنان وزيد بن حصن الطائي وعباد بن الحرشاء الطائي والحويرث بن ودع الأسدي وعمير بن الحارث الأنصاري ويزيد بن عاصم وأربعة إخوة معه ممن بايع تحت الشجرة وشجرة بن الحارث السلامي وعبدالله بن شجرة بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة أربعة إخوة له وثلاثة بني أخت له، والمسيب بن ضمرة الأسدي وعبدالله بن عفيف أخوه سفيان الخزاعيان وأبو عمر بن نوفل مولى له صحبة مع رسول الله ﷺ ونافع مولى ترملة وترملة صاحب رسول الله ﷺ في نفر من بني حنظلة، وهرم بن عمرو الأنصاري من بني واقف، وأبو قدامة بن لبيد من بني قيس، وعيينه ابن معمر الأنصاري من بني وائل، من الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع، وزياد بن شرحبيل العجلي، والأشهب بن بشر الكوفي، ومالك بن التيهان، وحكيم بن عبدالرحمن الكناني، وبايعوا عبد الله بن وهب الراسبي. قال في الموسوعة الميسرة: عبد الله بن وهب الراسبي من الأزد ومن أئمة الإباضية من الخوارج، عرف بالعلم والرأي والفصاحة والشجاعة، وله في العبادة أعاجيب، أدرك النبي ﷺ وشهد فتوح العراق مع ابن أبي وقاص، وكان مع علي في حروبه، أنكر عليه التحكيم، قتل في النهروان بعد أن أقره الخوارج عليهم، هذا ما ذكروه عن ابن وهب، ورواه ابن حجر، وقبل البيعة بعد أن دفعها إلى زيد بن حصن الصحابي ذكره ابن حجر في عداد الصحابة، وحرقوص بن زهير السعدي قال في القاموس وشرحه وحرقوص بن زهير السعدي كان صحابيا أمد به عمر رضي الله عنه المسلمين الذين نازلوا الأهوز فافتتح حرقوص

سوق الأهواز وله أثر كبير في قتل الهرمزان، ثم كان مع علي بصفين فصار خارجيا عليه فقتل".

ولما بلغ عليًا تمام بيعتهم لعبدالله بن وهب كتب إليهم -كما ذكر هذين الكتابين صاحب كتاب السير العمانية الشيخ أبو الحسن البسياني (من علماء القرن الرابع للهجرة)-: "بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى زيد بن حصن و عبدالله بن وهب الراسبي ومن معهما من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن الحكمين نبذا كتاب الله وراء ظهورها وحكما بغير ما أنزل الله فبرئ الله منهما ورسوله، وأنا منهما بريء، فهلموا نعطيكم الرضى، ونرجع إلى الأمر الأول، نقاتل عدونا وعدوكم حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وموعد ما بيننا و بينكم عسكر نجران إن شاء الله". الجواب: "بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله ابن وهب وزيد بن حصن ومن معهما من المسلمين إلى علي بن أبي طالب سلام على من اتبع الهدى فإنا نحمد الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإنا قد وصل إلينا كتابك تذكر أن الحكمين نبذا كتاب الله وحكما بغير ما أنزل الله، فقد علمنا والحمد لله أن أمرهما كان مخالفًا للحق من أوله، أنت بتحكيمك إياهما أعظم جرمًا منهما، وذكرت الأمر الأول فلسنا نرد عليك توبتك، فإن كنت صادقًا فادخل فيما دخل فيه المسلمون من طاعة الله و رسوله ﷺ وإمام المسلمين عبدالله بن وهب الراسبي فقد بايعناه بعد خلعنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا يسعنا إلا ذلك والسلام".

قال القطب محمد بن يوسف الجزائري الإباضي أحد الأعلام المحققين: "فإن قلت لِمَ لا يقبلون توبته ويردونه إماما؟ قلت: أصر على التحكيم وملاينة معاوية والأمر الباطل وأبى من التوبة وتاب ونكث كما مر واستمر على النكث واستحق الخلع، بل خلع نفسه فساغ استخلاف غيره، وعجلوا بذلك لئلا تبقى الأمة بلا قائم، مع أنهم هم الباقون على الحق بعد أن فارقته جماعة معاوية وجماعة علي، وما ادعاء التوبة إلا بعد استخلافهم عبد الله بن وهب، ولا إمامين في سيرة، فصحت الخلافة للثاني؛ إذ لا تبطل عنه إلا لموجب بعد ثبوتها ولا موجب لبطلانها، وأيضًا شرطوا عليه إن ترك قتال الفئة الباغية فلا بيعة له عليهم ولفظ الشرط وذلك عند البيعة بايعناك على طاعة الله ورسوله ﷺ والعمل بكتاب الله وسنة رسوله والأخذ بسيرة الخليفتين بعد النبي ﷺ ما استطاع، وعلى قتال الفئة الباغية، وكل فرقة امتنعت عن الحق طاغية، وكل من نقض عهد الله وغير سنة رسوله ﷺ وحكم بغير ما أنزل الله حتى يظهر نور الله وتطفأ كلمة الجور وتموت البدعة والفجور وتفنى على ذلك أرواحهم، وأعطاهم على ذلك العهد والميثاق، وعلى أنه إن خالف شيئًا من ذلك أو نقض فلا بيعة له عليهم فبايعوه على ذلك".

وأرسل إليهم عليٌّ ابنَ عباس يناظرهم، نقلا من شرح اللامية للقطب، وأصله في كتاب السير العمانية من سيرة شبيب بن عطية (من علماء القرن الثاني للهجرة) هكذا طلب ابن عباس إليهم الرجوع، وقالوا له: "إن صاحبك ترك اسم أمير المؤمنين وطلب الحكومة وخلع سربالا ألبسه الله إياه، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: أما علمتم أن رسول الله ﷺ لَمَّا عاهد أهل مكة ومشركي العرب

ومشركي قريش عام الحديبية حين صده المشركون عن المسجد الحرام إلى مضي المدة التي سماها لهم من ترك فيها القتال والدماء، وأما ما ذكرتم من خلعه نفسه من اسم أمير المؤمنين فقد فعل ذلك رسول الله ﷺ حين كتب الكتاب لقريش وأملاها رسول الله ﷺ: هذا ما قضى به محمد رسول الله ﷺ قريشا، فقال المشركون: لو علمنا أنك رسول الله ما خالفناك، فكتب من محمد بن عبد الله، وأما ما ذكرتم من الحكومة وأنها لا تجوز فقال عز من قائل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ ﴾ المائدة: ٩٥ وقال عز من قائل﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ ﴾النساء: ٣٥ فقالوا: قد سمعنا قولك والذي أرسلت به واحتجاجك فنذكرك الله لما سمعت قولنا وفهمت حجتنا ثم كنت عدلا بيننا وبين من أرسلك قال: اللهم نعم، قالوا: أخبرنا عمن قتل الصيد وهو محرم هل يسعه أن يحكم من يرى استحلال الصيد المحرم ويستحل قتل صيد الحرم؟ قال: لا، قالوا: وكيف يسع عليًا أن يحكم في دين الله من يدين باستحلال ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ومن يدين بولاية من عادي الله ورسوله وبعداوة أولياء الله ويدين بخلاف ما عليه المسلمون من الحق الذي هم عليه وفارقوهم على خلافه، فوالله لو كانت الحكومة حقا لكان علي ترك الحق بتحكيمه في دين الله من يدين بخلاف دين الله فيما استحل من قتل المؤمنين وسفك الدماء وما حرم الله من قتال الفئة الباغية مع ما يدين به من ولاية من عادى الله ورسوله وعداوة أولياء الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والله

سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ النساء: ١١٥ ثم قالوا: نذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن أبا موسى كان شاكًا في قتال الفئة الباغية، يحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية، ويخذل الناس عن القتال؟ قال: اللهم نعم، قالوا: إن عليًا حكم فيمن قتل الصيد وهو محرم من يعتقد أنه لا يحرم قتل الصيد في الحرم، ولا يحرم قتل الصيد في الحل على المحرم، أكان بتحكيمه من كان هذا أمره وصفته على هذا الوجه ضلالا إذ حكَّم شاكا مرتابا فيما حكم الله به من تحريم قتل الصيد في الحرم إذ كان محرما لضل بتحكيمه من هذا أمره وصفته، ولو كانت الحكومة عدلاً لكان بحكومة من يستحل قتل المؤمنين ويعاديهم ويكفر بدينهم ضالا، وقد أضل بحكومته من يحرم ما أحل الله للمؤمنين من قتال من بغى عليهم واتبع سبيلا غير سبيلهم، وأبى أن يقر بحكم القرآن فيما خالفوا فيه، فنذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن عمرو بن العاص استحل ما حرم الله من دماء المسلمين، وحرم ما أحل الله من قتال من بغى على المسلمين، وتولى من عادي المسلمين، ومن دان بدينهم وما هم عليه من الحق ومن قتال أهل البغي؟ فقال: اللهم نعم قد خصمتم عليا بهذا وقولكم الحق، ثم قالوا: أمَّا ما ذكرت من قول الله ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ فأخبرنا عن رجل من المسلمين عنده يهودية أو نصرانية، وكان بينهما اختلاف ومنازعة، هل ينبغي له ولمن حضره من المسلمين أن يدعوا اليهود أو النصارى يحكمونهم بما هم به كافرون من أحكام المؤمنين؟ قال: لا، قالوا: كيف حكَّم عليٌّ عمرَو بنَ العاص، وهو يكفر بما حكمه فيه،

ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين، ويدين بغير دينهم، ويوالي من عادوا ويعادي من والوا، فنذكرك الله هل يسع عليًا هذا؟ قال: لا يجوز هذا لمن فعله ولا يسعه. وقالوا: أما ما ذكرت من أمر الموادعة والقضية التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فإنها كانت منازل، ونقل عنها منزلة منزلة، وكل منزلة نقل الله عنها نبيه أو أمره بغيرها حرم عليه الإقامة عليها، وحرم المسلمين أيضًا أن يقيموا على ما نقل عنه؛ من ذلك القبلة التي كانت بيت المقدس نقل الله نبيه والمؤمنين عنها باستقبال البيت الحرام، ومثل الخمر كانت حلالاً ثم نهى الله عنها أولاً تأديبًا وحرمها بعد ذلك من نعمه وطوله ومنته على نبيه ﷺ وعلى المؤمنين، وكذا مفاداة النبي ﷺ لأهل بدر ولا أمر ولا نهي ولا وعيد وقال تعالى ﴿ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: ٦٨. وقد كان سبق من الله العفو عنهم والمغفرة لهم فيما فعلوا، وقيل: سبق من الله أن لا يعذب أحدًا إلا بعد بيان، أو سبق من الله جل جلاله أن يحل لهذه الأمة ما غنموا من عدوهم إذا حاربوا، وأنزل الله عز وجل على نبيه بعد ذلك تحريم معاهدة المشركين فقال ﴿ بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا

ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ١ فجاءت براءة بنقض كل عهد وتحريم أمان المشركين وقتلهم حيث ما وجدوا وحصرهم والقعود لهم بكل مرصد وتحريم الجنوح إليهم ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام والإقرار به، ولأهل الكتاب الجزية، فما لهم إلا الإسلام أو الجزية، ولم يحل الله أمان أحد منهم إلا من استجاب ليسمع كلام الله فإن لم يؤمن أبلغه مأمنه. وقال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ ﴾ التوبة: ٢٨ فلا إقامة لأحد على ما نقل الله نبيه عنه، فما حجة صاحبك علينا فيما نقل الله نبيه والمؤمنين عنه وحرم ذلك عنه، وإن جوز ذلك فليرجع إلى استقبال بيت المقدس وإلى كل ما نسخ، ثم قالوا: نذكرك الله يا ابن عباس هل تعلم أن الذي احتج به صاحبك علينا منتقض غير جائز في الدين؟ قال: اللهم نعم، قالوا: يا ابن عباس ألست تعلم أن الله عز رجل قال في كتابه الزانية والزاني - الآية - والسارق والسارقة - الآية - قال: اللهم نعم، قالوا: فهل تعلم أن قتال الفئة الباغية حد من حدود الله كالجلد والقطع؟ قال: نعم، قالوا فأخبرنا عمن زنا أو سرق فأراد إمام المسلمين أن يقيم عليه الحد، فامتنع وقامت معه طائفة تمنعه عن إقامة الحد أليس يحل قتالهم؟ قال: بلى، قالوا: فإن المسلمين قاتلوهم حتى قتلوا منهم قتلى ثم ابتغوا الحكومة، أيسع المسلمين قبولها وتحريم القتال وتعطيله؟ قال: اللهم لا، قالوا فكيف يسوغ لنا أن نُحكِّم في دين الله مَن يدين بتعطيل الحدود وتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية مع أنه حدٌّ من

حدود الله، وكلُّ ما حكم الله فيه فلا تخيير فيه لعباده، قال الله عز وجل: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ المائدة: ٤٩ - ٥٠ وقال: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ الأنعام: ١١٤ وقال: ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يوسف: ٤٠ وما جعل الله عز وجل الحكم للرجال فليحكم فيه ذوا عدل ولا حكم في غير ذلك للرجال، قال الله جل وعلا: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦ وقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ ، فكيف يحكم في دين الله من لم يحكمه الله ورسوله ووجد في نفسه حرجًا مما قضى الله ورسوله وأبى أن يسلم تسليما واستحل قتل من حكم الله ورسوله ولم يجد في نفسه حرجًا كما قضى الله ورسوله وسلم لحكمه تسليما، فإن معاوية وعمرو بن العاص أبيا أن يسلما لحكم الله ورسوله, قال: اللهم نعم. ثم قالوا: يا بن عباس إن كان معاوية وعمرو بن العاص سلما لحكم الله وما أنزل من القرآن ورجعا عما كان عليه وفاءَآ إلى أمر الله ورجعا إلى دين المسلمين فالحق علينا أن نقبل عنهما ونتولاهما؛ لأن الله أمر بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله، فإذا فاءوا إلى أمر الله قُبل ذلك منهم ولم يسع أحدًا ذلك عليهما،

وأما أن نحكم الرجال فيما قد فرغ الله من الحكم فيه فإن كان حكموا بنقض ما جاءنا من الله فننتقل عما نحن عليه من البينات إلى الضلال والعمى والترك لحكم الله والإيمان الذي نحن عليه حتى يستحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله، ونوالي من كنا نعادية بدين وفريضة ونُعادي من كنا نواليه بدين الله وبحكم كتاب الله وما افترض علينا من ولاية من أقر بديننا فمعاذ الله أن نفعل ذلك إن شاء الله حتى تذهب أنفسنا أو نظهر على عدونا فقال ابن عباس: اللهم هذا هو الحق، وقالوا: ألست تعلم أن في ما اشترط علي ومعاوية كل واحد منهما على صاحبه أنه أيما رجل أحدث من أصحاب علي ودخل في دين معاوية وحكمه فليس لعلي إقامة الحد عليه لدخوله في دين معاوية وحكمه، وأيما رجل أحدث حدثا من أصحاب معاوية ودخل في دين علي وحكمه فليس لمعاوية إقامة الحد لدخوله في دين علي وحكمه، فكيف يدخل في دين قوم قد أقروا على أنفسهم بأنه من أحدث حدثا منهم ففر من حكم الله عليه وكره إقامة الحد بأن يقول دخل في دين معاوية زال ذلك الحكم والحد عنه، وكيف يدخل في دين علي وأمره كذلك وزاد خلع نفسه من إمرة المؤمنين ولم يرجع ولم يستغفر مما قد أتى مما وصفناه وذكرناه من أمره فيما سوى ذلك قد استحق من أمر الله البراءة والخلع حتى يتوب من ذلك ويستغفر ربه ويرجع من ذنبه ألست تقول إن عليًا قاتل طلحة والزبير بكتاب الله وبما افترض الله عليه من قتال الفئة الباغية، وعلى ذلك الأمر قاتل معاوية؟ قال: اللهم نعم قالوا: وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قاتل عمار بن ياسر ومن معه بصفين حتى قتل عمار بن ياسر ومن معه من أصحاب النبي ﷺ والتابعين بإحسان وبأمر الله وإذنه قاتلوا الفئة الباغية؟ قال: اللهم نعم قالوا أخبرنا عن علي حين حكم الحكمين، أليس قد حرم

القتال الذي أحل الله من معاوية وجنده حتى يحكم الحكمان ويأذنا به؟ قال: اللهم نعم, قالوا: فأخبرنا عن علي أحرم دماءهم بتوبة من معاوية وجنده ودخول منهم في الإسلام أم حرم دماءهم بغير توبة منهم ولا دخول في الإسلام؟ قال: بل حرم دماءهم بالعهد الذي أعطاهم حتى يحكم الحكمين بغير توبة ولا دخول في الإسلام, قالوا: أليس قد حرم علي منهم ما أحل الله من قتالهم من غير انتقال منهم عن الذي أحل دماءهم واستحل قتال من قتل بلا حدث، فمن أقام الآن بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبما قام به عمار ومن معه من المسلمين فقاتل من قاتله عمار واستحل من استحل عمار فهو من الكافرين عند صاحبك، وكيف يكون عمار من المهتدين المؤمنين ويضل من عمل عمله واقتدى بهداه بعده، فإن كان قاتلهم عمار هدى فقد اهتدى من اقتدى بهداه وإن كان ضلالاً فقد ضل علي وأتباعه بولاية عمار ومن معه من المسلمين لقتالهم معاوية، وكيف يكون القتال لمعاوية ضلالاً ومعاوية على الدين الذي استحل منه عمار قتاله وقتال من معه ثم لم يتوبوا ولم يرجعوا عما هم عليه من دين المسلمين، وقولهم وكيف لم يكن القتال لطلحة والزبير على البغي ضلالاً وقد كانا أفضل من معاوية ويكون القتال لمعاوية ومن معه ضلالاً فهم على الدين الذي كان عليه طلحة والزبير، هذا ما نعرف من خطأ علي ورجعته عما كان عليه من الحق ورغبته عما مضى عليه خيار المسلمين، وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ثم يهتدي من حرمه وهم على ذلك الدين ويضل من استحله، وكيف يحل الله قتال قوم ويأمر به ويأذن فيه ثم يكفر من استحله حتى يأذن فيه من يستحل تحريمه من الحكمين، وذلك أن عليًا حرم القتال الذي أحله الله من معاوية وجنده حتى يأذن فيه عمرو بن العاص وأبو موسى، وزعم علي أنه من

قام بكتاب الله جل وعلا وسنة نبيه ﷺ ويستحل ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله فهو من الكافرين حتى يأذن فيه من يدين بتحريم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله بغير كتاب من الله حدث يحرم ما أحل الله من قتالهم وحتى يأذن فيه من يدين بتحريمه ويستحل ما حرم الله من دماء المسلمين ويحرم ما أحل الله من قتال الفئة الباغية ويعادي أولياء الله , ويوالي أعداء الله, فنذكرك الله يا بن عباس هل يسع هذا من فعله ويهتدي به ؟ قال: اللهم لا. وانصرف عنهم وهو مقر لهم ومعترف لهم أنهم قد خصموه ونقضوا عليه مما جاء به مما احتج به عليهم، فرجع ابن عباس إلى علي فلما رآه قام اليه وناجاه وكره أن يسمع أصحابه قولهم وحجتهم التي احتجوا بها فقال له علي: ألا تعينني على قتالهم؟ فقال ابن عباس: لا والله لا أقاتل قومًا قد خصموني في الدنيا، وإنهم يوم القيامة لي أخصم وعلي أقوى، إن لم أكن معهم لم أكن عليهم، واعتزل عنه ابن عباس رضي الله عنه، ثم فارقه وكتب إليه علي يؤنبه بمال أخذه من البصرة من بيت المال فقال له: قد عرفت وجه أخذي المال أنه كان بقية دون حقي من بعد ما أعطيت كل ذي حق حقه، قد علمت أخذي للمال من قبل قولي في أهل النهروان ولو كان أخذي المال باطلا كان أهون من أن أشرك في دم مؤمن، فاكفف عن القوم فأبى والله أعلا وأعلم".

وقال السيوطي في الإتقان إن عليًّا قال لابن عباس: لا تجادلهم بالقرآن ولكن بالسنة. وقال الشاعر العماني أبو مسلم الرواحي:

ليت الحكومة ما قامت قيامتها ... وليتها من أبي السبطين لم تصر

ملعونة جعلتها الشام جنتها ... من ذي الفقار وقد أشفت على خطر

عجّت بتحكيم عمرو بعدما حكمت همدان فيها بحكم البيض والسمر

تبًّا لها رفعت كيدًا مصاحفها ومقتضاهن منبوذ على العفر

مهلا أبا حسن إن التي عرضت زورآء في الدين كن منها على حذر

ضغائن اللات والعزا رقلن بها تحت الطليق وعثمانية الأشر

لا تلبسن أبا السبطين مخزية فذلك الثوب مطوي على غرر

لم تنتقل عبد شمس من نكارتها دم الكبود على أنيابها القذر

فما صحيفة صفين التي رقمت إلا صحيفة بين الركن والحجر

نسيت بدرًا وأحدًا يا أبا حسن وندوة الكفر ذات المكر والغدر

ويوم جاءك بالأحزاب صخرهم فاندك بالريح صخر القوم والذعر

وفتح مكة والأعياص كاسفة وأنت حيدرة الإسلام كالقمر

والقوم ما أسلموا إلا مؤلفة والرأي في اللات بين السمع والبصر

متى ترى هاشم صدق الطليق بها وثغرة الجرح بين النحر والفقر

ما لابن هند لثار الدار من غرض له مرام وليت الدار في سقر

لقد تقاعد عنها وهي محوجه حتى قضت فقضى ما شاء من وطر

تربص الوغد من عثمان قتلته فقام ينهق بين الحمر والبقر

ينوح في الشام ثكلى ناشرًا لهم قميص عثمان نوح الورق بالشجر

حتى إذا لف أولاها بأخرها بشبهة ما تغطي نقرة الظفر

أتاك يقرع طنبور الشقاق له روقان في الكفر من جهل ومن طبر

تعك عك نفاقًا خلف خطوته كأنها ذنب في عجمة الوظر

يدير بين وزيريه سياسته عمرو ابليس في ورد وفي صدر

متى جهلت أبا البسطين خطته وانت أعلم أعل الطين والوبر

حاكمته بعدما الحمته جزرا بعقر سبعين ألفاً عقرة الجزر

قلت: وكانت لمعاوية في دولته آثار محمودة، فقد تدارك الموقف وسد الثلمة وشرع في الجهاد وحماية البلاد، وركب البحر وافتتح مناطق مشهورة، وسدد وقارب، حتى نسي المسلمون -أو كادوا ينسون- ما وقع بينهم، وسمي ذلك العام عام الجماعه، وذلك بعد قتل علي وتسليم الحسن لمعاوية، ولما اجتمع بسعد بن أبي وقاص قال له: السلام عليك أيها الملك، فقال معاوية: ما ضرك لو قلت أمير المؤمنين؟! قال سعد: أتقولها وأنت تضحك. ولما قدم المدينة تلقاه الناس إلا الأنصار فعاتبهم، وقال: أين النواضح؟ فقال أبو قتادة: أفنيناها في طلبك وطلب أبيك.

التنبيه الثاني

في حكم الخوارج
وذكر شيء من
آدابهم وأخلاقهم

سئل الإمام علي عن أهل النهروان أَمُشركون هم؟ قال: من الشرك فَرُّوا. قيل: أمنافقون هم؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، ولكن إخواننا بَغَوا علينا. وقال: لا تقاتلوا الخوارج، فليس من قصد الحق فأخطأه كمن قصد الباطل فأصابه. وروى عنهم البخاري أحاديث قابلة للتأويل كقولهِ: يخرج في آخر الزمان وزمانه حديث. وأنت تدري أن فيهم عدداً من الصحابة فيجب احترام الصحابة وقول الحق فيهم، ونحمل الأحاديث الواردة في الخوارج في الصفرية والأزارقة الذين يسحيلون دماء أهل القبلة وسبي ذراريهم ونسائهم، أما المروي من قتل عبدالله بن خباب وزوجته فلم يصح أنه باتفاق من جميعهم، بل ثبت أن الأمام عليا يطالبهم في قتله حيث انظموا اليهم كما انضم إلى جيشة قتلة عثمان على حد قولهم. قال القطب بن يوسف الإباضي في أهل النهروان من يرى رأي الصفرية والأزارقة واستدل بما يروى عن عبدالله بن خباب وزوجته وبقول عبدالله بن وهب ما أدري إلى الجنة أم إلى النار يقوله لرجل قتل من الخوارج فقال: حبذا الروحة إلى الجنة، إذا وقع مثل هذا في جيوش الأئمة فلا تعاب لأجله، وفي فتح مكة اغتصب عقد أخت الصديق، ولقد فعل عمرو بن العاص ومعاوية بن خديج ما يشبه هذا، كحرق محمد بن أبي بكر الصديق في جوف حمار، وقول الإمام علي فيهم ليس بأشد مما رواه ابن الأثير أنه كان يقنت في صلاته فيلعن معاوية وعَمْرو أو غيرهما، وكان معاوية يلعن عليًا والحسن والحسين ومن معهم وفي كل جمعة ومنبر وقد علمت عذرهم من جهات:

أولا: أن إمامة الإمام علي لم تثبت بإجماع الصحابة حيث لم يدخل طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص. ثانيا: أن في خروج طلحة والزبير ومن معهما أسوة لخروج هؤلاء، فكيف يحق لأولئك الخروج ويحرم على هؤلاء، وكذلك القول في معاوية ومن معه. ثالثا: أن الإمام عليًا أعطى الحكمين العهد والميثاق على قبول ما يحكمان به، وقد حكما بخلعه، فلمن خرج عنه العذر تمسك بهذا. رابعا: ذكر الطبري أن الإمام عليا قبل التحكيم مكرها خوفا على نفسه، وعليه فقد سقطت إمامته لضعفه. خامسا: على رأي المسلمين ومنهم الإمام علي أن كل مجتهد مصيب، وهؤلاء اجتهدوا. سادسا: أن فيهم صحابة، وللصحابة مزية ليست لغيرهم. سابعا: لهم حرمة لا إله الا الله. أما ما روي أنهم يكفرون عليا أو يطلبون منه الاعتراف بالكفر، فهذا الكفر إن صح كفر النعمة، لا كفر الشرك، وهو ثابت بالكتاب والسنة. وقد ثبت عن الحسن البصري أنه كان يقول إذا ذكر عليا: لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرف النصر ويساعده الظفر حتى حكَّم، فلم تحكم أليس الحق معك، ألا تمضي قدما لا أبا لك، رواه المبرد في الكامل. وروي عن الإمام مالك بن أنس أنه قال وكان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول: والله ما اقتتلوا إلا على الثريد الأعفر، وهذا رأي قد استهوى جماعة من الأشراف. يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج، وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه، وكان صالح بن عبدالرحمن صاحب ديوان العراق يراه، وكان عدة فقهاء ينسبون إليه منهم: عكرمة مولى ابن عباس، قال: وكان يقال هذا في مالك بن أنس، قال المبرد: وكان مما حاربهم به المهلب بن أبي صفرة اختلاق الأحاديث عليهم، فقد كان يصنع الحديث ليشد به أزر قومه ويضعف به من أمر الخوارج ما اشتد ويقول:

إن الحرب خدعة وكان حي من الأزد إذارأوا المهلب خارجا قالوا: راح يكذب، وفيه يقول رجل منهم:

أنت الفتى كل الفتى لو كنت تصدق ما تقول

قال: ولعل هذا وأمثاله هو السر فيما ترى من أحاديث كثيرة ملأت بها كتب التاريخ والأدب في ذم الخوارج انتهى. قلت: وقد انتشرت هذه الأحاديث الصحيحة والمكذوبة، فارتبك فيها فطاحل من أهل العلم، تورطوا بها في سب الصحابة وشتمهم عصمنا الله من الزلل وثبتنا في القول والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ومن تلك الأحاديث الصحيحة ما رواه الربيع بن حبيب محدث الإباضية عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية" إلى آخر الحديث. قال نور الدين السالمي في عنوانه "ما جاء في علماء السوء": وذكر في البخاري سبب هذا الحديث أن أبا سعيد الخدري قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، إذ أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله أعدل، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل، فقال عمر: يا رسول الله إيذن لي فيه فأضرب عنقه، فقال: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم... ثم ساق الحديث مع زيادة في آخره واختلاف في بعض الألفاظ، وذكر في آخره أن آيتهم رجل أسود إحدى عضدية مثل ثدي المرأة ومثل البضعه تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس،

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته , وهذه الزيادة لم يروها جابر بن زيد وهو قد سمع الحديث من أبي سعيد أيضا , أتراه يأخذ من أبي سعيد ويسمع منه ذلك ثم يتولى من كان هذا وصفه, كلا بل هو أورع من ذلك وقد أدرك عصر الصحابة وسمع من كثير منهم, وإني لأنزه البخاري عن الكذب، ولكنه يأخذ عن أهل الأهواء كالشيعة والمرجئة ثقة بهم، وأن لهم أهواء لا يؤمنون معها على نقل يخالف ما فيه، وكيف يصح ذلك وهذا الحسن بن علي تلقى أباه حين دخل الكوفة فقال: يا أبتي أقتلت القوم ؟ قال: نعم, قال: لا يرى قاتلهم الجنة, قال: ليت أني أدخلها ولو حبوًا. ولما فقد علي تلك الأصوات بالليل كأنها دوي النحل قال: أين أسود النهار ورهبان الليل؟ قالوا له: قتلناهم يوم النهر.

وفي السير من كتاب النهروان: حدثني مسعود بن الحكم الهمداني أن ابن عباس قال للحسن: إنكم لأحق بيت في العرب أن تتيهوا كما تاهت بنو إسرائيل، قمتم بكتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، فجاهدتم بها ثم جعلتم حكما على كتاب ربكم ثم قتلتم خيار المسلمين وفقهاءهم وقد أفنوا المخ واللحم وأجهدوا الجلد والعظم من العبادة وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله.

وفي السير أيضًا عن الحصين بن نوفل عن ابن عباس قال: أصاب أهل النهر السبيل أصاب أبو بلال السبيل.

وفي السير أيضًا من كتاب النهروان: وحدثني مسعود بن عبدالله بن شداد أنه قدم المدينة فأرسلت إليه عائشة فقال: يا عبدالله لم قتل علي أصحابه؟ فحدثها

بالقصة كلها، فقالت: ظلمهم، قالت: هل تسمى أحدًا ممن قتل؟ قال: نعم حرقوص بن زهير السعدي، فاسترجعت وقالت: أشهد أن رسول الله ﷺ كان في منزلي قال: يا عائشة أول رجل يدخل من هذا الباب من أهل الجنة، فدخل حرقوص ولحيته تقطر ماء، وقال ذلك في اليوم الثاني فدخل، وكذلك في اليوم الثالث، قالت: ومن؟ قلت: زيد بن حصن الطائي، فبكت وقالت: والله لو اجتمعت الأمة على الرمح الذي طعن به زيد لكان حقًا على الله أن يكبهم جميعًا في النار.

ولما التحم القتال في النهروان من الغداة إلى الأصيل، وعلي واقف ومعه أبو العقيصة، فسمعه يقول: والله إن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين وأصحاب القرآن إذا تلي القرآن، فقال له: نحن إذًا فضرب فرسه فلحق بهم وقتل فيها.

وعن ابن عباس قال: حدثني قمبر مولى علي قال: تحولت أنا وعلي إلى النهر بعد القتال فانكب طويلاً يبكي، فقال: ما يبكيك؟ قال: ويحك صرعنا خيار هذه الأمة وقراءها، فقلت: أي والله فابك، وبكى طويلاً، ثم قال: جذعت أنفي وشفيت نفسي، فأظهر الندامة على قتله إياهم. وقال له رجل: هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا، قال: ويحك أولئك أهل التوراة والإنجيل. قال له آخر: والله ما بين الطريقين طريق إن كان أمر الحكمين هدى فقد ضللت بنقضك عهدك وبراءتك منهما، وإن كان ضلالة لقد ضللت بقتلك أهل النهر إذ نهوك عن الضلالة.

وفي السير أيضًا من كتاب النهروان: عن جابر بن زيد أن عليًا أظهر الندامة للناس قيل له: قتلت قومًا وأظهرت الندامة عليهم، وطفقت تمدحهم وتزين أمرهم لتخلعن أو لتقتلن، فلما أصبح قال: ابتغوا في القتلى رجلاً فوجدوا نافعا مولى ترملة صاحب رسول الله ﷺ وكان صالحًا مجتهدًا قطع الفحل يده فقال: هذا هو؟ فقال له الحسن: هذا نافع مولى ترملة، قال له: اسكت الحرب خدعة، وهذا الرجل هو الذي التبس به على القوم أمر دينهم وظنو أنه علامة للباطل. فهذه بعض الآثار الموجودة في أهل النهر رضوان الله عليهم، قال: والكلام في استقصائها طويل، وللقوم في ذلك أهوية حملت بعضهم على وضع أحاديث في القضية، وبعضهم على تأويل الصحيح على غير وجهه، فالله المستعان.

قال القطب: وترى المخالفين يروون أحاديث لم تصح عن رسول الله ﷺ، وقد يصح الحديث ويزيدون فيه، وقد يصح الحديث ويؤولونه فينا، وليس فينا، ثم ذكر تأول علي بن أبي طالب للحديث في أهل النهر، وكذا تأول أبي أمامة حديثا رواه أيضًا وتأوله فيمن أنكر التحكيم، وهذا تأويل لم يقم عليه دليل, وكيف لا يحمل الحديث على عباد قومنا مع ما ترى من اجتهادهم, فإنَّ أصحابهم يؤثرون عنهم أشياء من التلاوة والعبارة نحقر صلاتنا مع صلاتهم وصيامنا مع صيامهم فلعل الحديث فيهم, فيكون لكل تأويله وهذا إلزام للخصم بنظير قوله, وأما الحديث فهو عندنا في علماء السوء وفي كل من خالف عمله كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ؛ لحديث عبادة بن الصامت الآتي في باب الإمارة، وفيه: ستكون عليكم أمراء يقرأون كما تقرأون ويعملون ما تنكرون، ويمكن أن يحمل على غلاة الخوارج من الأزارقة والصفرية القائلين بشرك أهل

الكبائر، فإنهم يجتهدون في التحرر والعبادة لئلا يقعوا في الشرك، ويؤيده ما روى عن رسول الله ﷺ يقول (وهوى بيده إلى العراق): يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، وحمله على كل من خالف الحق في عبادته أظهر، كما يدل عليه ظاهر قوله عليه السلام يخرج فيكم قوم إلى آخره، فإن لفظ في تدل على أن الخروج بمعنى الوجود بعد العدم والمعنى يوجد فيكم قوم هذا وصفهم. قال: واعلم أن اسم الخوارج كان في الزمان الأول مدحًا؛ لأنه جَمعُ خارجة وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى، قال الله عزوجل ﴿وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ التوبة: ٤٦ ثم صار ذما؛ لكثرة تأويل المخالفين أحاديث الذم فيمن اتصف بذلك آخر الزمان، ثم زاد استقباحهُ حين استبد به الأزارقة والصفرية، فهو من الأسماء التي اختفى سببها وقبحت لغيرها، فمن ثم ترى أصحابنا لا يتسمون بذلك وإنما يتسمون بأهل الاستقامة؛ لاستقامتهم في الديانة. وعكس هذا الاسم تسمية أهل السنة؛ فإنه كان في الزمان الأول قبيحًا؛ لكون المراد بالسنة التي سنها معاوية في سب علي وشتمه في المنابر، فصار ذلك سنة ينشؤ عليها الصغير ويموت عليها، حتى غيَّرها عمر بن عبد العزيز في خلافته، فأهل ذلك الحال هم السنة في ذلك الزمان، ثم اندرس هذا السبب واختفى وظنوا أن السنة سنة النبي ﷺ، فتمدحوا بذلك وجمعوا بين المتضادين في الولاية، وهم يعلمون أن الحق مع فريق منهم، وخالفوا سنته الأولى حين صارت الدولة لبني العباس من بني هاشم. قلت: روى هذا كله المسعودي والحاكم في تسميتهم بالسنية.

قال أحمد أمين في ضحى الإسلام الجزء الثالث: لقد كان في الخوارج كل العناصر التي تكون الأدب، عقيدة راسخة لا تزعزعها الأحداث وتحمس شديد لها تهون بجانبه الأرواح والأموال، وصراحة في القول لا تخشى بأسا ولا ترهب أحدًا، وديمقراطية حقه لا ترى الأمير إلا كأحدهم ولا العظيم إلا خادمهم، ورسموا الطريق الذي ينبغي أن يسلكوه رسمًا مستقيما واضحًا لا عوج فيه ولا غموض، يجب أن يعدل الخليفة والأمراء وإلا يقاتلوا حتى يعزلوا أو يقتلوا، ويجب أن يسير المسلمون حسب نصوص الكتاب والسنة من غير أن ينحرفوا عنها قيد شعرة، وإلا يقاتلوا ليحل محلهم مسلمون مخلصون طاهرون، ويجب أن يسلك السبيل إلى ذلك من غير تقية ولا مجاملة ولا مواربة، ويجب أن يقابل الواقع كما هو، ويشخص كما هو، ويعالج كما هو، على طريقة عمر بن الخطاب لا على طريقة عمرو بن العاص، ووراء ذلك كله نفوس بدوية غالبة فيها كل الاستعداد للقول وفصاحة اللسان، وفيها كل ما تعهده في البدوي من قدرة على البيان وسرعة في البديهة وأداء للمعنى بأوجز عبارة وأقوى لفظ، من هذا كله نرى الخارجي قد اجتمعت له العاطفة القوية والأداة الصالحة للتعبير عنها، وهذا الذي ذكرنا قد جعل لأدبهم لونًا خاصًا غير لون الأدب المعتزلي وغير لون الأدب الشيعي؛ أدب المعتزلة أدب فلسفي فيه عنصر المعاني أغلب وأقوى، وأدب الشيعة أدب باك أو أدب حزين على فقدان الحق أو أدب غضبان على أن الخلافة لم توضع موضعها، أما أدب الخوارج فأدب القوة أدب الاستمانة في طلب الحق ونشره وأدب التضحية، فلا تستحق الحياة البقاء بجانب العقيدة، وأدب التعبير البدوي الذي لا يتفلسف ولا يشتق المعاني ويولدها كما يفعل المعتزلة، هو في بعض الأحيان أدب غضبان ولكنه ليس غضبـــًا من جنس

غضب الشيعة، فالشيعة يغضبون لشخص أو أشخاص ولكن الخوارج يغضبون للعقيدة وللإسلام عامة، بقطع النظر عن الأشخاص، وإن نظروا للأشخاص ففي ضوء العقيدة لا كما يفعل غيرهم من النظر إلى العقيدة في ضوء الأشخاص، وقد يرثون ويبكون ولكنهم حتى في رثائهم وبكائهم أقوياء يذرفون الدمع ليسفكوا الدم، ويبكون الميت ليشجعوا الحي، ويندبون المفقود ليرسموا المثل الأعلى للموجود، لا يعرفون هزلا في الحياة؛ فلا يعرفون هزلا في الأدب ولا يعرفون خمراً ولا مجوناً، فلا نجد في أدبهم خمراً ولا مجوناً إنما يعرفون الجهاد والقتال والتربية المتزمتة القاسية التي تخرج رجالا أقوياء لا يحرصون على الحياة، فكذلك أدبهم، كالذي روى أن مروان أخا يزيد لأمه دخل وهو صغير على عبد الملك بن مروان يبكي لضرب المؤدب له فشق ذلك على عبدالملك وكان عنده أحد الخوارج، فقال له الخارجي: دعه يبكي فإنه أرحب لشدقه وأصح لدماغه وأذهب لصوته وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها، لا يحبون الكذب ولا يحبون المعاصي فكانوا كما قال المبرد: والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة فكذلك أدبهم، قال قائل:

لقد زادَ الحياةَ إليَّ حبًّا بناتي أنهن من الضِّعافِ

فقال عمران بن حطان الخارجي:

لقـد زاد الحيـاةَ إليَّ بُغضـًا وحبـًّا للخـروج أبـو بـلال

أحاذر أن أموتَ علـى فراشي وأرجو الموتَ تحت ذُرى العوالي

فمـن يك همـه الدنيـا فإني لـها واللهِ ربِّ العرش قـالي

ويقول قائلهم:

ومـن يخـش أطـراف المنايـا فإننـا ... لبسنا لهـن السـابغات مـن الصـبر
فـإن كريـه المـوت عـذب مذاقـه ... إذا مـا مزجنـاه بطيـب مـن الـذكر
ومـا رزق الإنسـان مثـل منيـة ... أراحـت مـن الدنيا ولم تخز في القـبر

إلى أن قال (وروى أبيات عيسى بن فاتك):

فلمـا أصـبحوا صـلوا وقـاموا ... إلى الجـرد العتـاق مسـومينا
فلمـا اسـتجمعوا حملـوا علـيهم ... فظـل ذوو الجعائـل يقتلونـا
بقيـة يـومهم حـتى أتـاهم ... سـواد الليـل فيـه يراوغونـا
يقـول بصـيرهم لمـا رآهـم ... بـأن القـوم ولـوا هاربينـا
ألفـا مـؤمن فيمـا زعمـتم ... ويهـزمهم بآسـك أربعونـا
كـذبتم لـيس ذاك كمـا زعمـتم ... ولكـن الخـوارج مؤمنونـا
هـم الفئـة القليـلة غيـر شك ... علـى الفئـة الكثيـرة ينصرونا
أطعـتم كـل جبـار عنيـد ... ومـا مـن طاعـة للظالمينا

ومن أجل هذا كان كلامهم كسهامهم وخطبهم كقلوبهم، يصفهم عبدالله بن زياد فيقول: لكلام هؤلاء أسرع إلى القلوب من النار إلى اليراع، ويروي المبرد أن عبد الملك بن مروان أتى برجل منهم فبحثه فرأي منه ما شاء فهما وعلماً ثم بحثه فرأي منه ما شاء أربا ودهياً، فرغب فيه واستدعاه للخروج عن مذهبه فرآه مستبصراً محققاً، فزاده في الاستدعاء فقال له: لتغنك الأولى عن الثانية، وقد قلت فسمعت فاسمع أقل، قال له: قل، فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة، فقال عبد الملك: لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم، وأني أولى بالجهاد منهم. لقد كانت ثقافة الخوارج بحكم غلبة البداوة عليهم ثقافة عربية خالصة لا أثر فيها لفلسفة اليونان

كما هو الشأن في ثقافة المعتزلة، ولا أثر فيها لثقافة الفرس كما هو الشأن في الشيعة. الخوارج ثقافة أدبية لغوية على نمط العرب في ثقافتهم، وثقافة إسلامية على النمط المعهود في عصرهم، من تفهم للكتاب والسنة في سهولة ويسر، فإن جادلوا في الدين فاحتجاج بظواهر النصوص وتمسك بحرفيتها، فكان على أدبهم هذا الطالع، لقد كان مظهر أدبهم من جنس أدب العرب لا كتب تؤلف ولا بحوث تصنف ولا موضوع يحلل، ولكنه شعر كثير وخطب كثيرة وحكم منثورة، وقد أنتجوا في هذا نتاجاً ضاع كثيره وبقي قليله، ولو لم يحفظ لنا المبرد في كتابه الكامل طائفة صالحة منه لعمى علينا أمره، وقد دلنا هذا القليل المروي على الكثير الضائع، كما لم يبق في أيدينا على ما أعلم من دواوينهم إلا ديوان الطرماح الشاعر. انتهى المراد منه.

قلت: وفي ديوان الإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي الأباضي مظاهر حية وبسالة نادرة. وقال أبو بلال المرداس بن حدير يرثي عبدالله بن وهب ومن قتل معه بالنهروان:

أبعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى ... ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحب بقاءً أو أرجّي سلامة ... وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا

فيا ربِّ سلِّم نيَّتي وبصيرتي ... وهبني التقى حتى ألاقي أولائكا

وذلك سنة ثمان وثلاثين للهجره وقال العلامة ابن النضر العماني:

بالنهروان وقعة لم تجهل فكم هناك من فتى مُجَندل

معفر في دمه مزمّل أشعث في أثوابه لم يغسل

قد كان غيثاً للعُفاة النُّزَّل ولليتامى والضعيف المُرمَّل

يبيت في محرابه المستقبل محكّم لربه مهلل

ينحب إشفاقاً بدمع مسبل لقلبه في صدره كإفكل[1]

مبتهل يدعو بقلب وجل حران في ليل التمام الأليل

منتصب لربه مبتهل يسأله جائزة التقبل

في جزع منه وفي تنصُّل لا يطعم الغمض مع التململ

بات على القرآن في تبتُّل يهذّه بصوته المرتل

مثل الأساطين بصدر المجدل[2]

وسيأتي الباقي في ذكر أقوال الموافقين والمخالفين في المذهب الأباضي.

وللشاعر العماني أبي مسلم الرواحي:

بني هاشم عمداً ثللتم عروشكم وفي عبد شمس نجدة وظهور

على غير ذنب إنكار قسطهم وللجور في نفس المحق نكير

---

١) الأفكل: الرعدة.

٢) الأساطين جمع أسطوانة، وهي السارية. والمجدل: القصر.

قتلتم جنودًا حكموا الله لاسوى ... وقالوا عَلَيّ لا سواه أمير

فيا لَدماء في حروراء غودرت ... تمور وأطباق السماء تمور

وأنفس صدِّيقين أزهقها الردى ... وشقت عن التقوى لهن نحور

مخردلة الأشلاء للطير في الفلا ... وهن بجنَّات النعيم طيور

على جنبات النهروان عقائر ... كما عقرت بالمشعرين نذور

أبيد خيار المسلمين بضحوة ... كما نحرت للميسرين جزور

يعجون بالتحكيم لله وحده ... وهامهم تحت العجاج تطير

فيا أمة المختار هل فيك غيرة ... فإن محب الله فيه غيور

ويا ظهرة الإيمان هل فيك منعة ... وهيهات عزت منعة وظهور

ويا لرجال الله أين محمد ... وناصره بالنهروان عقير

ولو وقعة كانت بعين محمد ... لما قر عيناً أو يزول ثبير

فمن لصدور الخيل فوق صدورهم ... ولله في تلك الصدور بحور

تطل دماء المؤمنين على الهدى ... وخيل ابن صخر في البلاد تغير

ويعصى ابن عباس إذا لمّ شعثها ... ويسمع فيها أشعث وجرير

على أن علت فوق الرماح مصاحف ... ونادوا إلى حكم الكتاب نصير

مكيدة عمرو حين رثث حباله ... وكادت بحور القاسطين تفور

أبا حسن ذرها حكومة فاسق ... جراحات بدر في حشاه تفور

أبا حسن أقدم فأنت على هدى ... وأنت بغايات الغوي بصير

أبا حسن لا تعطين دنيَّة ... وأنت بسلطان القدير قدير

أبا حسن لا تنس أحداً وخندقاً ... وماجر عير قبلها ونفير

أبا حسن أين السوابق غودرت ... وأنت أخوه والغدير غدير

أبا حسن إن تعطها اليوم ولم تزل ... يحل عراها فاجر ومبير

أبا حسن أطلقتها لطليقها ... وأنت بقيد الأشعري أسير

أتحبس خيل الله عن خيل خصمه ... وسبعون ألفا فوقهن هصور

أثِرها رعالاً تنسف الشام نسفة ... بثارات عمار لهن زفير

وصك ثغور الفاسقين بفيلق ... له مدد من ربه فظهير

فلم يبق إلا غلوة وتحسهم ... ويبكي ابنَ صخر قبة وسرير

فما لك والتحكيم والحكم ظاهر ... وأنت عليٌّ والشآمُ تمور

أفي الدين شك أم هوادة عاجز ... تجوّزتها أم ذو الفقار كسير

يبيت قرير الجفن بالجفن لاصقاً ... وجفن حسام ابن اللعين سهير

فلا جبرت حدَّاه إن ظل مغمداً ... وهنديّ هند منجد ومغير

ولا جبرت حداه يوم سللته ... له في رقاب المؤمنين صرير

أتغمده عن عبد شمس وحزبها ... ويلفح حزب الله منه سعير

فما لك والأبرار تنثر هامهم ... كأنك زرّاع وهنّ بذور

ذروتهم عصفاً وتبكي عليهم ... بلى فابك خطب بالبكاء جدير

فما هي إلا جذعة الأنف ما شفت ... غليلا وجرح لا يزال يفور

ستحصد هذا الزرع مهما تقصدت ... عراقك لا يلوي عليك ضمير

تنازعها سل السيوف فتلتوي ... وتخطب فيها والقلوب صخور

قتلت نفير الله والريح فيهم ... وأصبحت فذاً والنفير نفور

نشدت دوي النحل لما فقدتهم ... ويعسوب ذاك النحل عنه خبير

أرقتَ دماء المؤمنين بريئة ... لهن بزيزاء الحراء خرير

عليًّا أمير المؤمنين بقية ... كأن دماء المؤمنين خمور

سمعناك تنفي شركهم ونفاقهم ... فأنت على أي الذنوب نكير

وما الناس إلا مؤمن أو منافق ... ومنهم جحود بالإله كفور

وقد قلت ما فيهم نفاق ولا بهم ... جحود وهذا الحكم منك شهير

فهل أوجب الإيمان سفك دمائهم ... وأنت بأحكام الدماء بصير

تركتهم جزر السباع عليهم ... لفايف من إيمانهم وستور

مصاحفهم مصبوغة بدمائهم ... عليهن من كتب السهام سطور

وكنت حفياً يا بن عم محمد ... بحفظ دماء ما لهن خطير

وكنت حفياً أن يكونوا بقية ... لِنصرك حيث الدايرات تدور

أما والذي لا حكم من فوق حكمه ... على خلقه ورد به وصدور

لقدماً أعاروك الجماجم خشعاً	عليهم من قرع الصفاح فطور
فقصعتها إذ حكمت حكم ربها	فما بقيت عارية ومعير
فيا أسفاً من سيف آل محمد	على المؤمنين الصالحين شهير
نبا عن رؤوس الشام في الحق وانثنى	على ثفنات العابدين يجور
أحيدرة الكرار إن خياركم	وقراءكم تحت السيوف شطور
أحيدرة الكرار تابعت أشعثاً	وأشعث شيطان ألدَّ كفور
أعشرون ألفا قلبهم قلب مؤمن	بأوجههم نور اليقين ينور
بهاليل أفنوا في العبادة أنفساً	لهم أثر في الصالحين أثير
أسود لدى الهيجا رهابين في الدجى	أناجيلهم وسط الصدور سطور
وفي القوم حرقوص وزيد وفيهم	أويس ومن بدر هناك بدور
ومن بيعة الرضوان فيهم بقية	بأيديهم منها ندى وعبير
أكلتهم في فطرة صايم	فكيف أبا السبطين ساغ فطور
فيافتنة في الدين ثار دخانها	وذاك إلى يوم النشور يثور
نجونا بحمد الله منها على هدى	فنحن على سير النبي نسير
بصايرنا من ربنا مستمدة	إذا اشتبهت للمارقين أمور
وثقنا بأن الدين عروة أمرنا	وما شذَّ عنه فتنةٌ وغرورُ

قال في كتاب بيان الشرع (وهو من الكتب العمانية القديمة المعتبرة المعتمدة): قيل لما قتل علي بن أبي طالب أهل النهروان أمر بعيابهم فجمعت، فإذا مصاحف وترايس، فذكروا أنه أصيب في عسكرهم أربعة آلاف مصحف إلا مصحف، فبكى علي حتى كادت نفسه تخرج. ويقال: إنه دخل على ابنته أم كلثوم فهنأته بالظفر بهم، فقال علي: أصبح أبوك من أهل النار إن لم يرحمه الله.

قال ابن الأثير: قيل وأخذ ما في عسكرهم من شيء، فأما السلاح والدواب وما شهدوا به عليه فقسمه بين المسلمين، وأما المتاع والإماء والعبيد فإنه رده إلى أهله حين قدم.

وعند فقهاء الإباضية أن عليًّا مستحل في قتلهم، وأنه تجزيه التوبة من غير عزم، وهذا هو حكم المستحل إن أراد التوبة، بخلاف الذي يأتي الشيء وهو يعلم أنه حرام، فهذا لا توبة له إلا برد المظالم والتخلص إلى أربابها.

والحاصل أن أهل النهروان قوم قاتلوا مع علي يوم الجمل وقاتلوا معه يوم صفين وهم حريصون على بقاء إمامته وتوفير دولته وبذل النفس والنفيس في نصرته، فلما حكَّم أخذهم الغيظ فاعتزلوه وقتلهم وقتلوه وما أشبههم بعمر بن الخطاب إذ استنكر صلح الحديبية مع النبي ﷺ لكن رده الوحي إلى الحق، وهنا انقطع الوحي ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ الأحزاب: ٣٦ فانقرضوا وهم للصلاة قائمون وللزكاة فاعلون وللمعروف آمرون وعن المنكر ناهون وعلى الخيرات محافظون، وفيهم القراء والصحابة الأكرمون، ففي النهار هم صائمون

وفي الليل قائمون وللقرآن تالون، ﴿ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ هود: ٣٨.

وأكثر ما عيبوا به كثرة الصلاة وتلاوة القرآن والعبادة التي هي صفات الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ السجدة: ١٦. ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ الفرقان: ٦٣. ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ الفرقان: ٦٤. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ١ - ٤ الآيات..

ولست في هذا أدافع عن الصفرية والأزارقة والنجدية الغالين، ولكن عن الصحابة الأكرمين والخلفاء الراشدين الذين لو أنفق أحدنا ملء الأرض ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه، ولا وجه أحدنا يبلغ تراب أقدامهم، إلا أني أستحسن أدب الخوارج، كقول الفارعة ترثي أخاها الوليد الشيباني:

بتلِّ نُهاكَى رسم قبرٍ كأنه ... على جبلٍ فوق الجبال مُنيفِ

تضمَّنَ مجداً عدلمياً وسؤدداً ... وهمة مقدامٍ، ورأي حصيفِ

فيا شجر الخابور مالك مورقاً ... كأنك لم تحزن على ابن طريفِ

فتىً لا يحبُّ الزاد إلا من التقى ... ولا المال إلا من قنى وسيوفِ

ولا الذخر إلا كلا جرداء صلدمٍ ... معاودةٍ للكرِّ بين صفوفِ

كأنك لم تشهد هناك ولم تقُمْ ... مقاماً على الأعداء غير خفيف

ولم تستلم يوماً لوردٍ كريهةٍ من السرد في خضراء ذات رفيف
ولم تسعَ يوم الحرب، والحربُ لاقحٌ وسمرُ القنا ينكزنها بأنوفِ
حليف الندى ماعاش يرضى به الندى فإن مات لا يرضى الندى بحليف
فقدناك فقدان الشباب وليتنا فديناك من فتياننا بألوفِ
وما زال حتى أزهق الموت نفسه شجى لعدو أو نجا لضعيف
ألا يا بقومي للحمام وللبلى وللأرض همت بعده برجوف
ألا يا لقومي للنوائب والردى ودهرٍ ملحٍّ بالكرام عفيفِ
وللبدر من بين الكواكب إذهوى وللشمس لما أزمعت بكسوف
ولليث كل الليث إذ يحملونه إلى حفرة ملحودة وسقيف
ألا قاتل الله الحشى حيث أضمرت فتى كان للمعروف غير عيوف
فإن يكُ أرداه يزيد بن مزيدٍ فرُبَّ زحوفٍ لفها بزحوفِ
عليه سلام الله وقفًا فإنني أرى الموت وقاعًا بكل شريفِ

وقالت ايضاً:

ذكرتُ الوليدَ وأيّامَهُ إذِ الأرضُ من شَخْصه بَلْقَعُ
فأقبلتُ أطلبه في السَّماء كما يبتغي أنْفَه الأجْدَعُ
أضاعك قومُك فليطلبوا إفادةَ مِثْلِ الذي ضَيَّعُوا
ولو أن السُّيوفَ التي حَدُّها يصِيبُك تَعلَمُ ما تصنَع
نَبَتْ عنكَ أو جعلتْ هيبةً وخوفاً لصَوْلِك لا تَقْطَع

خاتمة

في فضل الصحابة ومنزلتهم رضي الله عنهم

خاتمة في فضل الصحابة ومنزلتهم رضي الله عنهم

لقد أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم في كتابه العزيز في كثير من القرآن العظيم ولو لم يكن فيهم إلا قوله جل وعلا: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ الفتح: ٢٩ وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح: ١٨ وقوله تعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١٠٠ ... الآيات.

وفي البخاري عن عمران بن حصين قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" والأحاديث في فضلهم كثيرة عامة وخاصة، ولا تكاد تجد واحدًا منهم إلا وله مزية خاصة به، رضي الله عنهم وجازاهم عن الإسلام وعن نبيه خيرًا.

فإن قلت: قد ثبت أن فيهم الزاني والسارق والقاتل والفاسق والسكران، وقد رجم رسول الله ﷺ زانيهم، وقطع يد سارقهم، وقتل القاتل، وحكم الله على حديث الفاسق منهم بالتبين، وجلد السكران... قلت: هذه الآيات والأحاديث عامة، واختلف العلماء في حكم العام، فقالت الحنفية: إن حكم العام إثبات

الحكم في جميع ما يتناوله من الأفراد قطعًا ويقينا، وذهبت الأباضية والشافعية وجمهور المتكلمين إلى أن إثبات ذلك الحكم في الأفراد ظنًا لا قطعا ويقينا، والدليل على القول الأخير قول الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ الفتح: ٢٩ فربط مغفرة ذنوبهم وثوابهم إذا قرنوا الإيمان بالعمل الصالح "قل آمنت بالله ثم استقم". وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ الفتح: ١٠ فدلت أن في المبايعين تحت الشجرة من يحتمل نكثه، وقوله تعالى حكاية عن الملائكة ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ الشورى: ٥ قيدها بقوله ﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ غافر: ٧ لأن أهل الأرض فيهم المشرك ومن لا يستحق الاستغفار، وقوله تعالى في ريح عاد ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴾ الذاريات: ٤٢ وقوله تعالى في ذكر بلقيس ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ النمل: ٢٣ فإن قلت: فما القول في البراءة من العاصي منهم؟ قلت: هم كغيرهم؛ بدليل أن النبي ﷺ بريء من الثلاثة الذين خلّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وقصتهم مشهورة مجمع عليها، وهذا هو معنى البراءة التي هى بغض العاصي وحب المطيع، وهذه البراءة لا تنافي سعادتهم في الآخرة، فهي نوع قطع يد السارق ورجم الزاني المحصن، قال ﷺ: "حكمي على الواحد حكمي على الجماعة"، وقال عمار بن ياسر لعائشة رضى الله عنها: "نعلم أنك زوجة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن لا نتركك تعصين الله بين أظهرنا"، وكان الإمام علي يلعن معاوية وعَمْرًا في صلاته كما قال ابن الأثير وغيره، والصحابة أسوة وقدوة، لكن اللعن عندنا غير مستحسن وما بعبادة، قال رسول الله ﷺ: "اذكروا

الفاسق بما فيه يحذره الناس"، وقال الله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ البقرة: ٨٣ مطيعهم وعاصيهم، وفي المبرد قال عمرو بن العاص لعائشة رضي الله عنها: لوددت أنك قتلت يوم الجمل، فقالت: ولِمَ؟ لا أبالك، فقال: كنت تموتين بأجلك وتدخلين الجنة ونجعلك أكبر التشنيع على علي.

هذا هو المذهب الوسط الذي اعتمده الإباضية، عكس اعتقاد فرق الخوارج الذين يحكمون بشرك المرتكب الكبيرة، وعكس معتقد غيرهم الذين يعذرون العاصي منهم ويتولونهم، وهم مع هذا كلامهم متناقض؛ فتراهم يعذرون بعضا ويشتمون بعضًا، وإذا أعيتهم الحجج والأدلة نسبوا اللوم والشتم إلى الضعفاء، فالزط والسبائية وابن الكواء وغيرهم إنما يقاتلون تحت قيادة السادة الصحابة، فلو أمسك أولئك واعتزلوا القتال اعتزل هؤلاء.

فإن قلت: فما القول في عدالتهم؟ قلت: هم عدول، إلامن صح منه أنه يستحل الانتهاك، فقد أورث الشبهة في قوله. روى الطبري وابن الأثير وغيرهم من المؤرخين حديث خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة، وأنهم وردوا بالليل ماء يقال له "الحوأب" عليه أناس من بني كلاب، فقالت عائشة: ما اسم هذا الماء؟ فقال السائق: الحوأب، فاسترجعت وقالت: ردوني إلى حرم رسول الله، وذكرت أن رسول الله عليه السلام قال: كلاب ماء يقال له الحوأب قد تنبح امرأة من نسائي وهي فيه راكبة معصية، فقال عبدالله بن الزبير: ليس هذا بالحوأب وقيل القائل الزبير، وكان في ساقة الناس. قال المسعودي: وهو من ولد عبدالله بن مسعود فلحقاها فأقسما أنه ليس بالحوأب، وشهد معهما خمسون ممن كان معهم. قال: وذلك أول شهادة زور في الإسلام.

وقال أحمد أمين في كتابه "ضحى الإسلام": "وللمعتزلة بعد ذلك آراء سياسية في الإمامة وفي أحداث التاريخ الإسلامي، وإن لم يتفقوا عليها اتفاقهم على الأصول الخمسة السابقة، وهم وإن اختلفوا فيما بينهم في آرائهم فعلى قولهم جميعاً مسحة من حرية الرأي وتسريح المسائل ووضعها موضع النقد، وفي كلامهم ما يدل دلالة واضحة على أنهم وضعوا الصحابة والتابعين موضع الناس يخطئون ويصيبون ويصدر منهم ما يمدح وما يذم، ولم يتحرجوا من ذلك كما تحرج غيرهم، فوضعوا الصحابة وكبار التابعين في دائرة لا يستباح مهاجمتها، بل قالوا: إنا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضًا، فلو كانت الصحابة عند أنفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها؛ لأنهم أعرف بمحلهم من عوام دهرنا، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي، وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف، وكالذي روى عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية، ونسبهما إلى سرقة مال الفيئ واقتطاعه، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده، إلى كثير من أمثال ذلك ما رواه التاريخ.
قالوا: وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك، ويقولون في العصاة منهم هذا القول وإنما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك، والصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم كبير فضل إلا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم؛ لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات، فمعاصينا أخف، لأننا أعذر" انتهى.

قلت: بل روي عن بعض أعلام أهل البيت النبوي أنه قال: ذنوبنا أعظم من ذنوب الناس قياسًا على زوجات النبي ﷺ؛ إذ قال الله في شأنهن ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِ﴾ الأحزاب: ٣٠ ، وفي مسند الربيع وغيره من كتب الإباضية أحاديث كثيرة عن الخلفاء الأربعة وعن الصحابة، حتى عن مروان ومعاوية وهي صحيحة معمول بها، وفي صحيح مسلم لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤ دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، فقال: "يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار، يابني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لك من الله شيئًا، إن لكم رحما سأبلها ببلالها[١] ولا أغني عنكم من الله شيئًا". وفي الترمذي من حديث ابن عمر: "والذي نفسي بيده، لو كانت فاطمة سرقت لقطعت يدها"، فقطع يد المخزوميه في البخاري "ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصيحابي -وفي نسخة أصحابي- فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ المائدة: ١١٧ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم" ورواه الربيع بن حبيب مطولا.

---

١) ومعنى سأبلها ببلاها أي أصلكم في الدنيا.

قال القطب: "وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر، ويقطع لهما بالجنة". ولم يثبت مع علماء الأباضية أحاديث القطع بالجنة للعشرة المبشرين بالجنة، وهي على كل حال آحادية رضي الله عن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعي التابعين إلى يوم الدين.

الباب الثاني

في التابعين وإنشاء المذهب الأباضي

فصل

جابر بن زيد

الباب الثاني في التابعين وإنشاء المذهب الأباضي

فصل جابر بن زيد

قال ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين بعدما ذكر المفتين من الصحابة ذكر التابعين، وابتدأ بأهل المدينة وفقهائها، وثنى بمكة المكرمة وفقهائها وثلث بالبصرة الغرّاء وذكر من فقهائها المفتين الموقعين عن رب العالمين أبا الشعثاء جابر بن زيد.

قلت: هو ثقة بإجماع المحدثين والفقهاء، وأحاديثه في البخاري ومسلم وأبي داود، وله المدونة الكبرى، ذكرها في كشف الظنون، قال القطب: وقر بعير، وقيل وقر عشرة أبعرة، كانت بالمكتبة الكبرى في بغداد، وأخذ منها بعض علماء نفوسة نسخة في زمان الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن الفارسي، من أئمة القرن الثاني والثالث للهجرة، ولكنها ضاعت ولم نجدها.

ولد جابر سنة واحد وعشرين، وقيل سنة اثنتين وعشرين، وقيل سنة ثماني عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتوفي عام ثلاثة وتسعين على ما رواه الإمام أحمد، وقيل سنة ثلاث وماية على ما رواه ابن سعد، وقيل سنة ستة وتسعين، والصحيح الأول، وهو رواية أبي عبيدة مسلم أحد تلامذته الكبار، وكانت وفاته في السنة والأسبوع التي مات فيها أنس بن مالك الصحابي الجليل.

قال العلامة الشماخي: جابر بحر العلم وسراج الدين، أصل المذهب وأسّه الذي قامت عليه آطانه، خرج جابر في شبابه من وطنه فَرْق من أعمال نزوى عاصمة عُمان الثانية، فسكن البصرة طالبًا للعلم، وأصله من ولد عمرو بن

اليحمد الأزدي، ويكنى أبا الشعثاء بابنته الشعثاء المشهور قبرها الآن ببلدة فَرْق، وعاش بالبصرة مترددًا إلى المدينة المنورة، واجتمع بعدد كبير من أصحاب النبي ﷺ، قال جابر: "أدركت سبعين من أهل بدر من أصحاب النبي ﷺ فحويت ما عندهم إلا البحر" يعني ابن عباس، وليس ابن عباس من أهل بدر، فالاستثناء منقطع. وقال أيضًا: "أدركت جماعة من أصحاب النبي ﷺ فسألتهم عما إذا كان النبي ﷺ يمسح على خفيه فقالوا: لا" وقال في باب العلم من المسند: أدركت ناسًا من الصحابة أكثر فتياهم حديث النبي ﷺ"، وقال في صلاة الخوف: "حدثني جملة من أصحاب النبي ﷺ".

هؤلاء هم شيوخه الذين أخذ العلم عنهم، فروايته في المسند عن ابن عباس وعائشة أم المؤمنين وابن عمر وأبي هريرة وأنس بن مالك وأبي سعيد الخدري ومعاوية وعلي بن أبي طالب ومروان بن الحكم وغيرهم، بعضهم بالمشافهة وبعضهم بالبلاغ من طريق الثقات. وقال في كتاب رحمة الأمة: "كان ابن عباس يستخلف جابر بن زيد في الفتيا". روى الإمام الكدمي العماني أحد الأعلام في القرن الرابع صاحب كتاب الاستقامة وكتاب المعتبر قال في الجامع المفيد من جواباته: "إن آمنة زوج جابر بن زيد اكتوت لعلة بها فغضب عليها جابر وهجرها، وفي حجة لهما وعمرة وزيارة اشتكت به مع شيخه ابن عباس هجرانه لها، فقال: إنها لم تتوكل على الله، والله يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ الطلاق: ٣ ، فقال له ابن عباس: أفلا تكمل الآية ياجابر يعني قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ الطلاق: ٣ فرضي عنها". قال أبو طالب مكي وهو

أندلسي الأصل في كتابه "قوت القلوب": "إن ابن عباس قال اسألوا جابر بن زيد؛ فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه".

وقال ابن عباس رضي الله عنه: "عجبًا لأهل العراق! كيف يحتاجون إلينا ومعهم جابر بن زيد". ورأى جابر بن زيد رجلا يصلي على ظهر الكعبة فقال: "من المصلي لا قبلة له"، فسمعه ابن عباس وكان في المسجد فقال: "إن يكون في البلاد جابر بن زيد فهذا من قوله". وقال ابن عباس رضي الله عنه: "جابر بن زيد أعلم الناس بالطلاق".

كان لجابر بن زيد المكانة العليا مع ابن عباس وعائشة أم المؤمنين، وهما أغلب من أخذ عنهم، وكانت عائشة تقدم له وسادة إذا دخل معها، وكان يسألها عما دقَّ وجلَّ، ودخل عليها هو وأبو بلال مرداس بن حدير فذكرا لها حديث خروجها على الإمام علي فتابت من ذلك واستغفرت.

دخل جابر المسجد الحرام ورأى الناس متحيرين، وذلك زمان هدم الحجاج الكعبة، فطاف بالناس وهو يتلو: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا ﴾ النمل: ٩١ فتبعه الناس. قال في الطبقات: "قال إياس بن معاوية: رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر ابن زيد". وقال محمد بن محبوب العالم العماني من علماء القرن الثالث للهجرة: "جابر أعلم من الحسن البصري، ولكن جابر للقوم والحسن للعامة، يعني أنه يعظهم، وأما الفتوى فكانت لجابر خاصة، قال الربيع ابن حبيب عن ابنة مطرف قالت: أتيت جابرًا فيما يبلى به الناس، فما أعلم أني كلمت فقيها ولا عالماً ولا أميرا أعلم ولا أعقل منه. وسألته امرأة أخرى عن حر يخطب جاريتها، فقال: لا تزوجيه، ثم راجعته بأن قال الخاطب: إن لم

تزوجيني زنيت بها، فقال: الآن زوجيه فهذا هو العنت. كان غاية في الأخلاق والجود والكرم، خرجت زوجته آمنة إلى الحج ولما رجعت شكت إليه سوء معاملة الجمال، فخرج إليه وأدخله داره واشترى لإبله علفًا، وعولج له طعام، واشترى ثوبين كساه بهما، ودفع له ما كان مع آمنه من قربة وأداوة وغير ذلك، فقالت: أخبرتك بسوء العشرة ففعلت ما أرى؟! فقال: افنكافيه مثل فعله فنكون مثله، بل نكافيه بالإساءة إحسانا وبالسوء خيرًا. وأهدت إليه امرأة جزورًا فأمر أحد تلامذته بنحرها وتجزئتها على الجيران، فأكثر جزء أبي الشعثاء، فقال: أكل جيراننا أصاب مثل هذا؟ قال: لا، قال: واسؤتاه ساو بيننا وبين جيراننا. واطلع أبو الشعثاء فإذا برجل من الأكادين يبكي ويمسح دموعه، قال: مالك ويحك؟ قال: صبيان دربكم هذا نزعوا مني قنوين، جئت بهما إلى صاحب الأرض، فإني أخاف أن لا يصدقني، فبعث جابر إلى بعض أصحابه له نخل، فأخذ قنوين فبعث بهما إليه. وخرج يومًا يريد الجمعة، فتلقاه الناس منصرفين، فشق عليه ذلك وقال: اللهم لك عليّ أن لا أعود، وكان يصليها خلف زياد وولده عبيد الله وخلف الحجاج، وكان من تلامذته حبيب أبو الربيع المحدث صاحب المسند، وعتب عليه حضور الصلاة خلف الحجاج، فقال جابر: إنها صلاة جامعة وسنة متبعة. وقيل: إن جابرًا صلى بالإيماء يوم الجمعة والحجاج يخطب إلى أن فات الوقت، وقال جابر بن زيد: اليوم ينفع كلُّ ذى علم علمه، قيل فات وقت الظهر ودخل وقت العصر فخشي جابر فواته أيضًا، وقد فهم الحجاج أن جابرًا صلى بالإيمان، فقال الحجاج: قد عرفنا من صلى ومن لم يصلّ. وكتب أهل عمان لجابر يسألونه هل يأت الجمعة من لا يسمع النداء، فكتب إليهم جابر: لو لم يأت إلا من يسمع النداء، لأقل الله أهلها، تؤتى من

رأس فرسخين وثلاثة، وفي رواية: وقدر أن يأوي إلى منزله قبل الليل فعليه الجمعة.

لقد امتلأت الكتب العمانية والمغربية بفتاوى جابر ورواياته في الحديث، لو حاولنا جمعها لما كانت دون ما يروى عن مدونته المشهورة. قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل القرشي: إن أبا الحر علي بن الحصين العنبري قال لأبي عبيدة مسلم أبي كريمة التميمي بالولاء: أقم للناس خمسة أيام بعد الموسم فأبى، فقيل له: عليك بضمام بن السائب، وكان الندب من عمان، فقال: أو عنده من العلم ما يكتفي به الناس؟ قالوا: وفوق ذلك، فأتاه وقام للناس، وكثر السؤال وكان جوابه: سألت جابرًا وسئل جابر وسمعت جابرًا وقال جابر.

ومن قواعده المشهورة: ليس للعالم أن يقول للجاهل اعلم مثل علمي وإلا قطعت عذرك، وليس للجاهل أن يقول للعالم ارجع إلى جهلي وضعفي وإلا قطعت عذرك، وإذا قال العالم ذلك قطع الله عذر العالم، وإذا قال الجاهل ذلك قطع الله عذر الجاهل. وقال ضمان: كان جابر يأتي الخوارج الذين استحلوا أموال أهل القبلة وسبي ذراريهم ونساهم، فيقول لهم: أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين؟ فيقولون: نعم. وحرم الله البراءة منهم بدين؟ فيقولون: نعم، فيقول: أو ليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين؟ فيقولون: بلى، فيقول: وحرم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين؟ فيقولون: نعم، فيقول: هل أحل ما بعد هذا بدين؟ فيسكتون.

قيل: وكتب الحجاج إلى يزيد بن أبي مسلم كاتبه: لقد وقع في نفسي شيء من القدر فالتمس لي عالما، فكتب يزيد إلى جابر وكان صديقًا له، فأجابه: قل

للأمير يتدبر خطبته، فإن فيها بيان ما سئل عنه، فرددها مرارًا كل ذلك لم ينتبه، ثم بعد ذلك انتبه، فقال: من يهدى الله فهو المهتدى ومن يضلل فلا هادي له، قال: ويحك يا يزيد ما أعلم صاحبك.

وروي أنه كان في سجن الحجاج، فعرضت مسألة الخنثى فلم يوجد لها مفتيا، فقيل للحجاج: عليك بجابر، فأتي به في أصفاده، فقال: أتستفتوني وفي رجليّ قيودكم؟! قالوا: نعم، قال: اعتبروا المبال. قيل لسعيد بن المسيب قال: صدق، وإن بال منهما فالحكم للأغلب.

لقد حبس نفسه للحج، ويقال إنه حج أربعين حجة، ومنعه ذات سنة أمير البصرة لحاجة الناس إليه، فلما كان غرة ذي الحجة جاءه الناس فقالوا: أصلحك الله قد هل هلال ذي الحجة، قال: فأرسله، فخرج من السجن، فأتى منزله وناقته حوله في الدار قد كان هيأها للخروج، فأخذ يشد عليها الرحل ويتلو: ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فاطر: ٢ يا آمنة أعندك شيء؟ قالت: نعم، فهيأته في جرابين، فقال: من سألك فلا تخبريه بمسيري يومي هذا، فخرج من ليلته وانتهى إلى عرفات، والناس في الموقف، فضربت بجرانها الأرض وتحلجت، فقال الناس: ذكها ذكها، قال: حقيق لناقة رأت هلال ذي الحجة بالبصرة أن لا يفعل بها هذا، ثم سلمها الله تعالى، وقد كان سافر عليها أربعا وعشرين مرة بين حج وعمرة.

ودخل ثابت البناني على جابر حين احتضر فقال: هل تشتهي شيئًا قال: إني لأشتهي أن ألق الحسن البصري قبل أن أموت، فخرج ثابت فأعلمه بقول جابر وكان مستخفيًا من الحجاج، فركب بغل ثابت على السرج، وركب خلفه

ثابت بطيلسانه، فلما دخل على أبي الشعثاء وهو مضطجع انكب عليه الحسن وهو يقول: قل لا إله إلا الله، فرفع جابر عينيه وهو يقول: أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار، فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: أعوذ بالله من غدو أو رواح إلى النار، ثم قال: يا أبا سعيد ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ الأنعام: ١٥٨ فقال الحسن: هذا والله الفقيه العالم، ثم قال: يا أبا سعيد أخبرني عن حديث ترويه عن رسول الله ﷺ في المؤمن إذا حضرته الوفاة فقال: قال عليه السلام: "إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردًا"، فقال جابر: الله أكبر! اللهم إني أجد بردًا على كبدي، ثم قبض رحمة الله عليه. كان يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج صديقاً لجابر فوفد إليه مرة فأدخله على الحجاج، فقال: أتقرأ؟ قال: نعم، قال: أتفرض؟ قال: نعم، فعجب به، فقال: لا ينبغي أن نؤثر عليك أحدًا، نجعلك قاضياً للمسلمين، قال جابر: أنا أضعف من ذلك، قال: وما بلغ من ضعفك؟ قال: يقع بين المرأة وخادمها شر فما أحسن أن أصلح بينهما، فقال: إن هذا لهو الضعف، قال: فهل لك من حاجة؟ قال: نعم، قال: وما هي؟ قال: تعطيني عطائي وتدفع عني المكروه، قال الحجاج: هذا لا يستقيم أن نعطيك من بيت مال المسلمين ولا نستعملك لهم، فقال يزيد: هنا خصلة تخف على الشيخ وفيه عون للمسلمين تجعله في أعوان صاحب ديوان البصرة، قال: كذلك، فلمَّا خرجا قال جابر: ما صنعت شيئًا؟ أتراني أكون عونا لصاحب الديوان، فقال يزيد: أكتب لصاحب الديوان أن لا يكلفك مؤنة ويعطيك عطاءك كاملاً، وكان عطاؤه سبعمائة أو ستمائة، وكان في ديوان المقابلة، وكان يزيد شديد الحب

لجابر، فخرج إليه ذات مرة إلى واسط في يوم جمعة، فلما تغديا دعا يزيد بجارية له فجاءت بغالية فغلت بها رأس جابر ولحيته، فقال: اسرج على البرذون لأبي الشعثاء، قال: اعفني من البرذون، قال: فالبغلة، قال نعم، فخرج فقال للغلام: قف لي على باب المسجد بموضع سماه، وأخذ على دجلة ونزل وغسل رأسه ولحيته ودلكها دلكا شديدًا يقول: اللهم لا تجعل حظي منك منزلتي عند هؤلاء القوم، ثم جاء إلى المسجد، فلما حضر خروج جابر تنافست امرأتا يزيد في زاده فصنعتا له شيئا كثيرًا، وكان معه عمارة بن حيان أحد تلامذته، فلما ركبا السفينة قال لعمارة: لا تدع أحدًا من أهل المركب يفتح زاده، فلما انتهى إلى البصرة قال: بقي جرابان أحملهما إلى الصبيان، قال: صبهما على ظهر السفينة، وأطعم ملاحيك وادفع إليهم ما بقي. وكتب يزيد يومًا من الأيام لجابر أن التمس لي مملوكا قد صلى لأعتقه، فاشتراه جابر، وأرسله إلى يزيد فأعتقه، فلما رجع التمس أحسن جدي فشواه وأهداه لجابر فرده إليه، فالتمس أحسن منه ظنًا منه أن جابرًا لم يكفه فزجره وقال: من سعى في مثل هذا فلا تحل له الهدية.

وفي كتاب السير من رواية أبي سفيان محبوب بن الرحيل قال: أتى شاب أبا الشعثاء فقال: أي الجهاد أفضل؟ قال: قتل خردلة، والشاب لا يعرفه، فأراه إياه في المسجد، ووضع يده عليه لئلا يخطئه، فضربه بين كتفيه ضربة بخنجر قد سمّه، فأخذ القاتل، وقال له الوالي: قد علمت أنك لم تفعل هذا من نفسك وإنما أمرت فدلني على من أمرك، فقال: دع عنك هذا، فقتله. وكان خردلة سعى بجماعة من المسلمين فقتلوا، وخرج ابن لجابر وهو قاعد على باب داره، فقبله ومسح على رأسه وقال لجلسائه: أتروني أحبه؟ قالوا: أجل، قال: صدقتم والله

إني لأحبه، وما من نازل ينزل به أحب إلي من الموت ينزل به وبإخوته ثم ينزل بي ثم بآمنة، قالوا: فآمنة أعز عليك من ولدك، قال: ما هي بأعز عليَّ منهم، ولكن لا أحب أن أبقى في الدنيا يومًا واحدًا عازبًا، وكان كما تمنى.

قال أبو سفيان: نفى الحجاج جابرًا وهبيرة جد أبي سفيان إلى عمان، وكأنه عاد إلى البصرة؛ لأنه توفي بها. وقال جابر: سألت ربي امرأة مؤمنة وراحلة صالحة ورزقًا كفافًا فأعطانيهن. وأفتى جابر بصوم الحي عن الحي، ثم رجع عن هذا الإفتاء إلى الإطعام.

له أقوال يعمل بغيرها في المذهب الإباضي، منها: تحريمه نكاح الصبيان؛ وهو تزويج الصبي بالصبية أو تزويج البالغ بالصبية أو تزويج الصبي بالبالغة، ويرى فعل النبي ﷺ خاصًا به. ومنها جعله الخلع فسخًا للنكاح لا طلاقا، وهذا القول محكي عن ابن عباس، واحتج له نور الدين السالمي. ومنها كراهته الجمع بين بنات العم خوف القطيعة، وعند أكثر العلماء أنها كراهة تنزيه لا كراهة تحريم. ومنها إيجابه الزكاة في الزيتون، وهو قول لابن عباس والزهري. ومنها تكرار العمرة في السنة أكثر من مرة، فعنده أنها ممنوعة.

أخذ عنه العلم عدد كبير من التابعين؛ منهم قتادة ومنهم عمرو بن دينار ومنهم عبدالله بن اباض ومرداس بن حدير وإن كانوا في طبقته وسنه لكنهم يأخذون منه، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وضمام بن السائب وأبو نوح صالح الدهان وحيان الأعرج وسلمة بن سعد الذي ذهب إلى المغرب يدعو إلى الله، فكان من انتشار المذهب الإباضي هنالك؛ إذ جاء عدد من طلبة العلم فانضموا إلى أبي عبيدة أكبر تلاميذه، ومنهم أبو فقاس، وكان من رفقائه الذين

يصحبونه إلى ابن عباس، وافتقده ابن عباس في يوم من الأيام فسأل ابن عباس جابراً عنه فقال أين صاحبك؟ قال: أخذه ابن زياد، قال ابن عباس لجابر: وإنه لمتهم؟ قال: نعم أو ما أنت متهم؟ قال: اللهم بلي.

والحاصل أن مدرسته أخرجت عددا كبيرا من رجال العلم والفضل، بعضهم من عمان وبعضهم من خراسان وبعضهم من حضرموت وبعضهم من نفس البصرة، أشهرهم على الإطلاق ثلاثة: مرداس بن حدير وعبدالله بن اباض ومسلم بن أبي كريمة، وأما أبو بلال فخرج مجاهدا حتى قتل، وأما عبد الله بن اباض فقام مجادلا ومتظاهرا بالحج، وأما أبو عبيدة مسلم فحمل عنه العلم واختفى به معلمًا.

وتوفي جابر سنة ثلاث وتسعين على الصحيح في البصرة، ولما بلغ موته أنس بن مالك الصحابي قال: مات أعلم من على ظهر الأرض، أو قال: مات خير أهل الأرض، وكان موته -أعني أنسا- في ذلك الأسبوع، ولما مات أتى قتادة قبره وهو أعمى إذ ذلك، فقال: ادنوني من قبره، فوضع يده على قبره وقال: اليوم مات عالم العرب. وكان هو وصحار يفترقان بعد العشاء، ويلتقيان في السحر، فيقول كل منهما للآخر: طال شوقي إليك. وقال أبوسفيان:دخل أبو نوح على عاتكة بنت المهلب، وكانت من المسلمات، فقال: كأني أرى مجلس رجل، قالت: الآن خرج من عندي الأحول -تعني جابرًا- قال: فهل ظفرت منه بشيء؟ قالت: سألته عن لباس الخفين قال: إن كنت تلبسينهما من حر الأرض وبردها وخشونتها فلا بأس، فلا تبالين، وإن انكشفا، وإن لبستهما لغير ذلك فلا تبديهما، وعن حلي لبنات أختي يستعار مني فيقوم بمال،

فقال: إن أعرته فاضمني فأنت ضامنة، وعن عبد كان من أنفس مال عندي وأوثقه، فأعتقته ثم استخلفته على ضيعتي، قال: لا، أخرجيه من ذلك، ولا تدخليه في شيء من منافعك. قال في الإيضاح عن ضمام بن السائب: قيل لجابر بن زيد: أرأيت رجلاً يكون وقاعًا في الناس، فأقع فيه، أله غيبة؟ قال: لا، قيل له: ومن هو الذي تحرم غيبته؟ قال: رجل خفيف الظهر من دماء المسلمين، خفيف بطنه من أقوالهم، أخرس اللسان عن أعراضهم، فهذا الذي تحرم غيبته، ومن سواه فلا حرمة له ولا غيبة فيه. قال ضمام: قلت له: يا أبا الشعثاء، ما تقول في الرجل يعرف بالكذب، أله غيبة؟ قال: لا، قلت: والغاش لأمة محمد ﷺ قال: لا غيبة له ولا حرمة، قلت: والصانع بيده يغش في عمله، أله غيبة؟ قال: لا، قلت: ولِمَ؟ قال: من أكل الحرام فلا غيبة له ولا حرمة، وهو مهتوك الستر، ألا لا غيبة لكل مهتوك ولا حرمة له عند رب العالمين، فكيف عند الخلق. قلت: فإنه يكذب أحيانًا ويتوب أحيانًا ويغش أحيانًا ويتوب أحيانًا من أي صنف هذا من الناس؟ قال: هذا رجل مستخف بالله مستهزئ بالأمة.

فصل خلافة

مرادس بن حدير

فصـــل مـــرداس بن حـــدير

مرادس بن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وأدية جدته من محارب، وقيل أمه، وقيل جدير بالجيم، شهد صفين هو وأخوه عروة، وأنكرا التحكيم على الإمام علي، وفارقه مع أهل النهروان، وكان من جملة الذين نجوا من القتل، لزم جابر بن زيد في غالب أوقاته، ودخل هو وأبو الشعثاء على عائشة، وذكر لها حديث خروجها على الإمام علي يوم الجمل فتابت واستغفرت، وذكر في كتاب بيان الشرع -من الكتب القديمة- عن أبي عبيدة مسلم قال: لقد كان أبو بلال رحمه الله يبكي في جوف الليل حتى ما يطيق أن يقوم، ولقد كان من تشوقه إلى إخوانه أنه يخرج من عند أبي الشعثاء جابر بن زيد بعد العتمة، ثم يأتيه قبل الصبح فيصلي معه، فيقول له جابر: يا أخي أشققت على نفسك، فيقول: والله ولقد طال ما هبت نفسي بلقاك شوقًا إليك حتى أتيتك، وكان من رحمته ليتبع المملوك ويدعوه إلى الإسلام ويبين له حق الإسلام، حتى إذا دنا المملوك من بيت أربابه رجع أبو بلال. ولا يفطر قط حتى يعزل من فطره شيئًا للسائل، يسأل مسكينا أو يتيما من قومه أو من كان، ثم قال يوم قتل: يا ليت لي نفسين نفس تقاتل في سبيل الله، ونفس تقوم على أمر المسلمين، ولقد كان يقول إذا أصبح: هل أجاب الله اليوم من أحد؟ فيقال له: نعم، فيقول: إيتوني بأنصار الله على حقه، فيقول لهم: أنعم الله بكم عينا، إلى الله تحولتم، وملائكته وكتبه ورسله وأولياءه أحببتم، ألم تسمعوا أن الله يقول في كتابه ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ المجادلة: ٢٢ فيقرأ عليهم الآية كلها، ثم يقول لهم: خير لكم من آبائكم وأبناكم

وإخوانكم وعشيرتكم ألا تسمعون أن الله يقول ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾المائدة: ٦٨ فيقرأ الآية كلها عليهم، ثم يقول لهم: ألا ترون أنهم يقولون: إنَّا على الإيمان ولا يقيمون الكتاب، والله يقول: لستم على شيء، ثم لقد ذهب اللحم والجلد إذا أقبل إليه أو إن أثر السجود لفي وجه عظم وجهه، وكان يقول ما أتيت على آية فيها ذكر خطيئة عملت بها إلا استغفرت الله منها، وإني لأحفظ كل شيء تكلمت به مذ أصبحت، مخافة أن أخطئ. ولما سجن عبيد الله بن زياد الأحرار والموالي، وفتن بعضهم بعضا، حتى قتل الأحرار الموالي، جاء طواف بن المعلّى وبعض أصحابه، وهو أحد أعمام كرزم، إلى مجلس فيه أبو عبيدة مسلم ومرداس وهم يكون أسفًا على ما وقع منهم، فطردوهم ومات شاب منهم، قال أبو عبيدة وهو يدفع رأسه أرجو أن لا يعذبك الله، وقال له مرداس: اخرج بسيفك على هذا الطاغية، فخرج طواف على ابن زياد، فلما قتلوا إلى جنب جدار قال مرداس: إني لأرجو أن يكون طواف قد سن فينا سنة حسنة باقية.

وفي ذلك يقول بعض الخوارج:

ما كان في دين طواف وصحبته ... أهل الجدار احتراث الحب والعنب

النافذين على منهاج أولهم ... من الخوارج قبل الغل والشغب

وقال آخر:

يارب هب لي الشرا والصدق في ثقة ... واكـف الهـم فأنـت الـرازق الكـافي
حـتى أبيـع الـذي يفـنى بـآخرة ... تبقـى علـى هـدي مـرداس وطوّاف
وكهمـس وأبي الشـعثا إذا نفـروا ... وابـن المنـيح وجـوّاب وزحّـاف
مـا راقهـم باطـل الـدنيا ولـذتها ... ولا الترفـل في خـز وأفـواف
كـم فيهم من غلام العلم ذي ثقة ... ومـن خطيـب لـدين الله وصّـاف
أولئـك البـايعون الله أنفسـهم ... بجنـة الخلـد والمنقـوص بـالوافي

قال ابن الأثير في الكامل: كان مرداس عابدًا مجتهدًا عظيم القدر في الخوارج، وشهد صفين مع علي، فأنكر التحكيم وشهد النهروان مع الخوارج، وكانت الخوارج كلها تتولاه، ورأى علي بن عامر قباء أنكره فقال: هذا لباس الفساق، فقال أبو بكرة: لا تقل هذا للسلطان، فإن من أبغض السلطان أبغضه الله، قال: وكان لا يدين بالاستعراض، ويحرم خروج النساء، ويقول: لا نقاتل إلا من قاتلنا، ولا نجبي إلا من حمينا، وكانت البثجاء امرأة من بني يربوع تحرض على ابن زياد، وتذكر تجبره وسوء سيرته، وكانت من المجتهدات، فذكرها بن زياد، فقال لها أبو بلال: إن التقية لا بأس بها، فتغيبي فإن هذا الجبار قد ذكرك، قالت: أخشى أن يلقى أحد بسببي مكروها، فأخذها ابن زياد وقطع يديها ورجليها، فمر بها أبو بلال في السوق فعض على لحيته وقال: هذه أطيب نفسًا بالموت منك يا مرداس، ما ميتة أموتها أحبّ إلي من ميتة البثجاء. زاد العلامة الشماخي قال: فخرج أبو بلال في جنازتها وقال: لو أعلم أني أبعث على ما تبعث عليه لعلمت

أني أبعث سويا على صراط مستقيم. قال ابن الأثير: ومرّ أبو بلال ببعير قد طلي بقطران فغشي عليه، ثم آفاق وتلا ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ إبراهيم: ٥٠ قال: ثم إن ابن زياد ألح في طلب الخوارج فملأ منهم السجن وأخذ الناس بسببهم، وحبس أبا بلال قبل أن يقتل أخاه عروة، فرأى السجان عبادته، وأذن له كل ليلة في إتيان أهله، فكان يأتيهم ليلاً ويعود مع الصبح، وكان صديقًا لمرداس يسامر ابن زياد، تذكر ابن زياد الخوارج ليلة فعزم على قتلهم إذا أصبح، فانطلق صديق مرداس إليه فأعلمه الخبر، وبات السجان بليلة سوء خوفا أن يعلم مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي يعود فيه إذا به قد أتى، فقال له السجان: أما بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: بلى، قال: ثم جئت؟ قال: نعم، لم يكن جزاءك مني مع إحسانك إلي أن تعاقب. وأصبح عبيد الله فقتل الخوارج، فلما أحضر مرداس قام السجان وكان ضئيرا لعبيد الله، فشفع فيه وقص عليه قصته، فوهبه له وخلى سبيله، ثم إنه خاف ابن زياد، فخرج في أربعين رجلا إلى الأهواز، فكان إذا اجتاز به مال لبيت المال أخذ منه عطاءه وعطاء أصحابه ثم يرد الباقي، فلما سمع ابن زياد خبرهم بعث إليهم جيشًا عليهم أسلم بن زرعة الكلابي سنة ستين، وقيل أبو الحصين التميمي، وكان الجيش ألفي رجل، فلما وصلوا إلى أبي بلال أنشدهم الله أن لا يقاتلوه، فلم يفعلوا، ودعاهم أسلم إلى معاودة الجماعة، فقالوا: أتردوننا إلى زياد الفاسق، فرمي أصحاب أسلم رجلا من أصحاب أبي بلال فقتلوه، فقال أبو بلال: قد بدأوكم بالقتال فشد الخوارج على أسلم وأصحابه شدة رجل واحد فهزموهم، فقدموا البصرة فلام ابن زياد أسلم فقال: هزموكم أربعون وأنت في ألفين! لا خير

فيك، فقال: لأن تلومني وأنا حي خير من أن تثني علي وأنا ميت، فكان الصبيان إذا رأوه صاحوا به أما أبو بلال وراءك، فشكا ذلك إلى ابن زياد فنهاهم فانتهوا. وقال رجل من الخوارج:

أألفـــا مـــؤمن فيمـــا زعمـــتم ويقـــتلهم بآســـك أربعونـــا

كـذبتم لـيس ذاك كمـا زعمـتم ولكـــن الخـــوارج مؤمنونـــا

هـــي الفئـــة القليلـــة قـــد علمـــتم علـــى الفئـــة الكثـــيرة ينصـــرونا

ونسب المبرد الأبيات لعيسى بن فاتك من بني اللات بن ثعلبه، وزاد قبلها:

فلمـــا أصـــبحوا صـــلوا وقـــاموا إلى الجـــرد العتـــاق مســـومينا

فلمـــا اســـتجمعوا حملـــوا علـــيهم فظـــل ذوو الجعايـــل يقتلونـــا

بقيـــة يـــومهم حـــتى أتـــاهم ســـواد الليـــل فيـــه يراوغونـــا

يقـــول بصـــيرهم لمـــا أتـــاهم بـــأن القـــوم ولـــوا هاربينـــا

وكان مرداس مجتهدًا كثير الصواب في لفظه، فلقيه غيلان بن خرشة الضبي فقال: يا أبا بلال إني سمعت الأمير البارحة يذكر البلجاء، وأحسبها ستوخذ، فمضى إليها أبو بلال فقال لها: إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية فاستتري، فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك، قالت: أن يأخذني فهو أشقى بي، فأما أنا فما أحب أن يعنت إنسان بسببي... وذكر ما ذكره ابن الأثير. وقال بعد أن ذكر حبس أبي بلال المذكور: فلما خرج من حبس بن زياد ورأى جد ابن زياد في طلب الشراة عزم الخروج، فقال لأصحابه: إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجري علينا أحكامهم، مجانبين للعدل، مفارقين

للفضل، والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم، ولكننا ننتبذ عنهم، ولا نجرد سيفًا، ولا نقاتل إلا من قاتلنا، فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً، منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي، فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثاً فأبي، فولوا أمرهم مرداسًا، فلما مضى بأصحابه لقيهم عبدالله بن رباح الأنصاري، وكان صديقًا له، فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة، فقال له: أعلِم بكم أحد؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تخاف علي مكروهًا؟ قال: نعم وأن يؤتى بك، قال: فلا تخف، فإني لا أجرد سيفًا ولا أخيف أحدًا ولا أقاتل إلا من قاتلني، ثم مضى حتى نزل آسك، وذكر أنه لما أخذ عطاءه وأعطيات أصحابه وترك الباقي قال له بعض أصحابه: فعلام ندع الباقي؟ فقال: إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة. قال: ويروى أن رجلاً من أصحاب ابن زياد قال: خرجنا في جيش نريد خراسان، فمررنا بآسك فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا، فصاح بنا أبو بلال: أقاصدون لقتالنا أنتم، وكنت أنا وأخي قد دخلنا زربًا، فوقف أخي ببابه فقال: السلام عليكم، فقال مرداس: وعليكم السلام، فقال لأخي: أجئتم لقتالنا؟ فقال له: إنما نريد خراسان، قال: فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروع أحدًا، ولكن هربًا من الظلم، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا، ثم قال: اندب الينا أحد؟ قلنا: نعم، أسلم بن زرعة الكلابي، قال: فمتى ترونه يصل إلينا؟ قلنا: يوم كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وجهز عبيد الله أسلم بن زرعة في أسرع وقت، ووجهه إليهم في ألفين، وقد تتام أصحاب مرداس أربعين رجلاً، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال: اتق الله يا أسلم، فإنا لا نريد قتالاً ولا

نحتجن فيئا، فما الذي تريد؟ قال: أريد أن أردكم إلى ابن زياد، قال مرداس: إذن يقتلنا، قال: وإن قتلكم؟ قال: تشركه في دمائنا، قال: إني أدين بأنه محق وأنكم مبطلون، فصاح به حريث بن حجل: أهو محق! وهو يطيع الفجرة، وهو أحدهم، ويقتل بالظن، ويخص بالفيء، ويجور في الحكم، أما علمت أنه قتل بابن سعاد أربعة برآء، وأنا أحد قتلته، ولقد وضعت في بطنه دراهم كانت معه، ثم حملوا عليه حملة رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال، وكان معبد أحد الخوارج قد كاد يأخذه، فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبًا شديدًا وقال: ويلك! أتمضي في ألفين فتنهزم في حملة أربعين؟! وذلك تمام القصة، والأبيات المذكورة، ثم قال: ندب لهم عبيد الله بن زياد الناس فاختار عباد بن أخضر، وليس هو بابن أخضر، هو عباد بن علقمة المازني، وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه، فوجهه في أربعة الآف فنهد لهم.. إلى أن قال: وكان التقاؤهم في يوم جمعة، فناداه أبو بلال: اخرج إلي يا عباد، فإني أريد أن أحاورك، فخرج إليه فقال: ما الذي تبغي؟ قال: أن آخذ باقفائكم فأردكم إلى الأمير عبيد الله بن زياد، قال: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: أن ترجع؛ فإنا لا نخيف سبيلا ولا نذعر مسلمًا ولا نحارب إلا من حاربنا ولا نجبي إلا من حمينا، فقال له عباد: الأمر كما قلت لك، فقال له حريث بن حجل: أتحاول أن ترد فئة من المسلمين إلى جبار عنيد؟ قال لهم: أنتم أولى بالضلال منه، وما من ذاك بد، وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال: ما هذا؟ قالوا: الشراة، فحمل عليهم، ونشبت الحرب، فأخذ القعقاع أسيرًا فأتى به أبو بلال، فقال: ما أنت؟ قال: لست من أعدائك، وإنما قدمت للحج فجهلت وغررت، فاطلقه فرجع إلى عباد فأصلح من شأنه، ثم حمل عليهم ثانية وهو

يقول:

أقـــاتلهم ولـــيس علـــيّ بعـــث نشـــاطًا لـــيس هـــذا بالنشـــاط

أكـــر علـــى الحـــروريين مهـــري لأحملهـــم علـــى وضـــح الصـــراط

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسي وكهمس بن طلق الصريمي فأسراه وقتلاه، ولم يأتيا به أبا بلال، فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة الجمعة، فناداهم أبو بلال: يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا، قالوا: لك ذاك، فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة، فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم بين راكع وساجد وقائم وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعًا، وأتى برأس أبي بلال. وتروي الشراة أن أبا بلال لما عقد أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال: اللهم إن كان ما نحن فيه حقًا فأرنا آية، فرجف البيت، وقال آخرون: فارتفع السقف. قلت: قد روى أبو سفيان محبوب بن الرحيل قال: أخبرني أبو العلاء بن الشهيد رجل من حجبة البيت عن بعض آبائه قال: إني لفي الطواف في ليلة صاحية قمراء فإذا لرجل تحت الميزاب يدعو الله ويرغب إليه فبينما هو كذلك إذا لح فقال: اللهم حاجتي، فكرر فسمعه أهل الطواف، فقالوا: اللهم اقض حاجته، فقال: اللهم إن كنت رضيت ما أريد فأرني من ذلك علما، قال: فقطرت عليه من الميزاب قطرات، فلما أحس بالماء انساب في الناس فإذا هو أبو بلال، وقال أبو سفيان: لما حضر خروجه اجتمع هو وأصحابه في بيت لبني تميم، قال: فدعوا الله ورغبوا إليه أن يجعل لهم علامة إن رضى خروجهم، قال: فانشق سقف البيت حتى

نظروا إلى السماء. وروى أبو سفيان عن قرة بن عمران أتى بني تميم يسأل عن البيت فإذا هو مشهود فيهم فرأيته، قال: وكثيراً ما يخرج إلى ساحة الدار بليل ويتلو ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ التوبة: ٤٦ ويقول لأصحابه: عرضت نفسي على الله فلم أره يقبلني، وقال عيسى بن فاتك يرثيه وأصحابه:

ألا في الله لا في الناس شالتْ ... بداودٍ وإخوته الجذوعُ

مَضَوا قتلاً وتمزيقاً وصلباً ... تحومُ عليهم طيرٌ وقوعُ

إذا ما الليل أظلم كابدوهُ ... فيسفر عنهم وهم ركوعُ

أطار الخوفُ نومَهم فَقاموا ... وأهلُ الأرض في الدنيا هُجوعُ

وقال عمر بن حطان:

يا عينُ بكّي لمرداسٍ ومصرعه ... يا ربَّ مرداس ألحقني بمرداسِ

تركتني هائماً أبكي لمرزأتي ... في منزلٍ موحشٍ من بعد إيناسِ

أنكرتُ بعدك من قد كنت أعرفهُ ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناسِ

أما شربتَ بكأسٍ دارَ أوَّلها ... على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا ... منها بأنفاس ورد بعد أنفاس

وإخوة لهم طابت نفوسهم ... بالموت عند التفاف الناس بالناس

والله ما تركوا من منبع لهدى ... ولا رضوا بالهوينا يوم ميجاس

وقال ايضاً:

لقـــدْ زادَ الحيـــاةَ إليَّ بغضـــاً وحبًّــا للخـــروجِ أبـــو بـــلالِ
ولـــو أني علمـــت بـــأن حتفـــي كحتـــف أبي بـــلال لم أبـــال

ومن شعر مرداس رضي الله عنه:

مـــاذا نبـــالي إذا أرواحنـــا خرجـــت مـــاذا فعلـتم بأجســادي وأوصــالي
نرجــو الجنــان إذا طــارت جماجمنــا تحت العجاج كمثل الحنظل البالي
إني امـــرؤ بـــاعني ربي لموعـــده إذ القلوب هوت من خوف أهوالي
وأدت الأرض منا مثل ما أخـذت وقربـت لحسـاب القسـط أعمـالي
نفسـي ظنـون ولسـت الـدهر آمنهـا مـن بعـد كعـب وطـواف وعسـالي
من كان من أهل هذا الدين كان له ودي وشـــاركته في تالـــد المـــال
الله يعلـــــم أني لا أحـــــبهم إلا لوجهـــك دون العـــم والخـــال

ومن شعره أيضًا:

إني وزنـــت الـــذي يبقـــي ليعدلـــه مـــا لـيس يبقـى فـلا والله مـا اتزنـا
مـن كـان يرجـو بقـاء لا نفـاد لـه فـلا يكـن حبـه الـدنيا لـه شـجنا
تقـوى الإلـه وخـوف النـار أخرجني وبيـع نفسـي بمـا ليسـت لـه ثمنـا

ويروى أن غيلان بن خرشة ذكر أصحابه عند ابن زياد، فلما خرج لقيه فقال: قد بلغني ما كان منك يا غيلان، ما يؤمنك أن يلقاك رجل أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذك برمحه، فقال: لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة. ومر على فرسه ينادي قومه فوقف وسلم فقال شاب منهم: فرسك

حروري، قال: وددت والله لو أوطأته بطنك في سبيل الله، فمضي، وقال الفتى لأصحابه: إني مقتول، فمشوا إليه بالفتى فقالوا: اصفح عنه، وقال: إذا كنت في مجلس فأحسن حملان رأسك، وكان هو وأصحابه يبيعون حلي سيوفهم من الحاجة.

وقال المبرد: ومرداس تنتحله جماعة لقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه، تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرًا لجور السلطان داعيًا إلى الحق، وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر: والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء، والحاضر منكم بالغائب، والصحيح بالسقيم، والمطيع بالعاصي، فقام إليه مرداس فقال: قد سمعنا ما قلت أيها الإنسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴾ النجم: ٣٧ - ٤١ وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي، ثم خرج في عقب هذا اليوم، والشيع تنتحله وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه: أما إني لست أرى رأي الخوارج، وما أنا إلا على دين أبيك.

قال العلامة أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر بن عثمان الرقيشي العماني، من علماء عمان القدامى، في شرحه على اللامية: وقد بلغنا أن أبا بلال مرداس بن حدير رحمه الله وغيره من أئمة المسلمين لم يكونوا يخرجون إلا بأمر إمامهم في دينهم جابر بن زيد العماني رحمه الله ومشورته، ويحبون ستره عن الحرب لئلا تموت دعوتهم، وليكون ردأ لهم أي عونًا وظهيرا رحمه الله ورحمهم جميعاً. وقال أيضًا: إن أبا بلال رحمه الله لما عطف عليهم عباد قال لأصحابه:

من كان خرج إلى الدنيا فليذهب إلى الدنيا، ومن أراد الآخرة فقد سيق لذلك وتلى هذه الآية ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ الشورى: ٢٠ ثم انثنى ونزل معه أصحابه، فمشوا إليهم يقدمهم كهمش الذي كانت أمه تصب عليه الدرع، وتقول: اللهم إني أتقرب اليك به فلا ترد قرباني، فقاتل حتى قتل رحمه الله، فمر عليه مرداس فانكب عليه وقبله وبكا، ثم شد يمينًا وجعل يضرب يمينًا وشمالاً حتى طعنه رجل منهم، فمشى إليه في الرمح حتى ضرب طاعنه فقتله وانضجعا ميتين جميعًا، وهذه الرواية تخالف ما رواه غيره، أنهم قتلوا في الصلاة بين راكع وساجد، وروي أيضًا أن أبا بلال كتب إلى القعد: أما بعد فقد لقينا قومًا فهزم الله كثرتهم لقلتنا، وكنا نحن الفئة القليلة فغلبنا الفئة الكثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، ألا وإني قاطع البحر فخارج إلى عمان فآتي مكة فأقيم بها إقامة سهم بن غالب فأدعوهم إلى ما دعاهم إليه، فمن أراد أن يلحق بنا فليوافنا مكة، فوجه إليه عبيد الله بن زياد عباد بن الأخضر في ثلاثة الآف فارس ويوجد في موضع أربعة آلآف فارس، فبينما أبو بلال وأصحابه بعد صلاة العصر إذا هم بالرايات قد رفعت وأعلام البيض تتلألا وكتائب عباد وأصحابه، وكان حريث بن جهم من أحسن الناس صوتًا بالقرآن، فنادى أصحابه فقرأ فرققوا ثم رجع صوته: هذه أبواب الجنة قد فتحت لكم من ورائكم، ثم قرأ ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٢٢ ، وجعل لا يدع آية فيها ذكر القتال إلاحرض المؤمنين.

فصل

عبدالله بن أباض

فصل عبد الله بن أباض

قال العلامة أحمد بن عبدالله الرقيشي من قدماء علماء عمان في شرح اللامية: "الإباضيون منسوبون إلى إمامهم في الدين عبدالله بن اباض بن تيم اللات بن ثعلبة التميمي، من بني مرة بن عبيد رهط الأحنف بن قيس، وهو الذي فارق جميع الفرق الضالة عن الحق، وهم المعتزلة والقدرية والصفانية والجهمية والخوارج والروافض والشيع، وهو أول من بين مذاهبهم ونقض فساد اعتقاداتهم بالحجج القاهرات والآيات المحكمات النيرات والروايات النيرات الشاهرات، نشأ في زمان معاوية بن أبي سفيان، وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان، وكتب إليه بالسيرة المشهورة والنصائح المعروفة المذكورة" انتهى كلامه.

وقال العلامة الشماخي: "عبدالله بن إباض المري التميمي إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى الفريق، سلك بأصحابه محجة العدل وفارق سبل الضلالة والجهل، وكان رحمه الله على ما حفظت ممن خرج من مكة لمنع حرم الله من مسلم عامل يزيد الملقب بمسرف، وكان كثيراً ما يبدي النصائح لعبد الملك بن مروان، وفي حفظي أنه يصدر في أمره عن رأي جابر بن زيد، وله مناظرات مع الخوارج وغيرهم" انتهى. وكذا قال العلامة أبو جابر، من قدماء العلماء العمانيين، ذكر نسبة أهل المذهب الإباضي إلى عبدالله بن إباض، وهذا مجمع عليه مع الأباضيه ومخالفيهم.

قال العلامة البرادي صاحب كتاب الجواهر: "عبدالله بن إباض رضي الله عنه النسبه إليه أباضي بفتح الهمزة". وقال القطب في شرح العقيدة بتثليث الهمزة. وفي القاموس بالكسر فقط. قال البرادي: "إن المسلمين بعد قتل أبي بلال

اجتمعوا بجامع البصرة وعزموا على الخروج، وفيهم عبدالله بن إباض ونافع بن الأزرق ووجوه المسلمين، فلما جنَّ الليل سمع عبد الله دوي القراء ورنين المؤذنين وحنين المسبحين، فقال لأصحابة: أعن هولاء أخرج معهم؟! فرجع وكتم أمره واختفى" قال: "وفي النسبة إلى أباض يعني الأباضيه إمامهم عبدالله، ونسبوا إلى أبيه أباض؛ لأنه أعرف من عبد الله وأشهر منه". قلت: ولم أقف على شيء من أمره وخبره. قال العلامة نور الدين السالمي رضي الله عنه

فما الإباضيون إلا عَلما	لخلفاء الحق منَّا فاعلما
وأصله أن فتى أباض	كان محاميًا لنا وماضي
مُدافعًا أعداءنا بالحجة	وحاميًا إخواننا بالشوكة
ونسبوا من كان في طريقته	إليه لاشتهار حسن سيرته
من ذاك لا تلقى له في المذهب	مسألةً نرسمها في الكتب
فنأخذ الحق متى نراه	لو كان مبغض لنا أتاه
إن المخالفين قد سمونا	بذاك غير أننا رضينا
ونحن الأولون لم يشرع لنا	نجل أباض مذهبًا يحملنا
ونحن في الأصل وفي الفروع	على طريق السلف الرفيع
والباطل المردود عندنا ولو	أتى به الخِلُّ الذي له اصطفوا

وذكر ابن الاثير والمبرد خروج الخوارج إلى مكة المكرمة لمنعها من أهل الشام وفيهم عبد الله بن أباض، وذكرا بعد ذلك افتراقهم فيما بينهم، وأنه كتب نافع

بن الأزرق إلى ابن الصفار وعبد الله بن أباض يدعوهما ومن معهما إلى معتقده الفاسد، قال: فقرأ ابن الصفار الكتاب ولم يقرأه على أصحابه خشية أن يفترقوا ويختلفوا، فأخذه ابن أباض فقرأه فقال: قاتله الله، أي رأي رأى صدق نافع لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأيًا، وكانت سيرته كسيرته في المسلمين، ولكنه قد كذب فيما يقول، إن القوم برآء من الشرك، ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام علينا.

وهذه رسالته التي وجهها إلى عبدالملك بن مروان من شرح العقيدة وأصلها في كتاب السير العمانية القديمة:

"بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد، من عبد الله بن إباض إلى عبد الملك بن مروان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله الا هو وأوصيك بتقوى الله فإن العاقبة للتقوى والمرد إلى الله، واعلم أنه إنما يتقبل الله من المتقين، أما بعد: جاءني كتابك مع سنان بن عاصم وأنك كتبت إليَّ أن اكتب إليك بكتاب فكتبت به إليك فمنه ما تعرف ومنه ما تنكر، زعمت أنما عرفت منه ما ذكرت به من كتاب الله وحفظت عليه من طاعة الله واتباع أمره وسنة نبيه، وأما الذي أنكرت منه فهو عند الله غير منكر، وأما ما ذكرت من عثمان والذي عرضت به من شأن الأئمة، فإن الله ليس ينكر على أحد شهادته في كتابه ما أنزله على رسوله أنه لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون والكافرون والفاسقون، ثم إني لم أذكر لك شيئًا من شأن عثمان والأئمة إلا والله يعلمه أنه الحق، وسأنزع لك من ذلك البينة من كتاب الله الذي أنزله على رسوله، وسأكتب لك في الذي كتبت به، وأخبرك من خبر عثمان، والذي طعنا

عليه فيه، وأبين شأنه والذي أتى عثمان، لقد كان ما ذكرتَ من قدم في الإسلام وعمل به، ولكن الله لم يجر العباد من الفتنة والرد عن الإسلام وأن الله بعث محمد بالحق ﷺ وأنزل الكتاب فيه بينات كل شيء يحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه هدى ورحمة لقوم يوقنون، فأحل الله في كتابه حلالاً وحرم حرامًا وفرض فيه فرايض وحكم فيه حكمًا وفصل بين قضاءه وبين حدوده وقال: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ البقرة: ٢٢٩ وأقسم ربنا قسمًا وليس لعباده فيه الخيرة ثم أمر نبيه باتباع كتابه، فقال ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٨ ، فعمل محمد ﷺ بأمر ربه ومعه عثمان ومن شاء الله من أصحابه، لا يرون رسول الله ﷺ يتعدى حدًّا ولا يبدل فريضةً ولا حكمًا ولا يستحل شيئًا حرَّمه الله، ولا يحرِّم شيئًا أحله الله، ولا يحكم بين الناس إلا بما أنزل الله وكان يقول ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ الأنعام: ١٥

فعمر ﷺ ما شاء الله تابعا لما أمر الله، يبلغ ما جاءه من الله والمؤمنون معه، يعلمهم وينظرون إلى عمله حتى توفاه الله، عليه الصلاة والسلام، وهم عنه راضون، فنسأل الله سبيله وعملا بسنته، ثم أورث الله عباده الكتاب الذي جاء به محمد وهداه، ولا يهتدي من اهتدى من الناس بتركه، ثم قام من بعده أبو بكر على الناس فأخذ بكتاب الله وعمل بسنة نبيه ولم يفارقه أحد من المسلمين، ولم يعب عليه أحد في حكم حكمه، ولا في قسم قسمه حتى فارق الدنيا وأهل الإسلام عنه راضون، وله مجامعون، ثم قام من بعده عمر بن الخطاب قويًّا في الأمر شديدًا على أهل النفاق، يهتدي بمن كان قبله من المؤمنين، يحكم بكتاب الله، وابتلاه الله بفتوح من الدنيا ما لم يبتل بها صاحبيه،

وفارق الدنيا والدين ظاهر وكلمة الإسلام جامعة، وشهادتهم قائمة، والمؤمنون شهداء الله في الأرض، كذلك قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة: ١٤٣ وبعد موته تشاور المؤمنون فولّوا عثمان فعمل ما شاء الله بما يعرف أهل الأسلام، حتى بسطت له الدنيا، وفتح له من خزاين الأرض ما شاء الله، ثم أحدث أمورًا لم يعمل بها صاحباه قبله، وعهد الناس يومئذ بنبيهم حديث، فلمّا رأى المؤمنون ما أحدث أتوه فكلّموه وذكّروه بكتاب الله وسنة من كان قبله من المؤمنين، وقال الله ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴾ السجدة: ٢٢ ، فسفه عليهم أن ذكروه بآيات الله، وأخذهم بالجبروت، وظلم منهم من شاء الله، سجن من شاء الله منهم، ونفاهم في أطراف الارض نفيًا، وإني أبين لك يا عبد الملك بن مروان الذي أنكر المؤمنون على عثمان وفارقناه عليه فيما استحل من المعاصي عسى أن تكون جاهلاً عنه غافلا وأنت على دينه وهواه، لا يحملنك يا عبد الملك هوى عثمان أن تجحد بآيات الله وتكذب بها، فإن عثمان لا يغنى عنك من الله شيئًا، فالله يا عبد الملك بن مروان قبل التناوش من مكان بعيد، وقبل أن يكون لزامًا وأجلا مسمى، وأنه كان مما طعن المؤمنون عليه وفارقوه وفارقنا فيه أن الله قال ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ البقرة: ١١٤ فكان عثمان أول من منع مساجد الله أن يقضى فيها بكتاب الله. ومما نقمناه عليه وفارقناه عليه أن الله قال لمحمد ﷺ ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا

﴿عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ الأنعام: ٥٢ فكان أول رجل من هذه الأمة طردهم ونفاهم، وكان ممن نفاهم من المدينة: أبو ذر الغفاري ومسلم الجهني ونافع بن الحطام، ونفى من الكوفة: كعب بن أبي الحنكة إلى الرجان[1]، وجندب بن زهير (وجندب هو الذي قتل الساحر الذي كان يلعب به الوليد بن عقبة)، ونفى عمر بن زرارة وزيد ابن صوحان وأسود بن ذريح ويزيد بن قيس الهمداني وكردوس ابن الحضرمي في أناس كثير من أهل الكوفة، ونفى من أهل البصرة عامر بن عبد الله القسري ومذعور العنبري، ولا أستطيع لك عدّ من نفاهم من المؤمنين. ومما نقمنا عليه أنه أمَّر أخاه الوليد بن عقبة على المؤمنين، وكان يلعب بالسحرة ويصلي بالناس سكرانا، فاسق في دين الله، أَمَّره من أجل قرابته على المؤمنين المهاجرين والأنصار، وإنما عهدهم حديث بعهد الله ورسوله والمؤمنين. ومما نقمناه عليه تأميره قرابته على عباد الله، وجعل المال دولة بين الأغنياء، وقال الله ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ الحشر: ٧ وبدّل كلام الله وبدّل القول واتبع الهوى. ومما نقمناه عليه أنه انطلق إلى الأرض يحميها لنفسه وأهله حمى حتى منع قطر السماء والرزق الذي أنزله الله لعباده لأنفسهم ولأنعامهم وقد الله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ يونس: ٥- ٦٠

---

١) في ابن الأثير نفاه من الكوفة إلى الشام.

ومما نقمنا عليه أنه أول من تعدى في الصدقات وقد قال الله ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٦٠ وقال الله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ الأحزاب: ٣٦ الذي أحدثه عثمان منعه فرايض كان فرضها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رحمه الله عليه وأنقص أصحاب بدر ألفًا من عطاياهم، وكنز الذهب والفضة ولم ينفقها في سبيل الله، وقال الله ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ التوبة: ٣٤ - ٣٥ ومما نقمنا عليه أنه كان يضم كل ضالة إلى إبله ولا يردها ولا يعرفها، وكان يأخذها من الإبل والغنم إذا وجدها عند أحد من الناس وإن كانوا قد أسلموا عليها، وكان لهم في حكم الله أن لهم ما أسلموا عليه، وقال ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ هود: ٨٥ وقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ النساء: ٢٩ - ٣٠ ومما نقمنا عليه أنه أخذ خمس الله لنفسه ويعطيه أقاربه ويجعل منهم عمالا على أصحابه، وكان ذلك تبديلا لفرايض الله، وقد فرض الله الخمس لله ولرسوله

ر

ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال ﴿ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ الأنفال: ٤١ ومما نقمنا عليه أنه منع أهل البحرين وأهل عمان أن يبيعوا شيئا من طعامهم حتى يباع طعام الإمارة، وكان ذلك تحريمًا لِما أحل الله ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾البقرة: ٢٧٥ فلو أردنا أن نخبر بكثير من مظالم عثمان لم نحصها إلا ما شاء الله , وكل ما عددتُ عليك من عَمل عثمان يكفر[1] الرجل أن يعمل ببعض هذا. وكان من عمل عثمان أنه كان يحكم بغير ما أنزل الله وخالف سنة نبي الله والخليفتين الصالحين أبي بكر وعمر, وقد قال الله ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ النساء: ١١٥. وقال ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ المائدة: ٤٥. وقال ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ هود: ١٨ ﴿ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴾ النساء: ٥٢ وقال ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٤ وقال ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ هود: ١١٣. وقال ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ المائدة: ٤٧ وقال ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ٣٣. كل هذه الآيات تشهد على عثمان، وإنما شهدنا عليه بما

---

١) هذا هو كفر النعمة المقرر لا كفر الشرك كي لا يخفى.

شهدت عليه هذه الآيات ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ النساء: ١٦٦. وقال ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾ الذاريات: ٢٣. فلما رأى المؤمنون الذي نزل به عثمان من معصية الله تبرأوا منه, والمؤمنون شهداء الله ناظرون أعمال الناس. وكذلك قال الله ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ التوبة: ١٠٥. وترك خصومة الخصمين في الحق والباطل، وأوقع ما أوعده الله من الفتن وقال الله ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ العنكبوت: ١ - ٣، فعلم المؤمنون أن طاعة عثمان على ذلك طاعة إبليس، فساروا إلى عثمان من أطراف الأرض واجتمعوا في ملأ من المهاجرين والأنصار وعامة أزواج النبي ﷺ فأتوه فذكروه الله وأخبروه الذي أتى من معاصي الله فزعم أنه يعرف الذي يقولون وأنه يتوب إلى الله ويراجع الحق، فقبلوا منه الذي أتاهم به من اعتراف بالذنب والتوبة والرجوع إلى أمر الله، فجامعوه وقبلوا منه وكان حقا على أهل الإسلام إذا أوتوا بالحق أن يقبلوه ويجامعوه ما استقام على الحق، فلما تفرق الناس على ما ألقاهم به من الحق نكث عن الذي عاهدهم عليه، وعاد فيما تاب عنه، فكتب في أدبارهم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، فلما ظهر المؤمنون على كتابه ونكثه العهد الذي عاهدهم عليه رجعوا فقتلوه بحكم الله, وقال الله ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ

﴿ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾ التوبة: ١٢ فجامع أهل الإسلام ما شاء الله وعمل بالحق، وقد يعمل الإنسان بالإسلام زمانا ثم يرتد عنه, قال الله ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ محمد: ٢٥ فلما استحل معصية الله وترك سنة من كان قبله من المؤمنين علم المؤمنون أن الجهاد في سبيل الله أولى، وأن الطاعة في مجاهدة عثمان على أحكامه، فهذا من خبر عثمان والذي فارقناه فيه وطعن عليه المؤمنون قبلنا.

وذكرت أنه كان مع رسول الله ﷺ وختنه، فقد كان علي بن أبي طالب أقرب إلى رسول الله وأحبّ إليه منه، وكان ختنه، ومن أهل الإسلام، وأنت تشهد عليه بذلك، وإنا بعد على ذلك، فكيف تكون قرابته من محمد ﷺ نجاة إذا ترك الحق وتعاطى كفرًا، واعلم أنما علامة كفر هذه الأمة كفرها بالحكم بغير ما أنزل الله ذلك بأن الله قال ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المائدة: ٤٤ فلا أصدق من الله قيلا وقال ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ الجاثية: ٦ فلا يغرنك يا عبد الملك بن مروان عثمان عن نفسك ولا تسند دينك إلى رجال يتمنون ويريدون ويستدرجون من حيث لا يعلمون، فإن أملك الأعمال بخواتمها، وكتاب الله جديد ينطق بالحق، أجارنا الله باتباعه أن نضل أو نبغ، فاعتصم بالله وإنه من يعتصم بالله يهده صراطًا مستقيما، وكتاب الله هو حبل الله الذي أمر المؤمنين أن يعتصموا به ولا يتفرقوا، وليس حبل الرجال من أنهم ينهبون ويطعنون، فأذكرك الله لما أن تدبرت القرآن فإنه حق وقال الله ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ محمد: ٢٤ فكن تابعا لما جاء من الله به تهتدى وبه تخاصم من خاصمك من الناس وإليه تدعو وبه تحتج، فإن من يكن

القرآن حجته يوم القيامة به يخاصم من خاصمه ويفلح في الدنيا والآخرة، فإن الناس قد اختصموا وهم يوم القيامة عند ربهم يختصمون، فلتعمل لما بعد الموت ولا يغرنك بالله الغرور.

وأما قولك في شأن معاوية بن أبي سفيان أن الله قام معه وعجل نصره وأفلج حجته وأظهره على عدوه بطلب دم عثمان، فإن يكن يعتبر الدين من جهة الدولة، أن يظهر الناس بعضهم على بعض في الدنيا فإنا لا نعتبر الدين بالدولة، فقد ظهر المسلمون على الكفار لينظر كيف يعملون، وقد ظهر الكفر على المسلمين ليبلو المسلمين بذلك ويكون عقابا على الكافرين وقال ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ آل عمران: ١٤٠ فإن كان الدين إذا ظهر الناس بعضهم على بعض، فقد سمعت الذي أصاب المشركون من المسلمين يوم أحد، وقد ظهر الذين قتلوا ابن عفان عليه وعلى شيعته يوم الدار، وظهروا أيضا على أهل البصرة وهم شيعة عثمان، وظهر المختار على ابن زياد وأصحابه وهم شيعتهم، وظهر مصعب الخبيث على المختار، وظهر ابن السجف على أخنس بن دجلة وأصحابه، وظهر أهل الشام على أهل المدينة، وظهر ابن الزبير على أهل الشام بمكة يوم استفتحوا منها ما حرم الله عليكم وهم شيعتكم، فإن كان هؤلاء على الدين فلا يعتبر الدين من قبل الدولة، فقد يظهر الناس بعضهم على بعض ويعطي الله رجلا كافرًا ملكا في الدنيا، فقد أعطى فرعون ملكا ظهر في الأرض، وقد أعطى الذي حاج إبراهيم في ربه ثم، إن معاوية إنما اشترى الإمارة من الحسن بن علي، ثم لم يَفِ له بالذي عاهده عليه وقال الله ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ

إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ النحل: ٩١ - ٩٢ فلا تسأل عن معاوية ولا عن عمله ولا عن صنيعه، غير أنا قد أدركناه ورأينا عمله وسيرته في الناس، ولا نعلم أحدًا أترك للقسمة التي قسم الله ولا لحكم حكمه الله، ولا أسفك لدم حرام منه، فلو لم يصب من الدماء إلا دم ابن سمية لكان في ذلك ما يكفره[١]، ثم استخلف ابنه يزيد فاسقا من الناس لعينا يشرب الخمر المكفر، فيكفيه من السوء، وكان يتبع هواه بغير هدى من الله وقال الله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ القصص: ٥٠ فلا يخف عمل معاوية ويزيد على كل ذي عقل من الناس، فاتق الله يا عبد الملك، ولا تخادع نفسك في معاوية، فقد أدركنا أهل بيتكم يطعنون في معاوية ويزيد ويعيبون عليهما كثيرًا مما يصنعون، فمن يتول عثمان ومن معه فإنا نشهد الله وملائكته وكتبه ورسله بأنا منهم برآء ولهم أعداء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، نعيش على ذلك ما عشنا، ونموت عليه إذا متنا، ونبعث عليه إذا بعثنا، نحاسب بذلك عند الله[٢].

---

١) روى في صحيح مسلم عن النبي (ص) لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فهو يشير إلى الحديث وإلى الآية التي أحتج بها قبل "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون".

٢) قال النور السالمي: "فما مضى قبلك لو بساعة ** فدعه ليس البحث عنه طاعه" ومن رأي أبي عبيدة الكفُّ عن فتن الصحابة، وللأوائل أقوالهم وأعمالهم التي شاهدوها وحكموا فيها، إنما هم صحابة وتابعون، ونحن نسمع ونكف، ولا نصوب باطلا ولا نبطل حقا، ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

وكتبت إلى تحذرني الغلو في الدين، إني أعوذ بالله من الغلو في الدين، وسأبين لك ما الغلو في الدين إذا جهلته، فإنه ما كان يقال على الله غير الحق ويعمل بغير كتابه الذي بين لنا وسنة التي سن وقال الله تعالى ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ النساء: ١٧١ كما فعل عثمان والأئمة من بعده، وأنت على طاعتهم وتجامعهم على معصية الله وتتبعهم وقد اتبعوا أهواءهم واتبعتهم أنت عليها، وقال الله عز وجل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ المائدة: ٧٧ فهؤلاء أهلُ الغلو في الدين وليس مَن دعا إلى الله وإلى كتابه، ورَضيَ وغَضبَ لله حين عُصي أمرُه، وأَخذَ بحكمه حين ضُيع وتُركت سنة نبيه.

وكتبت إلي تعرض بالخوارج، تزعم أنهم يغلون في دينهم ويفارقون أهل الاسلام، وتزعم أنهم يتبعون غير سبيل المؤمنين، وإنني أبيّن لك سبيلهم: إنهم أصحابُ عثمان، الذين أنكروا عليه ما أحدث من تغيير السنة، وفارقوه حين أحدث وترك حكم الله، وفارقوه حين عصى ربه. وهم أصحاب علي بن أبي طالب حين حكَّم عمرو بن العاص وترك حكم الله، وأنكروه عليه وفارقوه فيه، وأبوا أن يقروا الحكم لبشر دون حكم كتاب الله، فهم لمن بعدهم أشدّ عداوة وأشد مفارقة، كانوا يتولون في دينهم وسنتهم رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر بن الخطاب، ويدعون إلى سبيلهم ويرضون بسنتهم، على ذلك كانوا يخرجون، وإليه يدعون، وعليه يتفارقون، وقد علم من عرفهم من الناس ورأى من علمهم أنهم

كانوا أحسن الناس عملا وأشدّ قتالا في سبيل الله وقال الله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ التوبة: ١٢٣ فهذا خبر الخوارج، نشهد الله والملائكة أنّا لمن عاداهم أعداء، وأنّا لمن والاهم أولياء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا، على ذلك نعيش ما عشنا، ونموت على ذلك إذا متنا، غير أنّا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس، لقد كانوا خرجوا حين خرجوا على الإسلام فيما ظهر، ولكنهم ارتدوا عنه وكفروا بعد إيمانهم، فنبرأ إلى الله منهم.

أما بعد فإنك كتبتَ إليَّ أن أكتب بجواب كتابك، وأجتهد لك في النصيحة، وإني أبين لك، فإني قد بينت لك بجهد نفسي، وأخبرتك خبر الأمة، وكان حقًّا عليّ أن أنصح لك وأبين لك ما قد علمت. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ١٥٩ - ١٦٠ ، فإنَّ الله لم يتخذني عبدًا لأكفر به، ولا أخادع الناس بشيء ليس في نفسي وأخالف إلى ما أنهى عنه، أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ لتُحلوا حلاله وتُحرموا حرامه، ولترضوا بحكمه، وتنيبوا إلى ربكم وتراجعوا كتاب الله، وأدعوكم إلى كتاب الله ليحكم بيني وبينكم في الذي اختلفنا فيه، ونُحرم ما حرّم الله، ونقسم بما قسم الله، ونحكم بما حكم الله، ونبرأ ممن برأ الله منه ورسوله، ونتولى من تولاه الله، ونطيع من أوجب لنا طاعته في كتابه، ونعصي من أمر الله بمعصيته أن نطيعه، فهذا الذي أدركنا عليه نبينا ﷺ، وإن هذه الأمة لم تحرم حرامًا ولم تسفك دماً إلا حين تركوا كتاب ربهم الذي أمرهم أن يعتصموا

به ويأمنوا عليه، وإنهم لا يزالون مفترقين مختلفين حتى يراجعوا كتاب الله وسنة نبيه وينصحوا كتاب الله على أنفسهم ويحكموه إلى ما اختلفوا فيه، فإن الله يقول ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ الشورى: ١٠ وإن هذا هو السبيل الواضح لا يشبه به شي من السبل، وهو الذي هدى الله من قبلنا محمدا ﷺ والخليفتين الصالحين من بعده، فلا يضل من اتبعه ولا يهتدي من تركه، وقال ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ الأنعام: ١٥٣ واحذر أن تفرق بكم السبل عن سبيله ويزين لك الضلالة باتباعك هواك فيما جمعت إليه الرجال؛ فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا، إنما هي الأهواء، إنما يتبع الناس في الدنيا والآخرة إمامين: إمام هدى وإمام ضلالة؛ أما إمام هدى فهو يحكم بما أنزل الله ويقسم بقسمته ويتبع كتاب الله، وهم الذين قال الله ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ السجدة: ٢٤ وهؤلاء أولياء المؤمنين الذين أمر الله بطاعتهم ونهى عن معصيتهم. وأما إمام الضلالة فهو الذي يحكم بغير ما أنزل الله، ويقسم بغير ما قسم الله، ويتبع هواه بغير سنة من الله، فذلك كفر كما سمى الله، ونهى عن طاعتهم وأمر بجهادهم، وقال ﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ الفرقان: ٥٢ فإنه حق أنزله بالحق وينطق به، وليس بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون. ولا تضربن الذكر عنك صفحا، ولا تشكن في كتاب الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإنه من لم ينفعه كتاب الله لم ينفعه غيره.

وكتبت إلي أن أكتب اليك بمرجوع كتابك، فإني قد كتبت إليك وأنا أذكرك بالله العظيم لما قرأت كتابي وتدبرته، واكتب إلي إن استطعت بجواب كتابي إذا كتبت إليك بما أتنازع فيه أنا وأنت انزع عليه بينة من كتاب الله أصدق فيه قولك فلا تعرض لي بالدنيا فإني لا رغبة لي في الدنيا وليست من حاجتي ولكن لتكن نصيحتك لي في الدين ولما بعد الموت، فإن ذلك أفضل النصيحة، فإن الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة، فإنه لا خير فيمن لم يكن على طاعة الله، وبالله التوفيق وفيه الرضى والسلام عليك". انتهى كتابه.

ولم أطلع على تاريخ ولادته ولا وفاته، ويدل بعض كلامه كأنه أدرك النبي ﷺ (فهذا الذي أدركنا عليه نبينا) وهو ممكن، فخلافة عبدالملك كانت سنة خمس وستين.

فصل

أبو عبيدة مسلم
بن أبي كريمة

فصل أبو عبيدة مسلم بن أبن كريمة

هذا هو ثالث الأركان وحامل لواء العلم والإمامة للمذهب الإباضي للمغرب وحضرموت وعمان، حبس نفسه في التعليم أربعين سنة، تارة يعلم في غار وتارة خارج الغار. قال العلامة الشماخي في كتاب السير: "أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي كان مولى فيهم وكان أعور وشهر بالقفاف، توفي في ولاية أبي جعفر المنصور بعد وفاة حاجب رضى الله عنهما، تعلم العلوم وعلّمها ورتّب روايات الحديث وأحكَمها، وهو الذي يشار إليه بالأصابع بين أقرانه ويزدحم لاستماع ما يقرع الأسماع من زواجر وعظه، وقد اعترف له بحوز قصب السبق في العلوم". فقد ثبت وجوده عام ثمانية وخمسين للهجرة، وموته في خلافة أبي جعفر المنصور سنة خمس وثلاثين ومائة. وروي أنه أدرك من أدركه جابر بن زيد من الصحابة، ولعله أدرك بعضا منهم، أخذ العلم من جابر بن زيد وزملاء جابر وتلامذته كضمام بن السائب العبدي العماني وجعفر ابن السماك العبدي، ويقال إنه أخذ من هذين أكثر مما أخذه من جابر، وأخذ أيضا من صحار بن العباس وكان صحابيا، قال رضي الله عنه: "من لم يكن له أستاذ من الصحابة فليس هو على شيء من الدين، وقد منَّ الله علينا بعبد الله بن عباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن سلام، وهم الراسخون في العلم، وعلى آثارهم اقتفينا، وبقولهم اقتدينا، وعلى سيرتهم اعتمدنا، وعلى منهاجهم سلكنا" وقال أيضا رضي الله عنه: "لا يؤخذ العلم من أربعة: رجل مبتدع يدعو إلى بدعته، ولا من سفيه يدعو إلى سفهه، ولا ممن يكذب وإن كان يصدق في فتواه، ولا ممن يعزز مذهبه عن مذهب غيره". قيل

له: يرحمك الله أرأيت من لا يحفظ الأحاديث عن رسول الله ﷺ وهو ثقة، أيؤخذ عنه العلم؟ قال: سبحان الله! وكل الناس يحفظون الحديث، بل يؤخذ العلم عن الثقات وإن كانوا لا يعلمون حديثًا واحدًا، قيل له: يرحمك الله يا أبا عبيدة، أتعمل به إذا كان إنما رواه عن الصحابة؟ قال: إن عرفت عملت به وإلا فلا. وقال أبو عبيدة: "كل صاحب حديث ليس له إمام في الفقه فهو ضال، فلولا أن الله تعالى منّ علينا بجابر بن زيد رضي الله عنه لضللنا". وفي كتاب المصنف (وهو من الكتب القديمة يبلغ واحدا وأربعين جزءا، توفي مؤلفه عام 558هـ): بلغنا أن حتات بن كاتب وجعفر بن السماك سارا مع حبيب بن المهلب إلى أن قتلا معه، فتكلم في ذلك فأظهر أبو عبيدة ولايتهما، وهذا في قتال الخوارج دفاعًا عن البصرة، وكثير من ولد المهلب يرجعون إلى جابر بن زيد، وكلهم من أهل عمان قال المبرد:وثبت المغيرة في جمع أكثرهم من أهل عمان وذكر في قتال الأزارقة. قال أبو سعيد الكدمي (من علماء عمان القدامى): روي لنا أن الحتات ابن الكاتب المشهور بالفقه من فقهاء المسلمين وقيل إنه كان من توام، وكان فيما قيل إنه كان ينزل بسمد نزوى من عمان، وتوأم هي واحة البريمي، وقبيلة حتات من بني هميم كان أبو عبيدة رضي الله عنه وقافا وكان يضعف أمر الشفعة ويقول لا تحبس على يتيم ولا غائب، فابتلي بها رجل من أصحابه فجاءه يسأله فقال: اذهب فاسأل أشياخ البصرة، هل لجابر فيها ذكر؟ فأخبر أن جابرا يوجبها، فأخذ بقول جابر. قال أبو سفيان: بعث عبد الله بن الحسن إلى أبي عبيدة وإلى جماعة المسلمين حين أراد الخروج فتشاوروا، فتكلم كلٌّ برأية، فاتفق رأيهم أن يبعثوا اليه صالح بن كثير، وقد قال لهم صالح: إني على دينكم، وكان من متكلمي المسلمين إلا أنه أحدث أشياء قلاه

المسلمون عليها، فقال أبو عبيدة: إن هذا ليس برأي؛ أترون رجلا يخاف على نفسه ويطلب الملك، ألا يعطيكم كل ما سألتموه، وإذا طاوعكم على ما تدعونه إليه قال: أنا مقر بدعوتكم ولكن الناس إلي أسرع أنا أحق، فما عسى تقول يا صالح وقد صدق، فإن أراد الدين كما يزعم فليلحق صاحبنا بحضرموت عبدالله بن يحيى فليقاتل بين يديه حتى يموت، ففرق جماعتهم وأفسد رأيهم. وقال أبو سفيان: قيل لأبي عبيدة: ما يمنعك من الخروج، ولو خرجت ما تخلف عنك أحد؟ قال: ما أحب ذلك، ولو أني فعلت ما أحببت، ولا أحب أقيم ما بين الظهر والعصر مخافة الأحكام.

قدم أبو عبيدة مكة ومعه امرأة من المهلبيات وهي جدة سعيدة أو عمتها، فلما فرغا من حجهما قالت له: أريد المقام بمكة، قال لها: الخروج أفضل، قال الراوي: فقلت وأنا أخرج معكم، قال: أنت فأقم، فقلت: تأمر هذه بالخروج وتأمرني بالإقامة؟ قال: لأنك قريب من مكة ونحن بعيد منها، أنتم قريب من خيرها يعني الطواف وبعيد من شر أهلها، كأنه يكره المقام فيها للتجارة. شهد رجلان على شهادة أبي عبيدة عند قاضي البصرة، قال المشهود عليه: أصلحك الله إنما شهدا عليَّ بشهادة فلان، وقال: ويحك أنا به عارف، ولو جاز لي أن أحكم بشهادة رجل واحد لحكمت بشهادته. وأتى حمزة الكوفي أبا عبيدة ليذاكره في أمر القدر، فخرجا إلى منزل حاجب فتناظرا كثيرا، وآخر ما سمع من أبي عبيدة: يا حمزة على هذا فارقت غيلان، فخرج فكلّمه حاجب وكان هيبته من حاجب أعظم من هيبته من أبي عبيدة، فقال حمزة: إنما أخذت هذا القول عن المسلمين، فقال له حاجب: لم تدرك أحدا إلا وقد أدركته إلا جابرا، فعن

من أخذته؟ فقال: عنك، فقال حاجب إني أرجع عنه، فارجع عنه كما رجعت عنه، فقال: ارفق بي واقبل ما أقول، ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك، فالحسنة من الله والسيئة من العباد، وأقول: لا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فقال له: أما هذه الكلمة فمقبولة من غيرك، أما منك فأنا أعرف مذهبك فيها أولا، فخرج فسأل عنه حاجب فقال: ارفقوا بحمزة، ثم بلغهم بعد مدة أنه مشى إلى النساء والضعفاء فكلمهم، قال: فأمر أبو عبيدة حاجبا فجمع له الناس، قال: فتكلم المتكلمون، ثم تكلم حاجب فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن حمزة وعطية أحْدثا علينا أحداثا، فمن آواهم أو أنزلهم أو جالسهم فهو عندنا الخائن المتهم، فتفرق الناس، وطرد من المجلس، وهجره أبو عبيدة وأمر بهجرانه لقوله بشيء من القدر، فقال: يا عجبا لأبي عبيدة قد أمر بهجراني وهؤلاء الفتيان يقولون: أراد وشاء وأحب ورضي عنهم وهو يدنيهم ولا يقول بمثل قولهم، فقال أبو عبيدة: هؤلاء أرادوا إثبات القدر فغلوا فيه، وحمزة يريد إزالته وليس مثبته كمزيله. قيل لأبي عبيدة: هل يستطيع الكافر الإيمان ؟ فقال: من يستطيع أن يأتي بحزمة حطب من حل إلى حرم يستطيع أن يصلي ركعتين ولا يقول يستطيع ذلك إلا بتوفيق الله. سأل عمن كان على دين عيسى ولم يبلغه أمر النبي عليه السلام فدعا رجلا من المجوس فأجابه فانظر فيها قال: فما تقولون؟ قال: الداعي مسلم والمجيب كافر، قال: فهل يدعو إلى طاعة الله ودينه؟ قالوا: نعم، قال: وكيف يكون الداعي إلى طاعة مسلما والمجيب كافرا؟ فرادوه الجواب فبرأ منهم، فخرجوا من عنده منكسرين، فأتوا حاجبا فقالوا: أغثنا قد عجل علينا بالبراءة إنما أردنا أن نستفهمه، فأخبره بتوبتهم، فقال:

فليأتوا الربيع وعبد السلام بن عبد القدوس فليخبراهما بتوبتهم، قال: ففعلوا وأمر بهم وأدخلوا المجالس.

قال أبو سفيان: اجتمع ابن أبي الشيخ البصري وأبو عبيدة بمنى فقال لأبي عبيدة: هل أجبر الله أحدا على طاعة أو معصية؟ فقال: لا، ولو قلت ذلك لكان تخويفه لهم وترهيبه إياهم عبثا، قال: فالعلم هو الذي أقاد العباد إلى ما عملوا؟ قال: لا، ولكن سوّلت لهم أنفسهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فكان منهم ما علم الله. روي أن واصل بن عطاء كان يتمنى لقاء أبي عبيدة، وكانا أعميين، فقال قايد واصل: هذا أبو عبيدة، فقال واصل لأبي عبيدة: أنت الذي يقول إن الله يعذب على القدر؟ فقال: لا، ولكني أقول إن الله يعذب على المقدور، أأنت الذي تزعم أن الله يعصى باستكراه؟ فانقطع واصل، ثم قيل له: سألته فتخلص، وسألك فوقفت، فقال: بنيت له بنيانا منذ ثلاثين سنة فهدمه وهو واقف. قال أبو عبيدة عن جابر بن زيد لما احترق بيت الله الحرام من أجل شرارة طارت بها الريح قال بعض الناس: قدر الله هذا، وقال آخرون: لم يقدر الله أن يحترق بيته، فمن ثم وقع الخلاف الأول في القدر، قال عبيدة: وكان احتراقه يوم السبت لست ليال خلون من ربيع الأول سنة أربع وستين، وكان يصف أمر القدر ويقول: والله ما من نكاح ذات بعل، وانتحال هجرة، ولا حكم بغير ما أنزل الله، وإنما هو شيء أحدثه الناس فيما بينهم، فمن أقر أن الله عالم بالأشياء قبل أن تكون فقد أقر بالقدر، قيل له: إن حمزة قال يخلق، قال: وما ذلك الخلق؟ قيل: يزعم أنه إذا حرك المروحة كان منها ريح قال ليس لذلك

الريح خالق إلا حركتي، قال: برأي قوله؟ قال: نعم، قال: فلو قاله بدين لهلك، قال: فإذا قال برأي؟ قال: إن الرأي عجز لا يكون كمن يدين به.

سئل أبو عبيدة عن نساء تهامة ونحوها، اللاتي لا يتسترن ويتبرجن فقال: هن مثل الإماء، فقيل ذلك لبشير فقال: لا لعمري، الإماء مال، وأما الحراير غض ما استطعت. وسأله رجال عن شيء لم يصح السائل مسألته فقال: فرج عني فإني مغموم، فقال له أبو عبيدة: أنت أحق بذلك مني، تخلطون ثم تطلبون منا الصحيح. قيل لأبي عبيدة: إن أهل عمان يفتون بالرأي، قال: ما سلموا من الدماء والفروج.

سجن الحجاج ضماما وأبا عبيدة وربما ضاق ضمام فيقول له أبو عبيدة: على من تضيق؟! وكانا ينفضان القليل من لحاهما ويقصان شواربهما بأسنانهما. وسأل الحجاج مجوسيا بِمَ يعذبهم؟ قال: بإطعام الزيت والكراث، فأطعم أهل السجن بهما، قال ضمام: فسمنا بهما، فقيل للمجوسي: لم أشرت بذلك؟ فقال: لعلهم يحيون ويموت قبلهم فيخرجون، ومات الحجاج وهم بالحبس. ويروى أنهم اشتهوا اللحم فاتفقوا مع السجان فاشترى لهم لحما، فبينما هم يتناولونه إذا بصوت على باب السجن، فرموا به في الكنيف، فلم يظهر لهم أحد، قال: فكان حزننا على اللحم أشد علينا من قرمنا. قال وايل بن أيوب الحضرمي في الخبَا مشايخ من أهل حضرموت فقهاء علماء فسألتهم عن رجل اكترى دابة إلى موضع فجاوز الموضع فتلفت الدابة قال: فأجمعوا كلهم أنه ضامن للدابة، قال: قلت لهم: ما تقولون في الكراء؟ قالوا: ما نرى عليه الكراء إذا ضمناه ثمن الدابة، قال: وكان أبو عبيدة غائبا أو نائما فاستيقظ قال: وقال

لي حاجب: يا حضرمي سلِ الشيخ عن المسألة، قال: فسألته قال: يضمن عن الدابة والكراء جميعا، قال: فقال له محمد بن سلمة: من أين يا أبا عبيدة يضمن الكراء؟ قال: من حيث لا تعلم. قال المليح بن حسان: دخلت أنا وعبد الملك الطويل على أبي عبيدة فسألناه عن رجل أدخل يده تحت امرأة فأنكرت إنكارا تاما ونهضت، له أن يتزوجها؟ فقال أبو عبيدة: إنها فروج يا أبا نوح، قال: صدقت، ولكن أفتى بها جابر، فقال: إنها الفروج، فقال: نعم، ثم قال أبو نوح: ألم أنهكم يا معشر الفتيان أن تسألوني إذا كان أبو عبيدة حاضرا. (وأبو نوح هذا من أهل عمان) قال أبو سفيان: وقع غلام كان لحاجب عند أبي جعفر المنصور فسأله: لمن كان؟ فقال: لحاجب، وكان عالما به وبأبي عبيدة، فدخل عليه يوما فرآه حزينا فسأله فقال: مولاي الذي كنت له مات، يعني حاجب، فرجّع أبو جعفر فقال: رحم الله حاجبا، ثم دخل عليه بعد ذلك فرآه حزينا فقال: مالي أراك حزينا؟ فقال: مات صديق لمولاي يقال له أبو عبيدة الأعور، قال: وإنه قد مات؟! قال: نعم، فرجّع وقال: ذهبت الأباضية.

والحاصل أن مناقبه وصفاته لا يحصيها كتاب، فقد عاش زمانا طويلاً مختفيا في غار خوفا على نفسه وعلى الدين أن يذهب، وكان طلبة العلم يتهافتون عليه في ذلك الغار كالنحل، فقد أقبل بعضهم من القيروان وبعضهم من عُمان وبعضهم من مصر وبعضهم من خراسان وبعضهم من المدينة كمحمد بن مسلمة ومحمد بن حبيب، وبعضهم من حضرموت، فهذا صادر وهذا وارد، على رأس الحضرميين وائل بن أيوب والإمام عبدالله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبدالله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي، وعلى رأس المغاربة الإمام

عبد الرحمن بن رستم الفارسي ومن عنده من حملة العلم، ومن عمان عدد كبير على رأسهم المحدث الشهير صاحب المسند الربيع بن حبيب الفراهيدي وأبو حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي أحد بني سليمة من مجز الباطنة، وبلج بن عقبة الفراهيدي من مجز أيضا، وقد اتخذوا على الغار سلسلة، فإذا أقبل أحد يخافون منه حركت فيسكتون ويشتغلون بصناعة القفاف، وإذا أمنوا اشتغلوا بالقراءة، قال أبو سفيان في وصفهم: حدثني وايل بن أيوب الحضرمي قال: لقد أدركت رجالا إن كان الرجل منهم لو ولي على الدنيا لاحتمل ذلك في عقله وحمله وفهمه وورعه، وقال أبو عبيدة رضي الله عنه: عجبت لتقصيرنا في بقية عمرنا، ألا ترون أن من نعمة الله علينا وعليكم أنا نرجو أن تصل مودتنا إلى أصحاب الكهف وأصحاب الأخدود إلى أنبياء الله الأولين القدامي، فكيف تقصر مودتنا في إخواننا وشركائنا في حب الله وأعواننا على ذكره بالبر والتقوى، ولو تعلمون ما سبق به أولكم إن كنتم صادقين لحزنتم طويلاً ولجهدتم بالليل كثيرا ولبكيتم كما بكى الذين من قبلكم من المسلمين. قال في بيان الشرع: باض الدين بمكة، وفرخ بالمدينة، وطار إلى البصرة، ونهض إلى عمان. وقال أبو سعيد الكدمي: كان رجل من المسلمين يقال له خيار من أهل سمايل من عمان من طي، وهو خيار بن سا لم، قيل له: أوص، فقال: بماذا أوصي؟ ما علي درهم ولا لي على أحد درهم، وكان يضرب به المثل: موتة كموتة خيار، وكان رجلاً فاضلاً، وكان يقول لأبي عبيدة في بعض كلامه: إذا جاوزت نهر البصرة فأنا أفقه منك، لو كنت نبيا ما أجابك أحد، أنت شديد على الناس، فضحك أبو عبيدة رحمهما الله تعالى. كني أبو عبيدة بابنته عبيدة، ولها آثار وأخبار فيما يتعلق بالنساء، ولأبي عبيدة مسائل وأقوال العمل على

غيرها في المذهب الأباضي منها: جواز الفصل بين الصلاتين لمن جمع، ومنها: أن أكثر الحيض سبعة عشر يوما، ومنها: أن حدّ الحيازة عشرون سنة، ومنها: أن الموالاة والترتيب في الوضوء غير واجبين، والممنوع مخالفة السنة. روى موسى بن علي عن أبيه عن جده، أن أبا عبيدة أذّن فنسي أن يقول: حي علي الصلاة، فلما فرغ قيل له: يا أبا عبيدة إنك لم تقل: حي على الصلاة، فقال: حي على الصلاة.

فصل

الربيع بن حبيب

فصل الربيع بن حبيب

أبو عمرو الربيع بن حبيب بن عمرو الفراهيدي، الطود الأشم والبحر الخضم، أصله من فراهيد من غضفان، ونزل البصرة في محلة يقال لها الحربية، لم يتحقق معنا مولده ولا موته في أي شهر وفي أي سنة إلا أن الثابت وجوده في زمان جابر بن زيد المتوفي عام ثلاثة وتسعين هجرية، إذ أدركه والربيع شاب، وروى عنه في المسند حديثًا، وصلّى عليه موسى بن أبي جابر المتوفى عام واحد وثمانين بعد المائة، فهو ما بين هذين التاريخين. وشيوخه كثير يبلغ عددهم خمسة وعشرين شيخًا، ومن الممكن أن يقال: إنه من التابعين؛ حيث أدرك جابرًا الذي مات هو وأنس بن مالك الصحابي في جمعة واحدة، وغالب رواياته عن ضمام بن السائب العماني وأبي عبيدة مسلم، فقد روى عن أبي عبيدة؛ ففي المسند الذي هو عمدة المذهب الاباضي من رواية الربيع عن أبي عبيدة ثمانية وثمانون حديثا، وجملة ما في الجزأين الأولين من المسند ستماية وأربعة وخمسون حديثا، منها مائة وخمسون حديثا لابن عباس، وحديث أبي سعيد الخدري ستون حديثا، وحديث أبي هريرة اثنان وسبعون حديثا، غير الذي رواه عن عائشة أم المؤمنين وهي ثمانية وستون حديثا، وروى مراسيل جابر بن زيد التي تبلغ أربعا وثمانين ومائة حديثا، وهذا كله غير ما رواه عن أبي أيوب وعبادة بن الصامت وأبي مسعود وعلي بن أبي طالب، هذا جميع ما في المسند المتداول بأيدي رجال المذهب الاباضي، وفي المجموع روايات ضمها إلى المسند العلامة المغربي أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، أحاديث وآثار احتج بها الربيع على مخالفيه في مسائل الاعتقاد وغيرها. قال نور الدين السالمي: "وهي أحاديث

صحاح، يعترف الخصم بصحتها" وجعلها المرتب أبو يعقوب في الجزء الثالث من الكتاب، ثم إنه ضم إلى ذلك روايات محبوب بن الرحيل بن سيف بن هبيرة القرشي عن الربيع، وروايات الإمام أفلح بن عبد الوهاب بن عبدالرحمن الرستمي عن أبي غانم بشر بن غانم الخراساني، ومراسيل جابر، وجعل الجميع في الجزء الرابع من الكتاب، فكانت أجزاء الكتاب أربعة، الأولان في أحكام الشريعة من أولها إلى آخرها بالسند العالي. ويروي الربيع أيضا عن أبي نوح صالح بن نوح الدهان البصري العماني، وأصله من طي، ويروي عن ضمام بن السائب حسبما ذكرنا، لكن روايته عن ضمام قد اعتنى بجمعها الشيخ أبو صفرة عبد الملك بن صفرة. كان أبوه حبيب بن عمرو أحد تلامذة جابر بن زيد. قال العلامة الشماخي: صحب الربيع أبا عبيدة فنال وأفلح، وتصدر بعده على الأفاضل فأنجح.

قال أبو سفيان: "لما أصاب أبا عبيدة الفالج وحضر خروج الناس الى الموسم، مضى إلى أبي عبيدة حاجب بعبد الله بن عبد العزيز ليرسله مع الربيع، فقال: لا أفعل، قال له: فالمثنى؟ قال: نعم، فأرسلوا إلى المثنى فحضر، فقال: أشير عليكم ألا تفعلوا، فيقال: ما وجدوا من يبعثون مع الربيع في سنه وفضله إلا هذا الغلام، فازداد محبة بقوله في نفس أبي عبيدة، وازداد عندهم رضى، فخرج الربيع وحده. قال أبو سفيان: ذكر الربيع عند أبي عبيدة فقال: تقيُّنا وأمينُنا وثقتُنا.

قال أبو سفيان: "اجتمع وايل والمعتمر بن عمارة وجماعة إلى الربيع فسألوه أن يخرج إلى الموسم، فقال: ما عندي ما أتحمل به، فمشوا إلى النظر بن ميمون، وكان من خيار المسلمين ومن تجار الصين، فأعلموه بقوله، فأتاه بأربعين دينارًا،

فقال له: حجّ بها، قال: فلم يقبلها، وكان به خاصًا، فأتاه وايل والمعتمر فقالا: تعلم يا أبا عمرو حاجة الناس إليك فأبيت أن تقبل من النظر، قال لهما: قال لي: خذها على أن تحج بها، ولست أقبلها على شرط، فرجعا إلى النظر، قال: خذاها وادفعاها إليه، ولست أظن أنه يكره ذلك، ففعلا، فأبا أن يقبلها".

قال أبو سفيان: "استحلف أبو جعفر رجلا من أهل الموصل بالطلاق على رجل اتهم أن عنده ماله فحلف، فرجع الرجل إلى داره فوجد نعله، فكتب بالمسألة إلى الربيع فقال: لا بد أن يحضر الحالف، فلما حضر جمع العلماء والأشياخ فاتفق رأيهم على أن الملوك لا يستحلفون على النعال وما أشبهها، والربيع ساكت، فقال الرجل: ما تقول يا أبا عمرو؟ فقال: أرى فراقها، فقال شعيب: إن الملوك لا يستحلفون على النعل، قال: صدقت، ولكن صاحبنا قال: ما له عندي قليل ولا كثير، ولا تخلو النعل أن تكون من القليل أو الكثير، قال أبو العباس: إن يمينه انعقدت على علمه ولا علم له بالنعل، وأيضًا فإن لفظة عندي لا تلزمه ما ألزمه؛ لأن فيه تخصيصًا لا يقتضي قصر الحلف، ولعله أخذ بالأحوط".

قال أبو سفيان: ويرى التغليظ على من قال: عليّ عهد الله وميثاقه، أو كافر يهودي أو نصراني. جاء نصر أبو محمد الأزدي إلى أبي عبيدة يسأله عن مسألة فأجابة، ثم قال: إيت الربيع، فلما حضر سأله فأجاب بغير جواب أبي عبيدة، فراجعه أبو عبيدة فيه، وقال: الذي حفظت عنك كذا، قال: أوقد حفظت؟ قال: نعم، قال للرجل: انظر ما قال الربيع فخذ به؛ فإنه عني حفظ. وكان أبو عبيدة في وقته ذلك في شكاية، وكان الربيع إذا سئل عن مسألة أجاب عنها.

قيل: ويقال له إذا أجاب عنها: عمن أخذتها؟ فيقول: حفظت الفقه عن ثلاثة أبي عبيدة وضمام وأبي نوح، هذا قول أحدهم، ولم يخف عليه قول واحد منهم. وسئل عن رجل مشتمل من البرد فيضع كساءه تحت قدميه ويسجد ويداه على الطيلسان، قال: هذا صنيعي، إلا أن يرى أبو المضا غير ذلك، وكان أبو المضا من السِّند قد أدرك أهل النخيلة، قال أبو المضا: القول قولك.

ودخل عليه أبرهة بن عطية فقال: يا أبا عمرو رجل من إخوانك من أهل الشام، فكان يختلف عليه ويسأله عن الفقه زمانا، فحضر بعض المسلمين مجلسه فقال: سلّم على أخينا فسلَّم عليه، فقال: من أي البلاد؟ قال: من الشام، قال: من أهل الجزيزة قال: لعلك ابن عطية؟ قال: نعم، قال: أبا عمرو هذا الذي أهلك أهل خراسان وأبُوه قبله، فلا يدخلن عليك، قال الربيع: أسرعت على الرجل، فخرج الرجل فأتى وائلا والمعتمر وعبد الملك وجماعة من أصحابنا فأعلمهم، فأتوا الربيع فقالوا: قربت بن عطية، فقال: لا يجمل بمثلي أن أرد من يأتيني، مع أن الرجل لم يسألني عن شيئ أكرهه، قالوا: فلا يدخلن عليك. فأتى فأستأذن فحجبه، فقال: ما ظننت الربيع في فضله وعلمه وورعه وحلمه يرد مثلي، وإنما أسأله عما ينتفع الناس به من أمر دينهم، فبكى وانصرف، وارتحل من جواره.

وفي أيامه خالف عبدالله بن عبد العزيز وأبو المؤرج وشعيب وأصحابهم في الجمعة، والمرأة التي تؤتى فيما دون، وأن أهل القبلة المتأولين في الدين الذي ورد ما يوهم التشبيه مشركون، ورد الربيع مقالتهم وبرئ منهم، وقد كانوا تكلموا

بذلك في أيام أبي عبيدة، فأنكرها عليهم وطردهم من المجلس، وأتوا حاجبا والربيع فتابوا وأعادهم إلى المجلس، ثم أظهروها في أيام الربيع وتمادوا عليها.

مات أبو عبيدة وعلماء الإباضية في المغرب وحضرموت وعمان والبصرة وخراسان والسند ومصر وكلهم يرجعون إلى الربيع بعده في مهماتهم، جمع أبو غانم بشر بن غانم الخراساني كتاباً جليلاً سماه « المدونة » عن سبعة من تلامذة الربيع، وغالب ما فيها فتاوى الربيع رتبها القطب بن يوسف، وجعلها في جزءين ضخمين.

وحمل عنه العلم إلى عمان عدد كبير، أشهرهم على الإطلاق خمسة: محبوب بن الرحيل (وهو ربيبه) وموسى ابن أبي جابر الأزكوي (من بني ضبة المتوفى ليلة أحد عشر من محرم سنة إحدى وثمانين ومائة سنة، وعمره أربع وتسعون سنة وأشهر) والثالث بشير بن المنذر النزواني العقري (جد بني زياد، من سامة بن لؤي بن غالب المتوفى سنة ثمان وسبعين ومائة في الربيع) والرابع محمد بن المعلى الفشحي الكندي، والخامس المنير بن النير الريامي الجعلاني من قضاعة بن مالك بن حمير وفي وفاته اختلاف فيه بعض التناقض.

ولما وقع الاختلاف بين الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي والذين أنكروا إمامته، رضي الفريقان الربيع حاكمًا بينهم، وذلك في العقد الثامن بعد المائة، فكتب إليهم ما نصه: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على نبينا محمد وآله الطاهرين، أما بعد: فقد بلغنا يا إخواننا ما كان قبلكم وفهمنا ما كاتبتمونا به، أما ما كتبتم به من أمر الشرط فليس من سيرة المسلمين أن يجعلوا الشرط في الإمامة أن لا يقضي أمرًا دون جماعة، ولو صح في الإمامة شرط لَما أقيم لله

حق ولا حد، ولعطلت الحدود وبطلت الأحكام وضاع الحق، على أن الإمام إذا قدم إليه سارق فلا يصيب أن يقيم عليه حدًّا فيقطع يده حتى تحضر الجماعة التي ذكرنا، أو زنى أحد فلا يرجم ولا يجلد حتى تحضر أيضًا، ولا يجاهد الإمام عدوًا ولا ينهى عن فساد إلا بحضرة الجماعة المعلومة، والجماعة يتعذر اتفاقها فالإمامة صحيحة والشرط باطل. وأما ما ذكرتم من تولية رجل من المسلمين إذا كان فيهم من هو أعلم منه فذلك جائز إذا كان الثاني من القناعة والفضل بمنزلة حسنة، فقد ولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه وزيد بن ثابت أفرض منه، وعلي بن أبي طالب أقضى منه، ومعاذ ابن جبل أعلم منه، وهذا ليس فيه اختلاف لقول رسول الله ﷺ: "أفرضكم زيد وأقضاكم علي واقرؤكم أُبيّ وأعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل" وقوله ﷺ: "معاذ بن جبل سيد العلماء سيحشر غدًا يوم القيامة أمام العلماء". وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

لقد كان في البصرة بمنزلة إمام البيعة مع الإباضية فلا يقدمون ولا يؤخرون إلا بمشورته، وكانوا يؤدون إليه زكاة أموالهم ليضعها حيث يشاء.

قال أبو سفيان (وكان ربيبه): كتب إلي الربيع أن آتيه ولا أصوم في اليوم الذي فيه، فأتيته فأعطاني حمارا وقال: اركب هذا الحمار في أحياء البصرة فطف واكتب لي من كان من المسلمين، قال محبوب: فركبت الحمار وجعلت استخرج من على رأي المسلمين في أحياء البصرة وكتبتهم حتى بلغوا ثمانمائة وألف، ووجدت نساء من المسلمين قد تزوجن برجال من قومنا قد ماتوا وخلفوا أيتامًا معهن، ولم يكن الربيع أمرني فيهم بشيء، فكتبتهم وميزتهم ليرى رأيه فيهم، فلمّا رجعت إليه وعرفته أعطى أولئك اليتامى الذين من أولاد قومنا رحمة لأمهاتهم.

هذا وأخباره وآثاره مشحونة بها الكتب العمانية والمغربية، وقد شرح المسند الشيخ أبو ستة من علماء جربة بالجمهورية التونسية، ولا تزال بها إلى اليوم بقية صالحة من رجال المذهب، وشرحه أخيرًا نور الدين السالمي.

وكانت له أقوال العمل على غيرها في المذهب الأباضي منها: عدم تحريمه نكاح المتعة، والصحيح معهم نسخها، ومنها: قوله إن الصلاة لا يقطعها شيء، ومنها: أنه ينزل الأم منزلة الأب عند عدمه، ومنها: أنه يرى أن المكاتب عبد ما بقي عليه شيء مما كوتب عليه، ومنها: أنه لا يرى الاستنجاء بالماء واجبًا.

فصل

في أصول الخلاف بين الناس وافتراق الأمة

فصل في أصول الخلاف بين الناس وافتراق الأمة

لا يخفى أن الأصول التي يرجع إليها جميع المسلمين على أنواع الاختلافات بينهم هي الكتاب والسنة والإجماع، ولكن الخلاف معهم في الإجماع والقياس، وهما الثالث والرابع من الأركان عند جمهور المسلمين المعتبرة أقوالهم وأفعالهم.

قال بعض الفقهاء: عرض الاختلاف لأهل ملتنا من ثمانية أوجه كل ضرب من الخلاف متولد منها ومتفرع عنها. الأول: اشتراك الألفاظ والمعاني. الثاني: الحقيقة والمجاز. الثالث: الإفراد والتركيب. الرابع: الخصوص والعموم. الخامس: الرواية والنقل. السادس: الاجتهاد فيما لا نص فيه. السابع: الناسخ والمنسوخ. الثامن: الإباحة والتوسيع.

وقال غيره: الاختلافات بين أهل المذاهب والأديان على أربع مراتب الأولى: الخلاف بين أهل الأديان النبوية وبين الخارجين عنها من الثنوية والدهرية، وذلك في حدوث العالم، وفي الصانع تعالى، وفي التوحيد. والثانية: الخلاف بين أهل الأديان النبوية بعضهم مع بعض، وذلك في الأنبياء، كاختلاف المسلمين والنصارى واليهود. والثالثة: الاختلاف المختص في أهل الدين الواحد بعضهم مع بعض في الأصول التي يقع فيها التبديع والتفجير، كالاختلاف في شيء من صفات الله تعالى وفي القدور، كاختلاف المجسمة. الرابعة: الاختلاف المختص بأهل المقالات في فروع المسائل كاختلاف الشافعية والحنفية.

فالاختلاف الأول يجري مجرى متنافيين في مسلكيه لآخذ طريق المشرق وآخذ طريق المغرب، أو آخذ طريق ناحية الشمال وآخذ طريق ناحية الجنوب. والثاني يجري مجرى الآخذ نحو المشرق وآخذ يمنة أو يسرة، فهو وإن كان أقرب من

الأول فليس يخرج أحدهما أن يكون ضلالا بعيدا. والثالث يجري مجرى آخذ جهة واحدة ولكن أحدهما سالك المنهج والآخر تارك المنهج. والرابع جارٍ مجرى جماعة سلكوا منهجًا واحدًا، لكن أخذ كل واحد شعبة غير شعبة الآخر، وهذا هو الاختلاف المحمود لقوله ﷺ: الاختلاف في هذه الأمة رحمة للناس ونحوه نظير من قال: كل مجتهد في الفروع مصيب. ولأجل الفرق الثلاث أمرنا أن نستعيذ بالله ونتضرع اليه بقوله ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ وقال ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾الأنعام: ١٥٣.

أما أصول فرق المسلمين فثلاث: الخوارج والشيعة والمرجئة، وأما فروعهم فكثيرة جدا لا يحصرها الثلاثة والسبعون الواردة في الحديث، ولا تكاد تجد فرقة إلا وأهلها مفترقون قولا وعملا وربما يفضي بهم الحال الى القتال بعد الجدال. قال الأستاذ أحمد أمين: "وأحيانا يحكي القول من أقوال الفرق المختلفة على أنه مذهب ديني بحت ومسألة عقيدة صرفة مع أنا لو دققنا النظر في أصلها لوجدناه سياسيا، كمسئلة مرتكب الكبيرة، أكافر أم مؤمن، فالظاهر أن بحثها لم يكن بحثا لاهوتيا بحتا، وإنما منشؤها حكم الأحزاب السياسية بعضها على بعض، فالخوارج أثاروا المسألة من ناحية من اتبع عليًّا، أكافر أم مؤمن، ومن اتبع معاوية، أكافر أم مؤمن، كما نتساءل نحن اليوم ما حكم من اتبع مذهب كذا السياسي أخائن لوطنه أم غير خائن؟ إلى أن قال: أضف إلى ذلك أنه كان في كل حزب مكرة مهرة، رأوا أن الناس في ذلك العصر لا يستهويهم القول بالصالح العام في دفاعهم إنما يدافعون عن الدين ويجردون السيف باسم الدين، فغرقت الأحزاب كلها في هذا البحر، واستعملت هذا السيف، وأثارت العواطف

من هذا الباب، واستغلت عقول العلماء ليمدوها بما لديهم من علم في هذه السبل، وانضم إليهم من لا يخافون الله، فإذا لم يجدوا في الدين شيئًا وضعوا له الحديث والأخبار الدينية، وبذلك كله كان الخلاف السياسي سببا كبيرا من أسباب الخلاف الديني، وسببا في العقايد والفرق". قلت: ويدل على ذلك ما رواه المبرد أن المهلب بن أبي صفرة كان يضع الأحاديث ضد الخوارج، وقال الإمام علي: الحرب خدعة، كما رواه البخاري عنه، والله ولي التوفيق.

وقد ابتلي كثير من الناس بالقدح في أعراض بعضهم بعض؛ فتجد الشافعي يتكلم على الحنفي، والحنفي يسبّ الشافعي، حتى يفضي بهم القول إلى تحريم المناكحة بينهم. وروى ابن عبد البر أن ابن أبي ذيب تكلم في الإمام مالك بن أنس بكلام غاية في الشناعة، كما تكلم عليه إبراهيم بن سعد والشافعي وبعض أصحاب أبي حنيفة، ولا تجد مذهبًا يخلو من قادح، الله المستعان ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ الزمر: ٤٦. ولا تكاد تجد عالِمًا أو مذهبًا إلا وله قادح وعائب، قال الزمخشري:

فإن سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه كتمانه لي أسلم

فإن حنفيا قلت قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرم

وإن مالكيا قلت قالوا بأنني ... أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم

وإن شافعيا قلت قالوا بأنني ... أبيح نكاح البنت والبنت تحرم

وإن حنبليا قلت قالوا بأنني ... ثقيل حلولي بغيض مجسم

وإن قلت من أهل الحديث وحزبه ... يقولون تيس ليس يدري ويفهم

تعجبت من هذا الزمان وأهله ... فلا أحد من ألسن الناس يسلم

غيره:

الشـــافعي يقـــول وهـــو إمامنـــا اللعـــب بالشـــطرنج غـــير حـــرام
وأبـــو حنيفـــة قـــال وهـــو مصـــدق في كـــل مـــا يـــأتي مـــن الأحكـــام
شـــرب المعتقـــة الســـلافة جـــائز فاشـــرب علـــى نغـــم مـــن الأنغـــام
والشـــيخ أحمـــد قـــال إن إلاهنـــا جســـم يحـــل كســـائر الأجســـام
والشـــيخ مالـــك للكـــلاب محلـــل وهـــم دعـــائم قبـــة الإســـلام
فاشـرب وقـامر بالجـد وأطعـم ميتـة واحـــتج في كـــل بقـــول إمـــام

واختلف العلماء في أمة النبي ﷺ فقيل: المسلم والكافر، وقيل: المسلم فقط. أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلهن إلى النار ما خلا واحدة ناجية، وكلهم يدعي تلك الواحدة" قال نور الدين السالمي رضي الله عنه: وهي التي تثبت على كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وسنة الخلفاء المهديين عملا بوصية رسول الله ﷺ، فعن أبي نجيح العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فأوصنا قال: "أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة" رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. ولا يخفى أن السيرة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر اختلفت في آخر

خلافة عثمان، وأن المنكرين عليه إنما طالبوه بتلك السيرة، فما زال يماطلهم والأحكام مضيعة، ثم طلبوا منه أن يعدل أو يعتزل، فأَبى عليهم، وكلهم يد واحدة عليه، إلا من كان من خاصته وخدمه، فحاصروه طويلاً ثم قتلوه ولا منكر، ثم قدموا علي بن أبي طالب إمامًا على السيرة الغراء، فخرج معاوية عن طاعته خوفًا على ولايته أن تسلب، ووازره عمرو على ذلك بعد أن اشترط عليه ما اشترط، ولبسوا على الناس أنهم يطلبون بدم عثمان، ثم نكث طلحة والزبير بيعة علي، فكانت وقعة الجمل، ثم سار إلى معاوية والمسلمون له مؤازرون ومناصرون فكانت وقعة صفين، ثم خدعوه بطلب التحكيم، وأعطى على ذلك العهود والمواثيق، وإمامته واضحة نيرة، فطلبوا منه الثبات على تلك السيرة الواضحة والتمسك بقوله تعالى: ﴿ فَقَـٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ فأبى عليهم، وخاصموه في المسألة فخصموه فلم يرجع، فتركوه وقدموا عبد الله بن وهب الراسي، وكان من أمر الحكمين ما كان من اتفاقهما على عزله، واختلافهما في معاوية فلم يرض بحكومتهما، فأين ما أعطى من العهد إن كان التحكيم حقًّا، وإن كان باطلا فعلامَ يلام ويقاتل من لم يرض به، فإن قيل إنما قاتلهم لأجل الخروج عنه لا لإنكار الحكومة، قلنا: إنما خرجوا بعد أن خلع الإمامة من عنقه وجعلها إلى الحكمين يحكمان فيها كيف شاءا، مع أنه لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل، فعن أنس أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: يا رسول الله أرأيت إن كان علينا أمراء لا يستنون بسنتك ولا يأخذون بأمرك فما تأمر في أمرهم؟ فقال رسول الله ﷺ: "لا طاعة لمن لم يطع الله عز وجل" الحديث في مسند أحمد وفي جامع الترمذي. وفي مسند أحمد أيضًا عن حذيفة

رضي الله عنه قال: كنا عند النبي ﷺ جلوسًا فقال: "إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي وأشار إلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتمسكوا بعهد عمار" فنص رسول الله ﷺ في آخر عمره على من يقتدي به من بعده وعلى من يهتدي بهديه وعلى من يسمع قوله. قال: والأصحاب (يعنى الأباضية) رحمهم الله تعالى اقتدوا بأبي بكر واهتدوا بهدى عمار وسمعوا قول ابن مسعود، فهم على وصية نبيهم عليه الصلاة والسلام، فهذا دليل أن الصواب ما عليه الأصحاب، وقد روت القوم أحاديث تقتضي سعادة عثمان من أهل الأحداث المخصوصين، ولإن صحت تلك الأحاديث فلا يضرنا ورحمة الله واسعة، والأصحاب رحمهم الله تعالى قد حكموا في ذلك بحكم الله تعالى، ولا تناقض بين سعادتهم وحكم الله فيهم في هذه الدنيا، فكم محدود على الزنا والخمر هو في علم الله تعالى يموت تائبًا، ظهرت توبته للناس وانسترت، ويؤيد ذلك ما في البخاري في فضل عائشة، عن الحكم سمعت أبا وائل قال: لَمَّا بعث علي عمارًا والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم، خطب عمار فقال: "إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها" وذلك يوم الجمل.

خاتمة

في ذكر أقوال العلماء المخالفين والموافقين في المذهب الأباضي

خاتمة في ذكر أقوال العلماء المخالفين والموافقين في المذهب الاباضي

فمن المتقدمين المبرد، قال في الكامل: "قول ابن اباض أقرب الأقاويل إلى السنة". وابن حزم حسبما حكاه عنه ابن حجر في فتح الباري قال: "أسوأ الخوارج حالا الغلاة وأقربهم إلى قول أهل الحق الإباضية".

ومن المتأخرين العلامة الخليل حسن السندوبي محقق البيان والتبيين للجاحظ، قال في حاشية الجزء الثاني: "المذهب الاباضي، وأهل هذا المذهب من أفاضل القبلة، وممن ينفرون من البدع التي ليست من الدين في شيء، ومن هنا يتهمهم بعض المسلمين بالتشدد وبعدم مسايرتهم للتقدم، بل يرمونهم بما هم منه براء، وقد كنت خدعت بقول خصومهم فرددت مجمل ما يتهمونهم به في بعض هوامش الجزء الأول، ثم تبين لي اليقين فيهم فعلمت أنهم من خيار المسلمين، وممن يرجعون في كل أمورهم من عبادة ومعاملة إلى الكتاب والسنة، ولا يرعك تنديد الجاحظ بهم؛ فإنهم كانوا فيما سلف خصومًا للمعتزلة رضي الله تعالى عن المسلمين كافة"

وقال في الموسوعة العربية الميسرة: "إباضية فرقة من معتدلي الخوارج في البصرة والكوفة، تنسب إلى عبدالله بن اباض الذي عرف في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وعاصر عبد الملك بن مروان، قام على أمرها من بعده أئمة متلاحقون، عمرت طويلا وانتشرت في أرجاء مختلفة، وهناك إباضيون حتى اليوم في عمان والجزائر وزنجبار، والإباضية لا تقول بكفر غير الخوارج ولا بشركهم، وتبيح الزواج منهم، ترى ضرورة الإمامة بناء على اختيار الشيوخ وأهل الرأي

وليس بلازم ظهورها دائمًا، فقد يبقى اختيار الإمام في طي الكتمان، تسلم بأصول الفقه التي قال بها أهل السنة فيما عدا الإجماع". وقوله "فيما عدا الإجماع" غلط؛ فان الإجماع ركن من أركان الدين عند الاباضية، ورابعه القياس بعد الكتاب والسنة.

قال عز الدين التنوخي عضو المجمع العلمي بدمشق في مقدمته على مسند الربيع وشرح نور الدين السالمي عليه قال: "وإذا اطلع المنصف على هذا الشرح وجد الشارح واسع الاطلاع، وألفى شرحه واضحًا مبينًا، وتعابيره صحيحة فصيحه، أسلوبها المساواة؛ فلا هي مسهبة مملة، ولا مفرطة مخلة الإيجاز، وأما أبحاثه فيها فإنها تدل على اعتدال في التحقيق وبعد عن التعصب، فكثيرًا ما ينقل عن العلماء المخالفين كالحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة، ويستشهد بأحاديث الشيخين وأئمة الحديث، كأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدار قطني والطبراني والبيهقي، وغيرهم من أهل السنة والجماعة، مما يدل على أن الاباضية في المشرق والمغرب مذهب قريب من مذاهب السنة، والناظر في شرح النور السالمي عالم عمان يمتلئ طمأنينة بما ذكرته، وقلما رأينا من رجال غير المذاهب السنية من يستشهد برجال الحديث والفقه من أهل السنة إلا استشهاد نقد ورد، وما آثرت تخريج أحاديث المسند والشرح ولا سيما ما رواه الشيخان إلا لتطمئن قلوب إخواني أبناء السنة بأن مسند الربيع الذي بني عليه المذهب الاباضي هو صحيح الأحاديث، وأكثرها مما جاء في الصحيحين، وجابر بن زيد ممن روى عنهم البخاري وغيره، لكيلا يقع فيما وقع خصوم

الاباضية أو من لم يعرف حقيقة مذهبهم وعقيدتهم فيظنهم من الخوارج الغلاة، كالأزارقة والنجدية والصفرية المانعين لموارثة ومناكحة مخالفيهم".

وقال السيد مصطفى بن اسماعيل المصري: "إن مذهب الاباضية نسبة إلى الإمام عبد الله بن اباض هو أقدم المذاهب تاريخًا، وأوثقها مصدرًا، وأصحّها تأويلا، وأحفظها لِلُباب طهارة الدين الحنيف ونقاوته وسماحته وزكاوته، وعلى ذلك فليس ثمت مراء في أنه هو الطريق الحق الذي كان يمضي عليه رسول الله ﷺ والصحابة معه، وتلقاه عن جبريل عن ميكائيل عن إسرافيل في اللوح المحفوظ عن الله عز وجل، وأنه هو الصراط المستقيم الذي دعانا الله إلى اتباعه في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ الأنعام: ١٥٣ وأن أصحابه العاملين بما فيه هم المؤمنون حقا، أهل الفرقة الناجية التي عناها رسول الله ﷺ في هذا الحديث الصحيح "بلوت اليهود فوجدتهم قد كذبوا على أخي موسى فافترقوا على إحدى وسبعين فرقة كلها هالكة ما خلا واحدة ناجية وهي التي ذكرها الله تعالى في كتابة فقال عز من قائل ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ وبلوت النصاري فوجدتهم قد كذبوا على أخي عيسى فافترقوا على اثنتين وسبعين فرقة كلها هالكة ماخلا واحدة ناجية، وهي التي ذكرها الله في كتابه بقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها هالكة ماخلا واحدة ناجية، وكلهم يدعي تلك الواحدة" أو كما قال صلوات الله عليه. قال: ولقد شهد بهذا الحق جميع الفلاسفة الفرنساويين الباحثين في الأديان الذين

وقفوا بكياسة أبحاثهم وسلامة قياسهم على أن نقاوة الدين الإسلامي لا تحصر إلا في مذهب أتباع ابن اباض". قلت: وحديث الافتراق رواه ابن حبان والحاكم في صحيحهما، وقال الحاكم: إنه حديث كبير في الأصول. وقالوا في تفصيل الفرق: عشرون منها في المرجئة، وأربع وعشرون في الشيعة، واثنتا عشرة في المعتزلة، وسبع عشرة في المحكمة. وهذا الشيخ مصطفى المصري كان على مذهب الأشعرية فرجع إلى مذهب الاباضية.

قال العلامة أبو الحسن علي بن محمد البسياني من علماء القرن الرابع بعمان: "فحصت الأديان ظهرا وبطنا فلم أجد دينا أصفى من ديننا، ولو علمنا غيره خيراً منه لَمَا سمحنا لجهنم بأنفسنا، فعلينا في عصرنا وبعد زماننا أن نعتصم بحبل الله القرآن وما نقلته إلينا علماؤنا رحمهم الله, فهم الصادقون, فقد صدقناهم وقبلنا منهم، وتوكلنا على الله في تصديقنا وقال النبي ﷺ "لا تجتمع أمتي على ضلال" فخصّ بقوله أهل هذه الشريعة، وهم الشهداء على كل مذهب؛ لأنا رأينا الزاني والسارق وشارب الخمر والظالم في جميع المذاهب يسمون مؤمنين ورأيت هذا المذهب لا يفعل من هذه الأفعال القذرة قليلا ولا كثيراً ورأينا مذهبنَا منزها عن القاذورات، فعلمنا أنه هو الدين الذي لا يرضى الله إلا به؛ لأنه مذهب منزه صريح صحيح واضح، من طريق الشريعة لا من طريق اللغة، والله أعلم" وقوله: لأن الزاني والسارق وشارب الخمر والظالم في جميع المذاهب يسمون مؤمنين يشير إلى قوله ﷺ "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا ينهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم وهو مؤمن" رواه

البخاري، وفي الجامع عن البخاري وغيره: "من زنا خرج منه الإيمان فإن تاب تاب الله عليه"، وفي رواية أخرى "من زنا أو شرب الخمر نزع الله منه الإيمان، فكان على رأسه كالظلة، فإن أقلع رجع إليه" وفي رواية "نزع الله منه الإيمان كما يخلع الإنسان القميص من رأسه" والمعنى على هذا كله مع الأباضية أن مرتكب الكبيرة ينتقل من الإيمان إلى كفر النعمة، كما هو ثابت مقرر، ومعنى قوله "فهم الصادقون" يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩ فكل من يتحرج من فعل الصغاير ويهرب من ارتكاب الكباير فهو المؤمن حقًّا والصادق عند الله وعند الخلق صدقًا، وهو الثقة في نقله والأمين على قوله وفعله، ولا يزهد في المذهب الاباضى قلة رجاله، فهذا مما يشرف الكرام، فقد ركب نبي الله نوح سفينته ولم ينج غيرها من أهل الأرض، وهاجر إبراهيم وما عنده إلا لوط عليه السلام، وقال الله حكاية عن الملايكة الذين جاؤا إلى لوط ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ الذاريات: ٣٦ وقال فرعون في موسى وأصحابه ﴿ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴾ الشعراء: ٥٤ وانظر إلى حال رسول الله ﷺ وقلة أصحابه بالنسبة إلى أهل زمانه، وحالة الصالحين من أصحابه والتابعين وهكذا، قال الله تعالى ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾ الأعراف: ١٠٢ وقال ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ ص: ٢٤ وقال ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ: ١٣.

قال القطب ابن يوسف: "وقد أقرَّ لي علماء الحرم أن دين الاباضية الوهبية خالٍ من البدعة" قال: "وإذا كانت الاباضية الوهبية مع عملهم بتلك الطاعات وتركهم تلك المعاصي في ضلال، فمن يكون إذن على صواب، أهؤلاء الذين

يبولون على أعقابهم ولا يستجمرون، وتنجس ثيابهم ويصلون بها، وبلا استنجاء ولا غسل جنابة، ويشربون الدخان والخمر وأنواع المسكرات والمفترات ويعتقدون الرؤية التي توجب أن لله لونًا وحلولا في مكان وجهات، ويطففون الكيل والميزان، ويسرقون المال، ويستعملون الربا، وتنكشف نساؤهم ولا يصونونهن، ويحكمون بالجور، ويأخذون الرشا، ويقارفون تلك المعاصي كلها غير الشرك، ويتركون الفرايض والطاعات غير التوحيد، فمن فعل ذلك منَّا أو منهم ومات غير تايب فهو في النار" قـال نـور الدين السـالمي على أثره: "ومعنـاه أنهم يتركون الواجبات غير التوحيد، ويفعلون المعاصي كلها، وهم مع ذلك لا يقطعون بالخلود على ذلك الفاعل، بل يقولون إنه يدخل الجنة قطعًا؛ لحديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق، وجوابهم نحن نقول: لا إله إلا الله ولا نزني ولا نسرق، فيلزمكم أن تقطعوا لنا بالجنة، وإذا قطعتم لنا بالجنة فعلى ما الطعن في مذهبنا، هذا على تسليم ما قالوه من ظاهر الحديث، وهو عندنا إن صح متأوّل بأن من قالها دخل الجنة وإن زنا وإن سرق قبلها؛ لأن الإسلام جبٌّ لما قبله، وهذا فيمن قالها واتبع العمل، أو مات قبل أن يجب عليه العمل؛ لقوله عز من قايل ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ ﴾ فصلت: ٣٠ وقوله ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ﴾ في كثير من الآيات، وقوله تعالى ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ الجن: ٢٣ ولولا القطع بتعذيب التارك للفرض أو الفاعل للكبيرة إن لم يتب لَمَا صحَّت الفرايض ولا اجتنبت المحرمات؛ فإنه يلزم عليه أن يكون فعل ذلك وتركه عليه سواء، وقد قال تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ القلم: ٣٥ - ٣٦ ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ

﴿اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ الجاثية: ٢١ وقال السالمي أيضا: "والله الذي لا إله إلا هو إن الحق لمع هذه العصابة" وقال في الجوهر: "ومن هنا القطع بهذا المذهب بأنه الأصل الذي عن النبي" وعنده أن الحالف بهذا لا يحنث؛ لأنه على يقين.

قال العلامة الرباني المبارك جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي: "إني لأقسم بالله قسم من برَّ في يمينه فلا حنث، إن من مات على الدين الأباضي الصحيح غير ناكث لما عاهد الله عليه من قبل ولا مغير حقيقته كلا ولا مبدل طريقته أنه من السعداء ومن أهل الجنة مع الأنبياء والأولياء، وإن مات على خلافه فليس له في الآخرة إلا النار وبيس المصير؛ لأنه الحق وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون، على هذا إن شاء الله أحيا وأموت عليه، وعليه ألقى الله رب العالمين" ولما توفي هذا الشيخ رضي الله عنه وضع نعشه منحرفًا عن القبلة قبل أن يصلى عليه، فاستدار إلى القبلة كرامة له. والكلام في هذا الموضوع كثير عن السلف والخلف.

وقال العلامة ابن النظر من علماء عمان وشعرائها في القرن الخامس يذكر بعض رجال المذهب وصفاتهم.

من الإباضيين أهل الوجل	والخوف لله وصدق العمل
رهط ابن وهب وابن حصن الأفضل	منهم حرقوص وابن نوفل[1]
عاطاهم الانزع كأس حنضل	وسهم حين للحياة مثكل

١) شريح بن نوفل

وهل كعمار ليوم فشل ... ذاك خذين المصطفى المنتخل[١]
وهل كمثل جابر من رجل ... وهل له من خطل أو زلل
أو في أصيل رأيه من خلل ... وهل كمرادس لخطب معظل
أو كقريب عند هول مهول ... والثالث الزحاف يوم المحفل
ووقعة النخلة ذات الثكلِ ... ويوم طواف الشهيد البطل
ذاك أمرؤ شارٍ زكي العمل ... وهل كأصحاب الجدار النبل
من مشبه تحت عجاب القصطل ... أو كالجلندا بن مسعود[٢] الولي
وهل كغسان فحسبي بجلي[٣] ... وابن حميد ذي الأناة الجدل
المحسن البر الكريم المجمل ... أو المهنا عند هول مهول
يفتر عن ناب زبون أعصل[٤] ... والصلت باب فتنة لم تقفل
دبّوا إليه في لهام جحفل ... وفي لفيف من رعاع رذل
ليسوا أولى دين ولا تعقل ... بلا احتجاج لا ولا تأول
فأجمع الصلت على التحول ... وهو إمام لهم يعزل
لم يقترف كفراً ولم يبدل ... أتاه ما ليس له من معدل
من قدر الله ولا من مزحل[٥] ... وهل كمحبوب ليوم معضل
ليوم عوصاء ويوم النضل ... وابنيه ما إن لهما من مثل

---

١) بالحاء والخاء.

٢) أول إمام بعمان عام ١٣٢.

٣) بجلي وحسبي: سواء في المعنى.

٤) أعصل: أعوج.

٥) مزحل: تنحى.

واذكـر ربيعًـا وضـمامًا وارحـل إلى الإمـام الحضـرمي[١] العبهـل
وأين في الناس كموسى بن علي[٢] وابن أبي جابر[٣] ذي الرأي الجلي
وهاشـم[٤] في السـهل أو في الجبـل أو كـالمنير[٥] في الليـالي الطفـل
وابـك علـى أبرهـة[٦] والمفضـل وطالـب الحـق بـن يحيى المسبل
إمـام صـدق لـيس بالسـبهلل[٧] ولا بدهـدن ولا بفهلـل[٨]
يهتـز للعـرف اهتـزاز المنصـل[٩] قايـده المختـار[١٠] ذو التبـدل[١١]
ذاك أبـو حمـزة ذو التخيـل في الحرب والساحب عقد الأذيل
يـوم قديـد أي يـوم محفـل ومـبهج للمسـلمين مجـذل
حـين تولـوا كالجهـام[١٢] المجحفـل ووارث ذاك الـذي لم يخمـل
أو كالحبـاري نفـرت عـن أجـدل صـكهم الشاري بكـل هيكـل[١٣]

---

١) أحمد بن سليمان الحضرمي.

٢) بن الحصين أبي الحر التميمي جده مالك بن الخشخاش صحابي توفي في ربيع الأول عام ٢٣١ وسنه ثلاثون سنة.

٣) موسى بن أبي جابر، سبق تاريخ موته: أحد حملة العلم إلى عمان.

٤) من أهل سيجاء هاشم بن غيلان من حملة العلم إلى عمان.

٥) كذلك من حملة العلم ريامي سبق ذكره.

٦) أبرهة بن الصباح الحضرمي.

٧) السبهلل: الباطل والضلال.

٨) وكذلك الدهدن والفهلل في معنى السبهلل، وفي نسخة ثهلل.

٩) المنصل: السيف.

١٠) وهو المختار بن عوف الخطيب المشهور العماني.

١١) التنقل.

١٢) الجهام: السحاب، وفي النسخة كالنعام.

١٣) الهيكل: الفرس.

وكل وشواش[١] الذراع عيطل[٢]	فلم يزل مجتهدا لا يأتلي
حتى مضى على السبيل الأفضل	أمَّ به الرحمن خير السبل
أولائك أنواء السماك الأعزل	وهم سحاب في الجناب[٣] الممحل
أقمار دجن نورها لم يأفل	أحبار ليل كالحنيّ[٤] الذبل
أنضاء صوم كالشنان النحل	بيض الوجوه كالنجوم النصّل
شم الأنوف كالسيوف القصّل[٥]	ذوو ابتسام وذوو تهلل
مثل ابتسام العارض المستقبل	هم المنار في المنار الأطول
والأفضلون في الخيار الأفضل	فاسأل فما العالم من لم يسأل
أنا على قصد الصراط الأعدل	لسنا كما أن سيم خسفا يدلل
والأفضلون في الخيار الأفضل	فاسأل فما العالم من لم يسأل
أنا على قصد الصراط الأعدل	لسنا كما أن سيم خسفا يدلل
في دينه وإن يكاثر يقلل	نأخذ عن أصل قديم عدمل[٦]
ليس بمعيوب ولا مستدخل	بابن أم عبد وحذيف[٧] نعتلي
وبابن صوحان[٨] رؤوس القلل	وابني بديل[٩] فهما عز علي

١) الوشواش: الخفيف.

٢) العيطل: الطويل.

٣) الجناب: الفناء والرحل والناحية.

٤) الحني: القسي.

٥) القصل: القواطع.

٦) العدمل: القديم.

٧) ابن مسعود وحذيفة بن اليماني.

٨) زيد بن صوحان قتل يوم الجمل مع الإمام علي.

٩) محمد وعبدالله ابنا بديل الخزاعيان.

نحـــن الاباضـــيين أســـد الغيطـــل   أســـد عـــرين زأرت لأشـــبل

نـنـــازل الأبطـــال تحـــت الأســـل   وتحـت قصطال الخميس الغيطـل

نـنـــازل الأبطـــال تحـــت الأســـل   وتحـت قصطال الخميس الغيطـل

أبنـــاء كـــل قاتـــل مقتّـــل   أجـداثهم أضـحت بكـل منـزل

حواصـــل الطـــير وبطـــن الفرعـــل   لا يفزعـــون مـــن دنـــو الأجـــل

المـوت أحلـى عنـدهم مـن عسـل   شـيب لعطشـان بمـاء سلسـل

بـيض مخابيـت[1] قصـارى الأمـل   رضـوا مـن الـدنيا بقـوت الأكـل

وفـــارقوا الغيـــد ذوات الكلـــل   لم تختلـــبهم بـــالعيون النجـــل

ولا بفضـــفاض نعـــيم دعفـــل   ولا سمـــاع غنـــاء زجـــل

صـم عـن اللهـو وقـول الهـزل   قـد ألفـوا كـل علنـدى[2] أفتـل

عـــالي التليـــل أرحـــي عنســـل[3]   يُغشـــونه كـــل نجـــاد جـــرول

يصـــعدونه كـــل مرتفـــع خشـــن   وكل مطموس الصوى من الفل [4]

في طلـــب العلـــم وفي التفضـــل   وعـــز ديـــن الله بالترحـــل

إلى أولى البســـطة والتطـــول   بكـل شحشـاح خمـيص الأيطـل

يجـيش نـار الحـرب جـيش المرجـل   مـا هـو بـالنكس ولا بالهوجـل[5]

---

١) الإخبات: الخشوع

٢) العلندى الغليظ البعيد ما بين الموفقين.

٣) الأرجي نسبة إلى قبيله والعنسل الخفيف.

٤) ممحو الطريق من الفيافي.

٥) الضعيف الثقيل.

ولا بنأءنــــــاء ولا بزمـــــــل[١]	ولا ابــن ثــأداء ولا ابــن ثهلــل[٢]
ولا بنقـــاف هبيـــد الحنضـــل	إلا امــرؤ شــار زكــيّ العمــل
لم يثنـــه في الله عـــذل العـــذل	لا يـــدع الحجـــة للتعجـــل
عنـــد انتهـــاز فرصـــة المســـتعجل	يسـعر نـار الحـرب حـتى تنجلـي
شـاكي السـلاح غـير جبس أعـزل	ولا يـــرى قتـــل كبـــير نهبـــل
ولا اتبـــاع مـــدبر مســـتوهل	ولا اســـتباء مرضـــع ومعطفـــل
ولا اغتنـــام ســـيد مؤثـــل	ولا اعـــتراض النـــاس بالتعلـــل
إن كـان مـن بعـض صـنوف الملـل	فـــذاك حـــرم غـــير مـــا محلـــل

قلت: ويستأنس لهذا ما رواه أبو سفيان عن الربيع عن أزور قال: إن نسوة من نساء أهل عُمان استأذن على عائشة رضي الله عنها فأذنت لهن، فدخلن عليها وسلَّمن عليها ثم قالت: من أنتن؟ قلن: من أهل عُمان، قال: فقالت لهن: لقد سمعت حبيبي عليه السلام يقول ليكثر ورّاد حوضي من أهل عُمان.

وما رواه الإمام أحمد من طريق أبي لبيد قال: خرج رجل منا يقال له بيرح بن أسد فلقيه عمر فقال: ممن أنت؟ قال: من أهل عُمان، فأدخله على أبي بكر فقال: هذا من أهل الأرض التي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إني لأعلم أرضا يقال لها عمان ينضح بناحيتها البحر لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر. وفي صحيح مسلم: بعث رسول الله ﷺ رجلا إلى قوم فسبّوه وضربوه فجاء إلى رسول الله ﷺ فقال: لو أهل عمان أتيت ما سبّوك ولا ضربوك.

---

١) العاجز الضعيف.

٢) الأمة الحمقاء العاجز.

وأهل عمان منذ وقع الافتراق بين المسلمين إباضية، ولبعضهم:

شمِّر لنشر العلم يابن معمَّر ... واكشف صفات أولى المكارم واظهر
تلك الفضائل كل من يحيى بها ... يحيى بدين راسخ متطهر
ذهبت عصور أشرقت نولاً بهم ... وتزينت أكوانها بالجوهر
وعلابهم دين المهيمن مدة ... ثم انجلوا عن واضح لم يستر
وإذا خفيت على الغبي فعاذر ... أن لا تراني عين شخص أعور
فربيعنا عن مسلم عن جابر ... عن عائش عن طيب عن أطهر
عن لوحه المحفوظ عن رب العلى ... فاخضع لذا الإسناد طورا واشكر
هل عندهم عَلَم كجابرنا وهل ... كأبي عبيدة من فتى متذمر
أو كالربيع ومن أتى من بعده ... طبقات خير فظلهم لم ينكر
لو حيزت الدنيا لتدبير امرئ ... لرأيت عزما فوق عزم الأشتر
فهم أسود الصبح رهبان الدجى ... وهم مصابيح الظلام المعكر
أكرم بهم من فتية والله قد ... سلكوا سبيل المصطفى لا تمتري
هل عندهم أن الخلافة أحدثت ... فيهم عقيب المصطفى في محضر
أم هذه قد حازها أسلافنا ... عملا بإجماع الصحابة فاخبر
فبحضرموت طار فيها صيتهم ... بالدين والتقوى وصدق المخبر
وأعزّ دين الله مغربنا فسل ... أبناء فارس عن زمان مقمر
هل زلزلت هماتهم من ركة ... أم صادفوا وهنا لهم في مضمر
لله أيام مضت في جربة ... ونفوسة كم قد محت من منكر
وابحث عراقًا مع خراسان ومع ... أرض الحجاز تفز بخير مخبر

فبضمر الأقلام يبلغ أهلها ... ما ليس يبلغ بالجياد الضمر
واقصد عمانا تحت أرباب العلى ... في بيضة الإسلام عند الأخضر
تجد المرابع ناطقات بالذي ... قد كان فيها من بناءٍ مزهر
فبحبهم إن شئت أن تحيا فمت ... أولا فبالخسران عش في أخسر
وبحبهم ترجى شفاعة أحمد ... صلى عليه الله ما سقم بري

الباب الثالث

في ذكر انتشار المذهب الاباضي إلى المغرب والمشرق

الباب الثالث في ذكر انتشار المذهب الاباضي إلى المغرب والمشرق

قد ذكرت فيما مضى الأثر المشهور في بيان الشرع وغيره من كتب الأباضية قالوا: باض العلم بالمدينة وفرخ بالبصرة، وطار الى عمان؛ فقد انضم إلى مدرسة جابر بن زيد عدد كبير من العلماء والفقهاء، وتخرج منها عدد إلى الآفاق ثم خلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وفي زمانه أينع هذا المذهب الجليل وطاب نضجه وانتفع بثمره.

فمن رجاله المدنيين: محمد بن مسلمة ومحمد بن حبيب، وكلاهما من أهل المدينة وعبد العزيز القاري، ومن رجاله المكيين: أبو الحر علي بن الحصين، ومن خزاعة عدد كبير ذكرهم محبوب بن الرحيل حوالي أربعمائة مقاتل انضموا إلى المختار بن عوف.

ومن البصرة: محبوب بن الرحيل وعبدالله بن أباض ومرداس بن حدير وقريب والزحاف، وعدد كبير يطول حصرهم كالإمام المحدث أبي عبيدة مسلم وغيره.

ومن المغرب: سلمة بن سعد، وهو الذي دلّ أهل الجزائر وتونس وليبيا على أبي عبيدة فجاء منهم عدد كعاصم السدراتي وإسماعيل بن درار الغدامسي وأبي داود القبلي النفزاوى.

ومن مصر: شعيب بن المعروف وأبو إسحاق إبراهيم وابن عباد وليسع وعيسى بن علقمة.

ومن السند: أبو المضا وأبو العباس ابن المريح والمهند بن سدها وأبو عبد الله محمد ابن بروزان.

ومن اليمن: الإمام أبو الخطاب المعافري. ومن حضرموت: وايل بن أيوب والإمام طالب الحق الكندي، وخلق كثير يطول عدهم، وقال النور السالمي: كان أهل حضرموت كلهم أباضية، ومنهم: أبرهة بن الصباح.

ومن عمان وهم الأصل لهذا المذهب وكفى بجابر بن زيد والربيع بن حبيب والجلندا ابن مسعود وأبي حمزة المختار بن عوف وبلج بن عقبة.

ومن أهل الموصل: أبو بكر يحيي بن زكريا الموصلي، وهو عالم جليل له آثار حميدة، جاء يبحث عن الدين فلما التقى بأبي عبيدة مسلم وأخبره عن معتقدات الأباضية اعترف لهم بصحة ديانتهم، وكان قد ناظر كثيرا من العلماء فلم يقنع بهم.

ومن خوارزم: أبو يزيد الخوارزمي. ومن أهل خراسان: هلال بن عطية وأبو منصور وهاشم بن عبدالله. ومن البحرين: خلف بن زياد البحراني.

وبلغت دولة الرستميين في المغرب مسيرة ثلاثة أشهر واجتمع لبعض الأئمة ما يزيد على ثلاثمائة ألف جندي وأكثر من مائة ألف فارس وولد لهم في بعض السنوات في طريق الحج ثلاثمائة مولود منهم العلامة الجليل عمروس بن فتح.

فصل

في أئمة الإباضية بحضرموت ومنها أول إمامة انبثقت إلى اليمن ومكة والمدينة المنورة

فصل في أئمة الإباضية بحضرموت ومنها أول إمامة انبثقت إلى اليمن ومكة والمدينة المنورة

قال في كتاب السير: "أبو يحيى عبد الله بن يحيى بن عمر بن الأسود بن عبدالله بن الحارث بن معاوية بن الحارث الكندي، كان قاضيا لإبراهيم بن جبلة عامل القويسم على حضرموت، وهو عامل مروان على اليمن، فأظهرا باليمن وحضرموت جورا كبيرا، ففزعت الناس إلى عبد الله بن يحيى، فكاتب أبا عبيدة فقال: إن استطعت فلا تبقى يوما واحدا، وأرسل إليه بأبي حمزة المختار بن عوف بن سليمان بن مالك بن فهر الأزدي، أحد بني سليمة، وأرسل إليه: إنا بعثنا إليك برجل إنجيله في صدره، وأرسل إليه ببلج بن عقبة الأزدي، وكلاهما من أهل عمان، وكتب إليه: إنا بعثنا إليك إثني عشر رجلا وألفا، ويعني بالألف بلج بن عقبة" انتهى كلام صاحب السير.

قال أبو الفرج في الأغاني: "إن عبد الله بن يحيى الكندي أحد بني عمرو بن معاوية، كان من حضرموت، وكان مجتهدا عابدا، وكان يقول قبل أن يخرج: لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال: ممن أنت؟ فقلت: من كندة، فقال: من أيهم؟ فقلت: من بني شيطان، قال: والله لتملكن ولتبلغن خيلك وادي القرى، وذلك بعد أن تذهب إحدى عينيك، فذهبت أتخوف ما قال وأستخير الله فرأيت باليمن جورا ظاهرًا وعسفًا شديدا وسيرة في الناس قبيحة فقال لأصحابه: ما يحل لنا المقام على ما نرى ولا يسعنا الصبر عليه. وكتب إلى أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي يقال له كودين (قلت: لم نعرف هذا اللقب له إنما المعروف بالقفاف) قال: وهو مولى بني تميم، وكان ينزل في الأزد وإلى غيره من الإباضية

في البصرة يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه إن استطعت أن لا تقيم يوما واحدا فافعل؛ فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل، ولست تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم إذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء. قال: وشخص إليه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي أحد بني سليمة وبلج بن عقبة السقوري (قلت: ولم نعرف السقوري، إنما هو الفرهودي) في رجال الإباضية فقدموا إليه حضرموت فحثوه على الخروج وأتوه بكتب أصحابه إذا خرجتم فلا تغلوا ولا تغدروا، واقتدوا بسلفكم الصالحين، وسيروا سيرتهم، فقد علمتم أن الذي أخرجهم على السلطان العبث لأعمالهم، فدعا أصحابه فبايعوه فقصدوا دار الإمارة، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي فأخذوه فحبسوه يوما ثم أطلقوه، فأتى صنعاء وأقام عبدالله بن يحيى بحضرموت وكثر جمعه، وسموه طالب الحق، قلت: زاد في شرح اللامية لما بعث أبو عبيدة أبا حمزة ومن معه أنشد من الرجز.

اذهب إلى الشارين يا با حمزة	قاموا لرضوان مليك العزة
وشدد للقوم أزرهم	أنت وإخوانك واتل أمرهم
حتى أتوا إمامهم فسلموا	واستبشروا بالعرف لما قدموا

وقال ابن الأثير: كان اسم أبي حمزة المختار بن عوف، وكان أول أمره أنه كان من الخوارج الإباضية يوافي كل سنة يدعوا الناس إلى خلاف مروان بن محمد فلم يزل كذلك حتى وافى عبدالله بن يحيى المعروف بطالب الحق في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة فقال له: يا رجل أسمع كلاما حسنا وأراك تدعوا إلى حق فانطلق معي فإني رجل مطاع في قومي فخرج حتى ورد حضرموت فبايعه أبوحمزة على

الخلافة ودعا إلى خلاف مروان وآل مروان، وكان أبو حمزة اجتاز مرة بمعدن بني سليم والعامل كثير بن عبد الله فسمع كلام أبي حمزة فجلده أربعين سوطا، فلما ملك أبو حمزة المدينة وافتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهما ما كان. قال أبو الفرج: فكتب طالب الحق إلى ما كان من أصحابه بصنعاء إني قادم إليكم ثم استخلف على حضرموت عبد الله بن سعيد الحضرمي، وتوجه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة في ألفين وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر وهو عامل مروان بن محمد على صنعاء مسير عبد الله بن يحيى فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل وخرج يريد الإباضية في سلاح ظاهر وعدة وجمع كثير. قال شارح اللامية: عدة أصحاب عبد الله بن يحيى أربعة آلاف وأصحاب القويسم أو القاسم ثلاثون ألفا. قال أبو الفرج: فعسكر على مسيرة يوم من أبين وخلف فيها الأثقال وتقدمت المقاتلة، فلقيه عبد الله بن يحيى بلحج قرية من أبين قريبا من صنعاء، وخندق فأقبل عبد الله فنزل جوين على ميلين من معسكر القاسم، فوجه القاسم يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من أهل الشام وأهل اليمن فكانت بينهم مناوشة ثم تحاجزوا فرجع يزيد إلى القاسم فاستأذنه في بياتهم فأبى أن يأذن له فقال له يزيد: والله إن لم تبيتهم ليغمنك، فأبى أن يأذن له وأقاموا يومين لا يلتقون، فلما كان في الليلة الثالثة أقبل عبدالله بن يحيى فوافى مع طلوع الفجر فقاتلهم الناس على الخندق فغلبتهم الخوارج عليه، ودخلوا عسكرهم والقاسم يصلي فركب وقاتلهم الصلت بن يوسف فقتل في المعركة وقام يأمر الناس يزيد بن الفيض فقاتلهم حتى ارتفع النهار ثم انهزم أهل صنعاء، وأراد أبرهة بن الصباح اتباعهم فمنعه عبدالله بن يحيى واتبع يزيد بن الفيض القاسم بن عمر فأخبره الخبر فقال القاسم:

ألا ليتَ شِعري هل أذودَنَّ بِالَقنَا وبالهُندوانيآَّتِ قَبل مماتي
وهل أُصبحن الحارثين كِلَيهما بطعنٍ وضربٍ يِقطَعُ اللَّهَواتِ

قال: ودخل عبدالله بن يحيى صنعاء فأخذ الضحاك بن زمل وإبراهيم بن جبلة بن مخرمة فحبسهما، وجمع الخزاين والأموال فأحرزها. قلت: وفي فقه الإباضية أنه فرقها على الفقراء باعتبارهم ظالمين في أخذها وقد جهل أربابها المأخوذة منهم، وكل مجهول ربه فمرجعه الفقراء قياسا على اللقطة والله أعلم.

قال شارح اللامية: لما ضبطوا حضرموت ساروا يريدون اليمن فأقبل إليهم القويسم من صنعاء حتى لقيهم بقرب أبين فوجد بها عمر بن السمان على السواقي فنزعوها من عنده، فأخذوها فبايعهم عمر في أربعين فارسًا، ثم غدر بهم وهرب إلى القويسم فقرب بعضهم من بعض، ونزل القويسم بالسرادقات يعني الأخبية والقراميط والأدفان واللعب ونزل المسلمون يقرأون المصاحف ويستفتحون الله وقد أضر بهم الحال، فلما رأى أصحاب بن يحيى كثرة القوم فقال: من ضعف منهم أهجم عليهم بالليل، فإن كانت لنا أصبحنا وإن كانت علينا نجونا في سواد الليل فأبى ابن يحيى وأمر أن ينادى في الناس من لم يرد القتال فلينصرف في ليلته فانكشف الناس إلا ألفًا وستمائة رجل وقد أمّر ابن يحيى على كل عشرة من أصحابه رجلاً، ولم يزل من المسلمين تلك الليلة قوم لم يناموا، بل يدعون الله حتى أصبحوا وصلى بعضهم ظهور الصبح وأمرهم ابن يحيى إذا رأوه أن يحملوا فاقتتلوا فهزمهم ابن يحيى وأصحابه وكان المسلمون هموا بالانهزام حتى أزيلوا عن مكانهم، فنادى ابن يحيى في أصحابه وصوَّت ببلج بن عقبة وبأبي عمارة وهو يومئذ ابن عشرين سنة: أينما كنتما تعداني وأصحابكما

أتريدون إلى الجنة أم إلى النار أم إلى الدنيا، فوالله ما تمتعون إلا قليلاً، فحمل وحمل أصحابهما فقصدوا إلى لواء القويسم فقال: ما لكم لا تحملون، وقال: إن اللقاء أهون من المصيبة، وقال: من سبق منكم إلى اللواء فليأخذه، فحملوا فهزم الله عدو المسلمين وانهزم القويسم بعد أن قتل أصحابه أربعمائة رجل. وقال أبو الفرج: ثم أرسل إلى الضحاك وإبراهيم فأرسلهما وقال لهما: حبستكما خوفا عليكما من العامة، وليس عليكما مكره، فأقيما إن شئتما أو أشخصا، فخرجا. وقال أبو الفرج: فلما استولى عبد الله بن يحيى على اليمن خطب الناس فحمد الله جل وعز وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ووعظ وذكر وحذر ثم قال: "إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وإجابة من دعا إليهما، الإسلام ديننا ومحمد نبينا والكعبة قبلتنا والقرآن إمامنا رضينا بالحلال حلالاً، لا نبغي به بديلاً ولا نشتري به ثمنا قليلا، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإلى الله المشتكى وعليه المعول، من زنا فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر. "قلت: ولم يثبت هذا في الخطب التي نقلها الإباضية عن طالب الحق وقائده المختار كما سيأتي ومعناها صحيح عندهم، وهذا هو كفر النعمة الوارد في الكتاب العزيز ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ **آل عمران: ٩٧**. وقوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **المائدة: ٤٤**. وهو عام لكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو قادر، ولكل من ترك الحج وهو مستطيع. وفي صحيح البخاري حديث امرأة ثابت بن قيس المختلعة التي قالت: إني أخاف الكفر في الإسلام، وحديث النساء يكفرن. وفي صحيح

مسلم: "لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض". وفيه: "اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب والنياحة على الميت". وفيه: "أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر حتى يرجع إليهم". وفي صحيح مسلم أيضا: "إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما"، وفي رواية أخرى "أيما رجل قال لأخيه كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، وفيه "ليس من رجل ادعا لغير أبيه وبعلمه إلا كفر، ومن ادعا ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ومن دعا رجلاً بالكفر وقال عدوّ الله وليس كذلك إلا حاد عليه" والأحاديث كثيرة في الصحاح تثبت كفر مرتكبي الكبائر من هذه الأمة فلا معنى للانتقاد للقائل به، ومعنى الشاك في كفره كأقرانه راد للأحاديث المتواترة انتهى. وقال أبو الفرج: ثم قال طالب الحق في خطبته: "ندعو إلى فرايض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها، ونشهد أن الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم، وندعو إلى توحيد الرب واليقين بالوعيد والوعد وأداء الفرائض والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لأهل ولاية الله والعداوة لأهل عداوة الله، أيها الناس إن من رحمة الله أن جعل في كل فترة بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ويصبرون على الألم في جنب الله تعالى، يقتلون على الحق في سالف الدهور، شهداء فما نسيهم ربهم وما كان ربك نسيا، أوصيكم بتقوى الله وحسن القيام على ما وكلكم الله بالقيام به، فأبلوا الله بلاء حسنا في أمره وذكره، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم".

قال: وأقام عبد الله بن يحيى بصنعاء أشهرا يحسن السيرة فيهم ويلين جانبه لهم ويكف عن الناس، وأتته الشراة من كل جانب.

قال: فلما كان وقت الحج وجه أبا حمزة المختار بن عوف وبلج ابن عقبة وأبرهة بن الصباح إلى مكة في تسعمائة وقيل بل في ألف ومائة، وأمره أن يقيم بمكة إذا صدر الناس ويوجّه بلجا إلى الشام، وأقبل المختار إلى مكه فقدمها يوم التروية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك، وأمه بنت عبد الله بن خالد بن أسيد، فكره قتالهم. وقال في بيان الشرع: قال أبو سفيان أخبرنا عيسى ابن أبي عمرو قال: وأدركته وهو شيخ كبير، قال: بعث مروان بن محمد إلى أبي الحر إذ كان بمكة فأخذه فشده في الحديد وأخذ رجلاً من الرافضة يقال له أصفر فشده في الحديد، ثم ساروا بهما إلى نحو مروان، قال عيسى: فخرجنا في أربعة عشر رجلا من المسلمين نتبعه، قال: فلما أقلنا أرسلنا إليه إنا نأتيك الليلة قال: فقال: لا تفعلوا؛ مكة قريبة والطلب سريع، قال: فسايرناه على طريق الساحل وغلامه يأتينا بخبره ويأتيه بخبرنا قال: فما زلنا نطلب إليه نسأله أن يدعنا حتى نخلصه من أيديهم قال: فكان يأبى علينا ذلك حتى جاوزنا المدينة بمراحل فأرسلنا إليه أن قد قربنا من الشام وقراها فدعنا نأتيهم الليلة فأبى فأرسلنا إليه أنا نأتيهم على كل حال فتباطأ في وضوئك حتى لا يعجلوا الرحيل ليقعدوا مقاعدنا قال: ففعل قال: فتقدمنا أمامهم فنزلنا عن رواحلنا وعقلناها بعيدا عن الطريق فحملنا فحتمنا عليه فلما دنونا منهم وثبنا في وجوههم بالتحكيم والسيوف مصلتة. قلت: معنى قوله بالتحكيم أي لا حكم إلا لله، وهذه هي الكلمة التي أصبحت نافذة المفعول قولاً وفعلا، وأقل ما فيها إغاظتهم بها قال: فألقوا بأيديهم وقالوا

الأمان قال: فبادر رجل منا فأعطاهم الأمان، فشق ذلك على أبي الحر فقال: أما إذا فعلتم ما فعلتم فلا تفتحوا منهم أحدا قال: فأسرناهم وخرجنا بهم عن الطريق حتى أبعدناهم إلى الساحل فأعطيناهم العهد والميثاق، ثم خلينا سبيلهم واحتملنا صاحبنا وفككنا عنه جامعته وفككنا عن الرافضى، ثم أقبلنا حتى دخلنا مكة ونحن مستخفون قال: فلما بلغنا مرّ (قلت: بين مكة ومرّ خمسة أميال) قال: أرسلنا إلى أهلينا يأتوننا بالنفقة قال: وركب أبو الحر وكان أيام الحج قالوا: فخرجنا معه إلى منى ولم نحرم، ثم انصرفنا إلى عرفة ونحن غير محرمين قال: وكنا ننتظر إذ ذاك أبا حمزة قدم علينا قال: فلما كان وقت الرواح إلى الموقف إذا نحن بنواصي خيل أبي حمزة قد طلعت قال: فلما رآهم أبو الحر أمرنا أن نغتسل ونحرم قال: ففعلنا وكشفنا الغطاء عن أبي الحر ثم خرجنا حتى دخلنا إليهم في عسكرهم، ونظر أهل مكة إلى أبي الحر فأنكروه، فأقبلوا يقولون: ما ترون وهذا أبو الحر قال: وكان على الموسم رجل من بني مخزوم يقال له عبد الواحد قال فأرسل الخطباء إلى أبي حمزة من قريش وغيرهم قالوا: فأتونا في جماعة قال فخرج إليهم أبو حمزة وعليه أنت أخضر وإزار متوزر به (قلت: ولم أعرف الأنت ولعله تصحيف) قال: وتنكب قوسه فتكلم أولئك الخطباء فعظموا حرمة الحج ويوم عرفة ما قدروا عليه، واطنبوا في كلامهم قال: فلما فرغوا من كلامهم تكلم أبو حمزة فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما ما ذكرتم من تعظيم هذا اليوم فإنكم لم تبلغوا إلى ذلك، ثم ذكر جور بني أمية وما هم فيه من الفسق والظلم قال: فأفحم القوم وسمعوا كلامًا لا يعرفونه قال: فرجعوا إلى عبد الواحد فأعلموه جميعا الرجل وما قدرنا نجيبه قال: فارجعوا إليه فاسألوه الموادعة هذه الأيام على أن لا نعرض له ولا يعرض لنا قال: فرجعوا لنا قال: فأعطاهم ذلك أبوحمزة قال فوقفنا

مع الناس، ثم أفضنا إلى جمع ثم إلى منى، فنزلنا في مؤخر منى في عسكرنا، وكانت هليبة المهلبية إذا ذاك قد حضرت الموسم وكانت من خيار المسلمات وفضلائهن وهي أم سعيدة، فعالجت لهم طعاما فبعثت مع أبي واقد وابنه، وقد كانا فاضلين، فأخذهما الحرس فقالوا: ما معكم من السلاح ففتشوا فلم يجدوا سلاحا قال: وكان طعاما كثيرا قال: وحبسوهما قال: فلما أصبح أرسل إلى الوالي أنه قد كان النقض من قبلك فإن شئت ناقضناك وإن شئت فف بعهدك، قال: فأرسلهما قال: وأتم العهد حتى فرغ الناس من مناسكهما وصاروا إلى مكة، قال: فخرج عبد الواحد وخلّى مكة. قال أبو سفيان: وكان بلج بن عقبة يأتي يرمي الجمار في الخيل والسلاح قال: فكان أبو حمزة يقول له: رحمك الله ما يدعوك إلى هذا لو جئت متنكرا حتى ترمي قال: وكان يقول: لا والله لا أفعل لا آمن غدرهم بنا ونقضهم، فإن فعلوا كنا قد استعددنا لهم، وكان فاضلاً حبرا شجاعا رحمه الله. قال: فقام أبو حمزة في ذي طوى وكان يرحل فيجمع ثم يرجع إلى ذي طوى قال: واجتمع إليه من نواحي مكة رجال من خزاعة مسلمون في نحو أربعمائة رجل قال: ثم خرج إلى المدينة فخرجوا إليه فبلغوه بقديد قال: وكان فيما يراجعهم بالكلام فيقول: إنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه فإلى مَا تدعونا؟ قالوا: ندعوك إلى طاعة مروان، فيا سبحان الله ! ندعوكم إلى الله، وتدعونا إلى طاعة مروان، فاقتتلوا فقتل منهم نحو من أربعة آلاف، قال: وأصيب مع أبي حمزة يوم مكة أبو عمرو وابنه، وكانا من أفاضل المسلمين انتهى. وحفظت أن أبا حمزة جبا مكة عقالين. وقال في شرح اللامية: فلقيهم أبو حمزة بقديد في ثمانية آلاف فهزمهم وقتل أميرهم مع ألفين ومائة وخمسين رجلاً، وتوجه إلى المدينة وعلى مقدمته بلج بن عقبة الفرهودي فدخلها وخطب على منبر رسول

الله ﷺ وقال: "يا أيها الناس إنا نخيركم في ثلاث خلال أيما شئتم فخذوا لأنفسكم رحم الله امرءا أخذ الخيار لنفسه، إما قابل لقولنا وداين بالذي قلنا، وحملته نيته على أن يجاهد معنا بنفسه فيكون له من الأجر ما للمجاهد منا ومن قسم هذا الفيء ما لأفضلنا، وعارف بهذا الأمر مقيم في داره يدعو إليه بقلبه ولسانه فعسى أن يكون أحسن منزلة منا، وثالث كره قولنا آمنًا على أهله وماله، ويكف عنَّا يده ولسانه، فإن ظفرنا ولم يعرض نفسه لم نسفك دمه وإن نحن قتلنا كان قد كفى مؤنتنا وعسى أن يعمر في كفره إلا قليلاً، ثم وجه بلج بن عقبة الأزدي وأبرهة بن الصباح الحضرمي إلى الشام في ستماية وقال بعض في سبعمائة وقال: لا ننتهي أو نربط خيلنا بالزيتون فلقيهم رسول مروان بن محمد واسمه عبد الملك بن عطية في اثني عشر ألفًا فيهم أربعة آلاف فارس، فالتقوا بوادي القرى فهزمهم بلج بن عقبة فصاح ابن عطية بأصحابه: يا أهل الشام يا أهل الحفاظ، فعطفوا على بلج وأبرهة فقتل بلج ومن شاء الله من أصحابه، ونجا منهم قوم فلحقوا بأبي حمزة فتأخر أبوحمزة في مكة فوافى عدو الله عبد الملك بن عطية إلى مكة وقاتلهم أبو حمزة بعد الاحتجاج، فقتل هو وأبرهة وأبو الحر ومن شاء الله من أصحابهم وانهزموا، وبلغنا أن أبرهة كان يرتجز ويقول:

أنا الغلام الحضرمي الشاري مهذب لا يصطلى بناري

جوركم جنبني قراري وجاء بي من وطني وداري

حب جلاد القوم في الصحاري

ثم توجه عبد الملك بن عطية إلى اليمن يريد عبد الله بن يحيى فقاتلهم وناشدهم أصحابه أن لا يخبروا به خوفا أن يوجه به أسيرًا وأقبل يصادمهم ويقول شعرا:

أحمـل رأسا قد مللت حمله   وقد كـرهت دهنـه وغسـله

هل من فتى يحمل عني ثقله   إن الشقـي مـن تولى قتلـه

وقاتل حتى قتل. وقال أبو الفرج في كتاب الأغاني وذكر ما حكاه ابن الأثير من جلد كثير والى المعدن لأبي حمزة عام ثمانية وعشرين قال: فلما كان في العام المقبل تمام تسعة وعشرين ومابة لم يعلم الناس بعرفة إلا وقد طلعت أعلام عمائم سود حرمية في رؤوس الرماح وهم سبعمائة. هذا وذكر المدايني أنهم كانوا تسعمائة أو ألفا ومابة، ففزع الناس حين رأوهم وقالوا لهم: مالكم وما حالكم؟ فأخبروهم بخلافهم مروان وآل مروان والتبري منهم، فراسلهم عبد الواحد بن سليمان وهو يومئذ على المدينة ومكة والموسم ودعاهم إلى الهدنة فقالوا: نحن بحجنا أضن وعليه أشح، فصالحهم على أنهم جميعًا آمنون، بعضهم من بعض، حتى ينفر الناس النفر الأخير، وأصبحوا فوقفوا على حدة بعرفة، ودفع عبد الواحد بالناس، فلما كانوا بمنى قالوا لعبد الواحد: إنك قد أخطات فيهم، ولو حملت عليهم الحاج ما كانوا إلا أكلة رأس، فنزل أبو حمزة بقرن الثعالب من منى، ونزل عبد الواحد منزل السلطان، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن حسن بن علي ومحمد ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن حفص العمري وربيعة بن عبد الرحمن في رجال من أمثالهم، فلما دنوا من قرن الثعالب لقيتهم مصالح أبي حمزة فأخذوهم فدخل بهم على أبي حمزة فوجدوه جالسا فقالوا: بعثنا الأمير برسالة وهذا ربيعة يخبركها، فلما ذكر ربيعة نقض العهد قال بلج وإبراهيم: وكانا قائدين له الساعة فأقبل عليهما أبو حمزة وقال: معاذ الله أن ننقض العهد أو

نخيس به، والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه، ولكن تنقضي هذه الهدنة بيننا وبينكم، فلما أبي عليهم خرجوا فأبلغوا عبد الواحد، فلما كان النفر الأول نفر عبد الواحد وخلى مكة لأبي حمزة فدخلها بغير قتال، وأنشد لشاعر لم نحفل به:

زارَ الحجيجَ عصابةٌ قد خالفوا — دينَ الإلـه ففرَّ عبـدُ الواحد

تـركَ الإمـارة والحـلايلَ هـارباً — ومضى يخُبِّط كالبعير الشارد

لـو كـان والـدُه تخيَّـر أمَّـه — لَصَفَـت خلايقـهُ بعرق الوارد

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة فدعا بالديوان، وضرب على الناس البعث وزادهم في العطاء عشرة عشرة، قال: واستعمل عبد الواحد عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا، فلما كان بالحرة لقيتهم جزر منحورة فمضوا، فلما كانوا بالعقيق تعلق لواؤهم بسمرة فانكسر الرمح وتشاءم الناس بالخروج، ثم ساروا حتى نزلوا قديدا فنزلوها ليلا، وكانت قرية قديد من ناحية القصر والمنبر اليوم، وكانت الحياض هناك، فنزل قوم مغترون ليسوا بأصحاب حرب فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من الفصل، فزعم بعض الناس أن خزاعة دلت أبا حمزة على عورتهم وأدخلوهم عليهم فقتلوهم، وكانت المقتلة على قريش، وهم كانوا أكثر الناس وبهم وكانت الشوكة، فأصيب منهم عدد كثير. قال: ثم ورد فلال الجيش المدينة، وبكى الناس قتلاهم، فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح، فلا تزال المرأة يأتيها الخبر بمقتل حميمها فتنصرف حتى ما يبقى عندها امرأة، فأنشدني أبو حمزة هذه الأبيات في قتلى قديد الذين أصيبوا من قومه لبعض أصحابهم:

يا لهف نفسي ولهف غير نافعة — على فوارس بالبطحاء أمجـاد

عمرو وعمرو وعبدالله بينهما وابناهما خامس والحارث الساد

قال: وكتب عبد الواحد إلى مروان يعتذر من إخراجه عن مكة، فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وهو عامله على المدينة يأمره بتوجيه الجيش إلى مكة، فوجه ثمانية آلاف رجل من قريش والأنصار والتجار أغبياء لا علم لهم بالحرب فخرجوا في المصبغات والثياب الناعمة واللهو لا يظنون ان الخوارج شوكة ولا يشكون أنهم في أيديهم، وقال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء، ولكنهم داهنوا في أمر الله تعالى، والله إن ظفرنا لنسيرن إلى أهل الطائف فلنسبينهم، ثم قال: من يشتري مني سبى أهل الطائف، فلما انهزم الناس رجع ذلك الرجل القائل من يشتري مني سبي أهل الطائف في أول المنهزمين، فدخل منزله وأراد أن يقول لجاريته: اغلقي الباب فقال لها: غاق باق، ولم تفهم الجارية قوله حتى أومأ اليها بيده فأغلقت الباب، فلقبه أهل المدينة بعد ذلك "غاق باق" قال: ولما بلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه استخلف على مكة إبراهيم بن الصباح، وشخص إليهم وعلى مقدمته بلج بن عقبة، فلما كان في الليلة التي وافاهم في صبيحتها وأهل المدينة نزول بقديد قال لأصحابه: إنكم لاقون قومكم غدا، وأميرهم فيما بلغني عثمان أول من خالف سيرة الخلفاء وبدل سنة رسول الله ﷺ وقد وضح الصبح لذي عينين، فأكثروا ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، ووطنوا أنفسكم على الصبر، وصبّحهم غداة الخميس لتسع أو لسبع خلون من صفر سنة ثلاثين وماية، فقال عبد العزيز لغلامه: ابغنا علفا قال: هو غال، قال: ويحك البواكي علينا غدا أغلى، وأرسل اليهم أبو حمزة بلج بن عقبة ليدعوهم، فأتاهم في ثلاثين راكبا، فذكرهم الله

وسالهم أن يكفوا عنهم وقالوا لهم: خلوا لنا سبيلنا لنسير إلى من ظلمكم وجار في الحكم عليكم، ولا تجعلوا حدنا بكم، فإنا لا نريد قتالكم، فشتمهم أهل المدينة وقالوا: يا أعداء الله، أنحن نخليكم وندعكم تفسدون في الأرض، فقالت الخوارج: يا أعداء الله، أنحن نفسد في الأرض، إنما خرجنا لنكف أهل الفساد، ونقاتل من قاتلنا واستأثر بالفيء، فانظروا لأنفسكم، واخلعوا من لم يجعل الله له طاعة؛ فإنه لا طاعة لمن عصى الله، وادخلوا في السلم، وعاونوا أهل الحق، وقال له عبد العزيز: ما تقول في عثمان؟ قال: برئ المسلمون منه قبلي، وأنا متبع آثارهم ومقتد بهم، قال: فارجع إلى أصحابك، فليس بيننا وبينهم إلا السيف، فرجع إلى أبي حمزة فأخبره فقال: كفوا عنهم ولا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم بالقتال، فواقفوهم ولم يقاتلوهم، فرمى رجل من أهل المدينة في عسكر أبي حمزة بسهم فجرح رجلاً، فقال أبو حمزة: شأنكم الآن، فقد حلّ قتالهم، فحملوا عليهم، وثبت بعضهم لبعض، وراية قريش مع إبراهيم بن عبدالله بن مطيع، ثم انكشف أهل المدينة فلم يتبعوهم، وكان على مجنبتهم ضمير بن صخر بن أبي الجهم بن حذيفة، فكر وكر الناس معه، فقاتلوا قليلاً ثم انهزموا فلم يعدوا حتى كروا ثالثة وقاتلهم أبو حمزة فهزمهم هزيمة لم تبق منهم باقية، فقال له علي بن الحصين: اتبع القوم أو دعني أتبعهم فأقتل المدبر وأذفف على الجريح، فإن هؤلاء أشر علينا من أهل الشام، فلو قد جاءوك غداً لرأيت من هؤلاء ما تكره، فقال: لا أفعل ولا أخالف سيرة أسلافنا، وأخذ جماعة منهم أسرى، فأرادوا إطلاقهم فمنعه علي بن الحصين وقال له: إن لأهل كل زمان سيرة، وهؤلاء لم يؤسروا وهم هراب، وإنما أسروا وهم يقاتلون، ولو قتلوا في ذلك الوقت لم يحرم قتلهم، وكذلك الآن قتلهم حلال، وذكر أنه قتل بعضا وأطلق بعضا. قال: وبلغت قتلى

قديد ألفين ومايتين وثلاثين رجلاً، أربعماية وخمسون من قريش، وثمانون من الأنصار، والباقي من القبايل والموالي، وقالت نائحة تبكيهم:

مـــا للـــزمان ومـــا ليـــه … أفنـــت قـــديد رجاليـــه
فـلأبكـــــين ســــريرة … ولأ بكـــــين علانيـــــة
ولأبكـــــين إذا خلـــوت … مـــع الكـــلاب الآويـــة
ولأثنـــين عـــلى قديـــد … بســـوء مـــا أبلانيـــه

وقال عمرو بن الحصين الكوفي مولى تميم يمدح الشراة:

مـا بـال همـك لـيس عنـك بعـازب … يمـرى سـوابق دمعـك المتسـاكب
وتبيـــت تكتلـــئ النجـــوم بمقلـــة … عبـرى تسـر بكـل نجـم دائـب
حـــذر المنيـــة أن تجـــيء بداهـــة … لم أقـض مـن تبـع الشـراة مـآ ربي
فأقــود فيهــا للعــدا شـبح النسـا … عـبر الشوى أسوان ضمر الحالـب
متحـــدرا كالسيـــد أخلـص لـونه … مـاء الحسيـك مـع الجـلال اللاتـب
أرمـى بـه مـن جمـع قـومي معشـرا … بـــورا إلـــى جبرّيـــة ومعـــايب
في فتيـــة صبـــرا لفهمـــوا بـــه … لـف القـداح يـد المفيض الضـارب
فنـــدور نحـــن وهـــم وفيمـــا بيننـــا … كـأس المنون تقـول هـل مـن شـارب
فنظـل نسـقيهم ونشـرب مـن قضـى … سمـــر ومرهفـــة النصـــول قواضـــب
بينـــا كـــذلك نحـــن جالـــت طعنـــة … نجـــلاء بـــين رهـــا وبـــين ترايـــب
جوفـــاء منهـــرة تـــرى تامورهـــا … ضبتـــا ســـنان كالشـــهاب الثاقـــب
اهـــوى لهـــا شـــق الشـــمال كـــأنني … خفض لقى تحت العجاج العاصب
يـــا رب اوحيهـــا ولا تـــتعلقن … نفسـى المنـون لـدى أكـف قرايـب

كم من أولى مقت صحبتهم شروا ... فخذلتهم ولبئس فعل الصاحب
متأوهين كأن في أجوافهم ... نارا تسعرها أكف حواطب
تلقاهم فتراهم من راكع ... أو ساجد متضرع أو ناحب
يتلو قوارع تمترى عبراته ... فيجودها مرى المرئ الحالب
سير لجايفة الأمور أطبة ... للصدع للنبأ الجليل مدائب
ومبرأين من المعايب أحرزوا ... خصل المكارم أتقياء أطايب
عدوا صوارم للجلاد وباشروا ... حد الظباء بآنف وجواجب
ناطوا أمورهم بأمراخ لهم ... فرمى بهم قحم الطريق اللاحب
متسربلى حلق الحديد كأنهم ... أسد على لحق البطون سلاهب
قيدت من أعلى حضرموت فلم تزل ... تنفي عداها جانبا عن جانب
تحمي أعنتها وتحوي نهبها ... لله أكرم فتية وأشايب
حتى وردن حياض مكة قطنا ... يحكين واردة اليمام القارب
ما إن أتين على أخي جبرية ... إلا تركنهم كأمس الذاهب
في كل معترك لها من هامهم ... فلق وأيد علقت بمناكب
سايل بيوم قديد عن وقعاتها ... تخبرك عن وقعاتها بعجايب

قال: ثم دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة، ومضى عبد الواحد بن سليمان إلى الشام، فرقى أبو حمزه المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أهل المدينة سألناكم عن ولاتكم هؤلاء وأسأتم -لعمر الله- فيهم القول، وسألناكم هل يقتلون بالظن، فقلتم نعم، وسألناكم هل يستحلون المال الحرام والفرج الحرام،

فقلتم نعم، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم فنناشدهم الله أن يتنحوا عنا وعنكم ليختار المسلمون لأنفسهم، فقلتم: لا تفعلون، فقلنا لكم: تعالوا نحن وأنتم نلقاهم، فإن نظهر نحن وأنتم نأت بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه، وإن نظفر نعدل في أحكامكم، ونحملكم على سنة نبيكم، ونقسم فيئكم بينكم، فإن أبيتم وقاتلتمونا دونهم فقاتلناكم فأبعدكم الله وأسحقكم يا أهل المدينة مررت بكم في أزمان الأحوال هشام بن عبد الملك وقد أصابكم عاهة في ثماركم، فركبتم إليه تسألونه أن يضع خراجكم عنكم، فكتب بوضعها عنكم، فزاد الغني غنى وزاد الفقير فقرا، فقلتم: جزاكم الله خيرا، فلا جزاه الله خيرا ولا جزاكم.

وقال أيضا في الأغاني: إن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة في المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أتعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشرا ولا بطرا، ولا عبثا ولا لهوا، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه، ولا ثأر قديم نيل منا، ولكنا لَمَّا رأينا مصابيح الحق قد عطلت، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط، ضاقت علينا الأرض بما رحبت، وسمعنا داعيا يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض، فأقبلنا من قبائل شتى، النفر منا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم، يتعاورون لحافًا واحدًا، قليلون مستضعفون في الأرض، فآوانا الله وأيدنا بنصره، وأصبحنا والله بنعمته إخوانًا، ثم لقينا رجالكم بقديد فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم مروان وآل مروان، وشتان لعمر الله ما بين الغي والرشد، ثم أقبلوا يهرعون ويزفون وقد ضرب الشيطان فيهم بجرانه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله عصايب وكتايب بكل مهند ذي رونق، فدارت رحانا واستدارت رحاهم بضرب

يرتاب منه المبطلون، وأنتم يا أهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا ويشف صدور قوم مؤمنين، يا أهل المدينة إن أولكم خير أول وآخركم شرّ آخر، يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم، إلا مشركًا عابدَ وثن، أو كافرًا من أهل الكتاب، أو إمامًا جائرًا، يا أهل المدينة من زعم أن الله تعالى كلف نفسًا فوق طاقتها أو سألها عما لم يؤتها فهو لله عدو ولنا حرب، يا أهل المدينة أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله تعالى في كتابه على القوي على حبه للضعيف، فجاء التاسع وليس له منها ولا سهم واحد، فأخذ جميعها لنفسه مكابرًا محاربًا لربه، ما تقولون فيه وفيمن عاونه على فعله، يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: هم شباب أحداث، وأعراب حفاة، ويحكم يا أهل المدينة! وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ إلا شبابًا أحداثًا شبابًا، والله مكتهلون في شبابهم، غضيضة عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الباطل أقدامهم، قد باعوا أنفسا تموت غدًا بأنفس لا تموت أبدًا، قد خلطوا كلالهم بكلالهم وقيام ليلهم بصيام نهارهم، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفًا من النار، وإذا مروا بآية شوق شهقوا شوقًا إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انضيت وإلى الرماح قد أشرعت وإلى السهام قد فوقت، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله، فطوبى لهم وحسن مآب، فكم من عين في منقار طاير طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعا وساجدا، أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب.

وقال أيضا صاحب الأغاني عن أبي علقمة: سمعت أبا حمزة يخطب بالمدينة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أهل المدينة مالي رأيت رسم الدين فيكم عافيا، وآثاره دارسة، لا تقبلون عليه عظمة ولا تفقهون من أهله حجة، قد بليت فيكم جدته، وانطمست عنكم سنته، ترون معروفه منكرًا والمنكر من غيره معروفًا، إذا انكشفت لكم العبر وأوضحت لكم النذر عميت عنها أبصاركم وصمت عنها أسماعكم ساهين في غمرة لاهين في غفلة تنبسط قلوبكم للباطل إذا نشر وتنقبض عن الحق إذا ذكر، مستوحشة من العلم، مستأنسة بالجهل، كلما وقعت عليها موعظة زادتها عن الحق نفورًا، تحملون منها في صدوركم كالحجارة أو أشد قسوة من الحجارة، ولم تلن لكتاب الله الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعاً متصدعًا من خشية الله، يا أهل المدينة ما تغني عنكم صحة أبدانكم إذا سقمت قلوبكم، إن الله قد جعل لكل شيء غالبًا يقاد له ويطيع أمره، وجعل القلوب غالبة على الأبدان، فإذا مالت القلوب ميلا كانت الأبدان له تبعا، وإن القلوب لا تلين لأهلها إلا بصحتها، ولا يصححها إلا المعرفة بالله وقوة النية ونفاذ البصرة، ولو أستشعرت تقوى الله قلوبكم لاستعملت بطاعة الله أبدانكم، يا أهل المدينة داركم دار الهجرة ومثوى رسول الله ﷺ لما نبت به داره، وضاق به قراره، وآذاه الأعداء وتجهمت له، فنقله إلى قوم لعمري لم يكونوا أمثالكم، متوازرين مع الحق على الباطل، ومختارين للآجل على العاجل، يصبرون للضراء رجاء ثوابها، فنصروا الله وجاهدوا في سبيله وآووا رسول الله ﷺ ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه، وآثروا الله على أنفسهم ولو كانت بهم خصاصة، قال الله تعالى لأمثالهم ولمن اهتدي بهداهم "وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" وأنتم أبناؤهم ومن بقى من خلفهم، تتركون أن تقتدوا بهم وتأخذوا

بسنتهم عمي القلوب صم الأذان، اتبعهم الهوى فأرداكم عن الهدى وأسهاكم، فلا مواعظ القرآن تزجركم فتزدجروا ولاتعظكم فتعتبروا ولا توقظكم فتستيقظوا، لبئس الخلف أنتم من قوم مضوا قبلكم، ماسرتم بسيرتهم ولا حفظتم وصيتهم ولا احتذيتم مثالهم، لو شقت عنهم قبورهم فعرضت عليهم أعمالكم لعجبوا كيف صرف الله العذاب عنكم. قال: روي أيضا أن أبا حمزة بلغه أن أهل المدينة يعيبون أصحابة لحداثة أسنانهم وخفة أحلامهم، فبلغه ذلك عنهم فصعد المنبر وعليه كساء غليظ وهو متنكب قوسا عربية، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ، ثم قال: يا أهل المدينة قد بلغتني مقالتكم في أصحابي، ولولا معرفتي بضعف رأيكم وقلة عقولكم لأحسنت آدابكم، ويحكم إن رسول الله ﷺ أنزل عليه الكتاب وبيّن له فيه السنن، وشرع له فيه الشرائع، وبيّن له فيه مايأتي ويذر، فلم يكن يتقدم إلا بأمر الله، ولايحجم إلا عن أمر الله، حتى قبضه الله إليه ﷺ وقد أدّى الذي عليه لم يدعكم من أمركم في شبهة، ثم من بعده أبوبكر فأخذ بسننه وقاتل أهل الردة وشمر في أمر الله تعالى، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ومغفرته، ثم ولي بعده عمر فأخذ بسنة صاحبيه وجنّد الأجناد ومصّر الأمصار، وجي الفيء فقسمه بين أهله، وشمر عن ساقه، وحسر عن ذراعه، وضرب في الخمر ثمانين، وقام في شهر رمضان، وغزا العدو في بلادهم، وفتح المداين والحصون، حتى قبضه الله إليه والأمة عنه راضون رحمة الله عليه ورضوانه ومغفرته، ثم ولى عثمان بن عفان فعمل في ست سنين بسنة صاحبيه، ثم أحدث أحداثا أبطل آخر منها أولا واضطرب حبل الدين بعدها، فطلبها كل أمرء لنفسه، وأسر كل رجل منهم سريرة أبداها الله عنه، حتى مضوا على ذلك.

قلت: فليتدبر المنصف في هذا الكلام هل هو أقبح من قول جبلة بن عمرو الساعدي الذي سبق ذكره عن ابن الأثير والطبري أم أشد من قول علي ومن معه من الصحابة حيث باشروه بوجوه استحلالهم قتله، وكل هذا صحيح باجماع المؤرخين، فكيف يحل لأولئك القول بالحق، ويحرم علي من بعدهم.

قال: ثم ولي علي بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا، ولم يرفع له منارا، ومضى.

قلت: وكذلك ينظر المنصف في قوله هذا وقنوت علي ومعاوية في صلاتهم، كل واحد يلعن الآخر، وما أجمع عليه المؤرخون من لزوم معاوية وبني أمية لعن علي خاتمة كل خطبة جمعة.

قال: ثم ولي معاوية بن أبي سفيان لعين رسول الله ﷺ وابن لعينه، وجلف من الأعراب، وبقية من الأحزاب، مؤلف طليق، فسفك الدم الحرام، واتخذ عباد الله خولا، ومال الله دولا، وبغى دينه عوجا ودغلا، وأحل الفرج الحرام، وعمل بما يشتهيه.

قلت: قال في العقد الفريد: ولما دخل معاوية مكة أراد أن يلعن عليًّا على المنبر فأنكر ذلك سعد بن أبي وقاص، ولما مات سعد لعنه على المنبر، وكتب إلى عماله أن يلعنوه، وهو الذي قتل حجر بن عدي، وروى ابن الأثير وغيره من الثقات عن الحسن البصري قال: أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاءه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سكّيرا خميرا، يلبس الحرير بالطنابير، وادعاؤه زيادا وقد قال رسول الله ﷺ "الولد للفراش

وللعاهر الحجر" وقتله حجرا وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر ويا ويلا له من حجر وأصحابه، فبالله أَقولُ الحسن أقبح أم قول أبي حمزة؟ وبالله أَقْولُ معاوية وأتبَاعه أقبح أم قول أبي حمزة؟ "وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" وثبت أنه الفئة الباغية التي قتلت عمارا كما في البخاري وغيره، وجعله النبي ﷺ من المؤلفة يوم هوازن، وأنه من الذين أسلموا يوم الفتح، فصيرهم النبي ﷺ من الطلقاء، وأنه جاء يقود بأبيه فلمّا رآهما رسول الله ﷺ لعنهما، وصارحه بشيء من هذا أبو قتادة الأنصاري والإمام علي كما في ابن الأثير والطبري وغيرهما، فأبو حمزة متبع.

وقال صاحب الأغاني يحكي خطبة أبي حمزة: ثم ولى بعده ابنه يزيد، يزيد الخمور، يزيد الصقور، يزيد الفهود، يزيد الصيود، يزيد القرود، فخالف القرآن واتبع الكهان، ونادم القرود وعمل بما يشتهيه حتى مضى على ذلك لعنه الله. قال: ثم ولي مروان بن الحكم طريد ولعين رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وابن لعينه، فاسق في بطنه وفرجه، فالعنوه والعنوا آباءه، ثم تدوالها بنو مروان بعده أهل بيت اللعنة، طرداء رسول الله ﷺ وآله وقوم من الطلقاء، ليسوا المهاجرين والأنصار ولا التابعين بإحسان، فأكلوا مال الله أكلا، ولعبوا بدين الله لعبا، واتخذوا عباد الله عبيدا، ويورث ذلك الأكبر منهم الأصغر، فيا لها أمة ما أضيعها وأضعفها والحمدلله رب العالمين، ثم مضوا على ذلك من أعمالهم واستخفافهم بكتاب الله تعالى وقد نبذوه وراء ظهرهم، لعنهم الله فالعنوهم كما يستحقون.

قلت: وأذكر قتل عبد الله بن الزبير، وقتل سعيد بن جبير، وقتل عدد من المهاجرين والأنصار على يد عبد الملك والحجاج واليه، وما يصنعه الوليد ويزيد مما أجمع على صحته المؤرخون، وانظر أيهما أقبح قول أبي حمزة وفعله أم قول أولئك وأفعالهم، أم ترى أن قتل الحسين بن علي هيّن عند الله، ومعاوية هو الذي استخلف يزيد قاتل الحسين كما أنه هو الذي قتل الحسن بالسم.

قال: وقد ولي منهم عمر بن عبد العزيز فبلغ ولم يكد، وعجز عن الذي أظهره حتى مضى لسبيله (ولم يذكره بخير ولا بشر).

قلت: ذكر في تواريخ الأباضية أن وفدا دخل عليه منهم في زمان أبي عبيدة مسلم، فوعدهم بنشر العدل و إظهار براءتهم، ولكنه خاف المعاجلة من قومه، وأنه لما مات ابنه عبد الملك -وكان على رأيهم- هم الذين تولوا تجهيزه وخرجوا عنه لائمين له، لكن إمامهم أبا عبيدة قال: ليت القوم قبلوا منه. وقال نور الدين السالمي: وأقول ليت القوم قبلوا منه.

قال: ثم ولي يزيد بن عبد الملك، غلام ضعيف سفيه غير مأمون على شيء من أمور المسلمين، لم يبلغ أشده ولم يؤانس رشده، وقد قال الله تعالى عز وجل: "فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ" فأمر أمة محمد في أحكمها وفروجها ودمائها أعظم من ذلك كله، وإن كان ذلك عند الله عظيما، مأبون في بطنه وفرجه، يشرب الحرام ويأكل الحرام ويلبس الحرام، يلبس بردتين قد حيكتا له وقومتا على أهلها بألف دينار وأكثر وأقل قد أخذت من غير حلها وصرفت في غير وجهها، بعد أن ضربت فيها الأبشار وحلقت فيها الأشعار واستحل ما لم يحل الله لعبد صالح ولا لنبي مرسل، يجلس حبابة عن يمينه وسلامة عن شماله

تغنيانه بمزامر الشيطان، ويشرب الخمر الصراح المحرمة نصا بعينها، حتى إذا أخذت مأخذها فيه، وخالطت روحه ولحمه ودمه، وغلبت سورتها على عقله مزق حلّتيه ثم التفت إليهما فقال: أتأذنان لي أن أطير! نعم فطر إلى النار إلى لعنة الله حيث لا يردك الله.

ثم ذكر بني أمية وأعمالهم وسيرهم فقال: أصابوا إمرة ضائعة وقوما طغاما جهالا لا يقومون لله بحق ولا يفرقون بين الضلالة والهدى، ويرون أن بني أمية أرباب لهم فملكو الأمر وتسلطوا فيه تسلط ربوبية، بطشهم بطش الجبابرة، يحكمون بالهوى ويقتلون على الغضب، ويأخذون بالظن، ويعطلون الحدود بالشفاعات، ويؤمنون الخونة، ويقصون ذوي الأمانة، ويأخذون الصدقة على غير فرضها، ويضعونها في غير موضعها، فتلك الفرقة الحاكمة بغير ما أنزل الله، فالعنوهم لعنهم الله.

قلت: وردت أحاديث في لعن أشخاص بأعيانهم؛ فمن ذلك ما رواه أبوداود عن أنس: "مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ الْمُتَتَابِعَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" ومنها "لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي" و"لَعَنَ الْخَامِشَةَ وَجْهَهَا وَالشَّاقَّةَ جَيْبَهَا وَالدَّاعِيَةَ بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ" و"لَعَنَ اللَّهُ الْخَمْرَ وَلَعَنَ شَارِبَهَا وَسَاقِيَهَا وَعَاصِرَهَا وَمُعْتَصِرَهَا وَبَائِعَهَا وَمُبْتَاعَهَا وَحَامِلَهَا وَالْمَحْمُولَةَ إِلَيْهِ وَآكِلَ ثَمَنِهَا".

قال: وإما إخواننا من هذه الشيعة، فليسوا بإخواننا في الدين، لكن سمعت الله عزوجل قال في كتابه: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} شيعة ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله، لا يرجعون الى نظر نافذ في القرآن، ولا عقل بالغ في الفقه، ولا تفتيش عن حقيقة

الصواب، قد قلدوا أمرهم أهواءهم، وجعلوا دينهم عصبية لحزب لزموه وأطاعوه في جميع ما يقوله لهم، غيا كان أو رشدا أو ضلالة أو هدى، ينتظرون الدول في رجعة الموتى، ويؤمنون بالبعث قبل الساعة، ويدَّعون علم الغيب لمخلوق لا يعلم أحدهم ما في داخل بيته، بل لا يعلم ما ينطوي عليه ثوبه أو يحويه جسمه، ينقمون المعاصي على أهلها، ويعملون إذا ظهروا بها، ولا يعرفون المخرج منها، جفاة في الدين، قليلة عقولهم، قد قلدوا أهل بيت من العرب دينهم وزعموا أن موالاتهم لهم تغنيهم عن الأعمال الصالحة وتنجيهم من عقاب الأعمال السيئة، {قَاتَلَهُمُ اللّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}، فأي هؤلاء الفرق يا أهل المدينه تتبعون، أو بأي مذاهبهم تقتدون، وقد بلغني مقالتكم في أصحابي وما عبتموه من حداثة أسنانهم، ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله ﷺ وآله المذكورون في الخير إلا أحداثا شبابا، والله مكتهلون في شبابهم، غضيضةٌ عن الشر أعينُهم، ثقيلة عن الباطل أرجلُهم، أنضاءُ عبادة قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن، كلما مرّ أحدهم بآية من ذكر الله بكى شوقًا، وكلما مرّ بآية من ذكر الله شهق خوفًا كأنَّ زفيرَ جهنَّم بين أذنيه، قد أكلت الأرضُ جِبَاهَهم ورُكَبَهم، وصلوا كلال الليل بكلال النهار، مصفرَّةٌ ألوانُهم، ناحلةٌ أجسامُهم من طولِ القيامِ وكثرةِ الصِّيام، أنضاءُ عبادة، مُوفون بعهد الله، منتجزون لوعد الله، قد شروا أنفسَهم، حتى إذا التقت الكتيبتان، وأبرقت سيوفُها وفوقت سهامها وأشرعت رماحها، لقوا شبا الأسنة وشائك السهام وظباء السيوف بنحورهم ووجوههم وصدورهم، فمضى الشاب منهم قدما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه، واختضبت محاسن وجهه بالدماء، وعفر جبينه بالثرى، وانحطت عليه الطير من السماء، وتمزقته سباع الأرض، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى

بها صاحبها في جوف الليل من خوف الله، وكم من وجه رقيق وجبين عتيق قد فلق بعمد الحديد.

ثم بكى وقال: آه آه على فراق الإخوان، رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل الله أرواحهم الجنان.

وفي العقد الفريد من رواية الإمام مالك بن أنس قال: خَطَبنا أبو حَمْزة بالمدينة خُطبةً شَكّكَ فِيهَا المستَبصِر[١]، ورَدّ بِها المرتَاب[٢].

قال مالك: قال أبو حمزة: أُوصيكم بتَقْوى الله وطاعته، والعَمل بكتابه وسُنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم، وصِلة الرَّحم، وتَعْظيم ما صَغّرت الجبابرة من حق الله، وتَصْغير ما عَظّمت من الباطل، وإماتة ما أحيوا من الجَوْر، وإحياء ما أماتوا من الحُقوق، وأَنْ يُطاع الله ويُعصى العبادُ في طاعته، فالطاعةُ لله ولأهل طاعة الله، ولا طاعةَ لمخلوق في مَعْصية الخالق. نَدْعوكم إلى كتاب الله وسُنة نبيّه، والقَسْم بالسويّة، والعَدْل في الرَّعية، ووَضْع الأخماس في مواضعها التي أمر الله بها. وإنا والله ما خرجنا أَشَرًا ولا بَطرًا ولا لَهْوًا ولا لَعِبًا، ولا لدُولة مُلْك نريد أن نَخُوض فيه، ولا لثأرٍ قد نِيل منّا؛ ولكن لَمّا رأينا الأرضَ قد أظلمت، ومعالم الجَوْر قد ظهرت، وكثر الادعاء في الدِّين، وعُمل بالهوى، وعُطِّلت الأحكام، وقتل القائم بالقِسط، وعُنِّف القائل بالحق، وسمعنا مُناديًا ينادي إلى الحق وإلى طرِيق مُستقيم، فأَجَبْنا داعيَ الله، فأَقْبلنا من قبائل شَتَّى، قليلين مُسْتضعفين في الأرْض، فآوانا الله وأيَّدَنا بنَصْره، فأصبحنا بنعمته إخوانًا، وعلى الدِّين أعوانًا. يا

---

١) قال القطب : يعني نفسه.

٢) قال القطب : من لم يثبت في مذهبه رجع إلى مذهب أبي حمزة.

أهل المدينة، أوّلُكم خير أوّل، وأخركم شرّ آخر، إنكم أطعتم قُرّاءكم وفُقهاءكم فاختانوكم عن كِتاب غير ذي عِوَج، بتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، فأصبحتم عن الحق ناكبين، أمواتًا غيرَ أحياء وما تَشْعرون. يأهل المدينة، يا أَبناء المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ما أصحَّ أَصْلَكم، وأسْقمَ فَرْعَكم! كان آباؤكم أهلَ اليَقين وأهل المعرفة بالدين، والبصائر النافذة، والقُلوب الواعية، وأنتم أهل الضلالة والجهالة، استعبدتكم الدُّنيا فأذَلَّتكم، والأَماني فأَضَلَّتكم، فتح الله لكم بابَ الدين فأفْسَدتموه، وأغلَق عنكم باب الدُّنيا ففَتَحتموه، سِرَاع إلى الفِتْنةِ، بِطَاء عن السُّنّة، عُمْيٌ عن البرهان، صُمٌّ عن العِرْفان، عَبيدُ الطَّمع، حُلفاءُ الجَزَع. نِعْم ما وَرَّثَكم آباؤُكم لو حَفِظتموه، وبئس ما تُوَرِّثُون أبناءَكم إنْ تَمَسَّكوا به. نصرَ الله آباءكم على الحق، وخَذَلكم على الباطِل. كان عدد آبائكم قليلاً طَيِّبًا، وعددكم كثيرٌ خبيث. اتبعتمُ الهوَى فأرْدَاكم، واللَّهْوَ فأسْهاكم، ومواعظُ القرآن تزجركم فلا تزْدجرون، وتُعبِّركم فلا تَعتَبرون. سألناكم عن وُلاتكم هؤلاء فقلتم: والله ما فيهم الذي يَعْدل، أخذوا المال من غير حِلِّه فوضعوه في غير حَقِّهِ، وجَارُوا في الحكم فحَكموا بغير ما أنْزَلَ اللهّ، واستأثروا بفَيئنا فجَعَلوه دُولةً بين الأغنياء منهم، وجعلوا مَقَاسِمَنا وحقوقنا في مُهُور النساء وفروج الإماء. وقلنا لكم: تعالوا إلى هؤلاء الذين ظلمونا وظَلموكم وجاروا في الحُكم فَحَكموا بغير ما أنزل الله؛ فقلتم: لا نقْوَى على ذلك، وَوَدِدْنا أنّا أصَبنا مَن يكفينا؛ فقُلنا: نحنُ نَكفيكم، ثم الله راعٍ علينا وعليكم، إن ظَفِرْنا لنُعطيَنَّ كُلَّ ذِي حقٍّ حقَّه. فَجئْنا فاتقينا الرِّمَاحَ بصُدورنا، والسُّيوفَ بوُجُوهنا، فعرَضتم لنا دونهم، فقاتلتمونا، فأبعدكم الله! فواللهِ لو قلتم: لا نَعرف الذي تقول ولا نَعلْمه،

لكان أعذرَ، مع أنه لا عُذْرَ للجاهل؛ ولكنْ أبى اللهُ إلّا أن يَنطقَ بالحقِّ على أَلْسِنَتِكم وَيأخُذَكم به في الآخرةِ.

ثم قال: النّاس منّا ونحن منهم إلا ثلاثة: حاكمًا بغير ما أنْزَل الله أو مُتّبعاً له، أو راضيًا بعمله.

وقال أيضًا: أما بعد، فإنك في ناشيء فِتنة، وقائم ضلالة، قد طال جُثومها، واشتدت عليك هُمومها، وتلوَّت مصايد عدوّ الله منها وما نَصَبَ من الشَّرَك لأهل الغَفْلة عمّا في عواقبها. فلن يَهُدّ عمودَها، ولن يَنزع أوتادها، إلا الذي بيده مُلْك الأشياء، وهو الرّحمن الرحيم. ألا وإن لله بقايا من عباده لم يتَحَيّروا في ظلَمها، ولم يُشايعُوا أهلها على شبهها، مصابيحُ النّور في أفواهِهم تزهو، وألسنتُهم بحُجَج الكتاب تَنْطق، رَكِبوا مَنهج السّبيل، وقاموا على العلَم الأعظم، هم خصماء الشيطان الرّجيم، بهم يصْلح اللهُ البلاد، ويَدْفع عن العباد، طُوبى لهم وللمستصبحين بنورهم، وأسأل الله أن يجعلنا منهم.

قال صاحب الأغاني: وبايعه ناس، منهم إنسان هذلي وإنسان سراقي وشكست الذي كان معهم معلّم النحو (يعنى مع أهل المدينة وسيأتي خبر قتله).

قال: ثم خرج أبو حمزة وخلف بالمدينة بعض أصحابه، فسار حتى نزل الوادي، وكان مروان قد بعث بن عطية، وأمره بالجد في السير، وأعطى كل رجل من أصحابه مائه دينار وفرسا عربيًا وبغلا لثقله، وأمره أن يمضي فيقاتلهم وعددهم أربعة الآف، معه فرسان من أهل الشام ووجوههم، منهم شعيب البارقي ورومي بن ماعز المري، وقيل بل هو كلابي، وفيهم ألف من أهل الجزيرة. قال: وبعث أبو حمزة بلج بن عقبة في ستمائة رجل ليقاتل عبد الملك، فلقيه بوادي القرى

لأيام خلت من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة، فتواقفوا فدعاهم بلج إلى الكتاب والسنة، وذكر بني أمية وظلمهم، فشتمهم أهل الشام وقال: أنتم أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم وقلتم، فحمل عليهم بلج وأصحابه فانكشف طائفة من أهل الشام وثبت ابن عطية في الحفاظ، وقال: ناضلوا عن دينكم وأميركم، فكروا واصبروا صبرا حسنا وقاتلوا قتالا شديدا فقتل بلج وأكثر أصحابه، وانحازت قطعة من أصحابه نحو المائة إلى جبل اعتصموا به، فقاتلهم عطية ثلاثة أيام فقتل منهم سبعين ونجا ثلاثون، فرجعوا إلى أبي حمزة ونصب ابن عطية رأس بلج على رمح. قال: واغتم الذين رجعوا إلى أبي حمزة من وادي القرى إلى المدينة وهم الثلاثون، ورجعوا وجزعوا من انهزامهم وقالوا: فررنا من الزحف، فقال لهم: أبو حمزة: لا تجزعوا، فأنا لكم فئة وإليّ انصرفتم، وخرج أبو حمزة من المدينة إلى مكة، واستخلف رجلاً يقال المفضل عليها، وخطب أبو حمزة أهل المدينة وودعهم ليخرج إلى الحرب، فقال: يا أهل المدينة، إنا خارجون لحرب مروان، فإن نظهر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم ونقسم بينكم، وإن يكن ما تمنون لنا فسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. قال: ووثب الناس على أصحابه حين جائهم قتله فقتلوهم، فكان بشكست ممن قتلوا، طلبوه فرقى في درجة كانت في دار أذينة، فلحقوه فأنزلوه منها وهو يصيح: يا عباد الله فيم تقتلونني؟ قال: وأنشدني بعض أصحابنا: لقد كان بشكست عبد العزيز من أهل القراءة والمسجد. وقال ابن الأثير: وفي من قتل مع أبي حمزة عبد العزيز القاري المدني من أهل المدينة، قال: فدعا عمر بن عبد الرحمن بن أسيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الناس إلى قتالهم فلم يجد كبير أمر؛ لأن القتل قد كان شاع في الناس، وخرج وجوه أهل البلد عنه فاجتمع إلى عمر البربر والزنج وأهل

السوق والعبيد، فقاتل بهم الشراة فقتل المفضل وعامة أصحابه، وهرب الباقون، فلم يبق بالمدينة منهم أحد، فقال في ذلك سهيل أبو البيضاء مولى زينب الحكم بن العاصي:

ليـــــت مـــــروان رآنـــــا يـــــوم الاثنـــــين عشـــــية
إذ غســـــلنا العـــــار عنـــــا وانتضـــــينا المشـــــرفيّه

قال: وأقام ابن عطية بالمدينة شهرا، وأبو حمزة مقيم بمكة، ثم توجه إليه فقال له علي بن حصين العنبري: إني كنت أشرت عليك يوم قديد وقبله أن تقتل هؤلاء الأسراء كلهم فلم تفعل، وعرفتك أنهم سيغدرون ولم تفعل حتى قتلوا المفضل وأصحابنا المقيمين بالمدينة، وأنا أشير عليك اليوم أن تضع السيف في هؤلاء فإنهم كفرة فجرة، ولو قدم عليك ابن عطية لكانوا أشد عليك منه، فقال: لا أرى ذلك؛ لأنهم قد دخلوا الطاعة وأقروا بالحكم، ووجب لهم حق الولاية، قال: إنهم سيغدرون، فقال: أبعدهم الله {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}.

قال: وقدم عبد الملك مكة فصير أصحابه فرقتين، ولقى الخوارج من وجهين، فصيّر طائفة بالأبطح وصار هو في الطائفة الأخرى بإزاء أبي حمزة، فصار أبو حمزة أسفل مكة، وصيّر أبرهة بن الصباح في الأبطح في ثمانيين فارسًا، فقاتلهم أبرهة فانهزم أهل الشام إلى عقبة منى، فوقفوا عليها ثم كروا وقاتلهم فقتل، كمن له هبار القرشي وهو على جبل دمشق عند بير ميمون، وتفرق الخوارج وتبعهم أهل الشام يقتلونهم حتى دخلوا المسجد والتقى أبو حمزة وابن عطية بأسفل مكة، فخرج أهل مكة مع ابن عطية فقتل أبو حمزة على فم الشعب وقتل معه امرأته وهي ترتجز وتقول:

أنــا الجُعَيــدَاءُ وبنــتُ الأعلــمْ　　　مــن سـال عـن اسمـي فـاسمي مَـريمْ

بِعتُ سِواريّ بسيفٍ مِخذَمْ

قال: وتفرقت الخوارج فأسر أهل الشام منهم أربعمائة، فدعا بهم ابن عطية فقال: ويلكم ما دعاكم إلى الخروج مع هذا؟ قالوا: ضمن لنا الكنّة يريدون الجنة وهي لغتهم فقتلهم، وصلب أبا حمزة وأبرهة بن الصباح ورجلين من أصحابهم على فم الشعب، شعب الخيف، ودخل علي بن الحصين دارًا من دور قريش، فأحدق أهل الشام بالدار فأحرقوها، فلما رأى ذلك رمى نفسه من الدار، فقاتلهم، فأسر وقتل وصلب مع أبي حمزة، ولم يزالوا مصلبين حتى أفضى الأمر إلى بني العباس، وحج مهلهل الهجيمي في خلافة أبي العباس، فأنزل أبا حمزة ليلاً فدفنه ودفن خشبته.

وروى أنه لما التقى أبو حمزة وابن عطية قال أبو حمزة: لا تقاتلوهم حتى تختبروهم، فصاح بهم: ماتقولون في القرآن والعمل به؟ فصاح ابن عطية: نضعه جوف الجوالق، قال: فما تقولون في مال اليتيم؟ قال: نأكل ماله ونفجر بأمه.. في أشياء بلغني أنه سأل عنها، فلما سمعوا كلامهم قاتلوهم حتى أمسوا، فصاحت الشراة: ويحك يابن عطية إن الله عزوجل قد جعل الليل سكنا فاسكن ونسكن، فأبى وقاتلهم حتى قتلهم جميعًا. ولما قتل ابن عطية أبا حمزة بعث برأسه إلى مروان.

قال: وأتى فل أبي حمزة إلى عبد الله بن يحيى بصنعاء، فأقبل ومعه أصحابه يريد قتال ابن عطية، ولقبوه طالب الحق، وبلغ ابن عطية خبره فشخص إليه فألتقوا بكست، فأكثر أهل الشام القتل فيهم، وأخذ أثقالهم وأموالهم وتشاغلوا

بالنهب، فركب عبد الله بن يحيى فكشفهم فقتل منهم نحو مائة رجل، وقتل قائدا من قوادهم يقال له يزيد بن حمل القشيري من أهل قنسرين، فذمرهم بن عطية فكروا وانضم بعضهم إلى بعض وقاتلوا حتى أمسوا، فكفوا عن بعض، ثم التقوا من غد في موضع كثير الشجر والكرم والحيطان فطال القتال بينهم واستحر القتل في الشراة، فترجل عبد الله بن يحيى في ألف فارس، فقاتلوا حتى قتلوا جميعًا عن آخرهم وانهزم الباقون، فتفرقوا في كل وجه، ولحق من نجا منهم بصنعاء وولوا عليهم حمامة.

قال: وبعث عبد الملك رأس عبد الله بن يحيى مع ابنه يزيد إلى مروان.

وقال عمرو بن الحصين ويقال الحسن العنبري مولى لهم يرثي عبدالله بن يحيى وأبا حمزة:

هبَّت قُبيلَ تَبلُّجِ الفجرِ	هندٌ تقول وَ دمعُها يَجري
إن أبصرتْ عيني مَدَامعَها	ينهلّ واكِفُها على النَّحر
أنّى اعتراكَ وكنتَ عهديَ لا	سَرِبَ الدموعِ وكنتَ ذا صبر
أقذًى بعينك ما يُفارقها	أم عائرٌ أم ما لها تُذرِي
أم ذِكرُ إخوان فُجِعتَ بهم	سلكوا سبيلَهُمُ على خُبْر
فَأَجبتُها بل ذكرُ مصرَعِهم	لا غيرُه عبراتُها تَمرِي
يا ربِّ أسلكني سَبيلَهُمُ	ذا العرش واشْدُد بالتُّقى أَزرِي
في فتية صبروا نفوسَهُمُ	للمشرفيّة والقنا السُّمْرِ
تاللهِ ألق الدهرَ مثلَهُمُ	حتى أكونَ رهينةَ القبرِ
أوفي بذمتهم إذا عَقَدُوا	وأَعِفُّ عند العُسرِ واليُسرِ

متـأَهِّلينَ لكـلِّ صَـالحةٍ ... نـاهين مَـنْ لاقَـوا عـن النُّكـرِ
صُـمتٌ إِذا احتضـروا مجالِسَـهم ... وُزُن لقـول خَطيـبهم وُقْـرِ
إلاَّ تجيـبهمُ فـإنهمُ ... رُجُـف القلـوب بحضْـرةِ الـذِّكرِ
متَـأَوِّهون كـأنَّ جمـرَ غَضًـى ... للخـوفِ بـين ضُـلوعِهم يَسـرِي
تلقاهُـمُ إلاَّ كَـأَنَّهمُ ... لخشـوعهم صَـدَرُوا عَـنِ الحَشـرِ
فهـم كـأَنَّ بهـم جَـوى مـرضٍ ... أو مَسَّـهمْ طَـرْفٌ مِـنَ السِّـحرِ
لا لـيلُهم ليـلٌ فيلبَسُـهُم ... فيـه غَواشِـي النَّـومِ بالسُّـكرِ
إلا كـذا خُلسًـا وَآونـةً ... حـذرَ العقـابِ وهُـم علـى ذُعـرِ
كـم مِـن أَخٍ لَـكَ قَـد فُجعتَ بِـهِ ... قَـوَّامُ ليلتِـهِ إِلى الفَجـرِ
مُتَـأَوِّهٍ يَتلُـو قَـوارِعَ مِـن ... آي القُـرَانِ مُفـزَّعَ الصَّـدرِ
نَصِـبٍ تَجِـيشُ بَنَـاتُ مُهجَتِـهِ ... من خوف جَيش مُشَاشَةِ الصَّدرِ
ظَمـآنَ وَقـدةَ كُـلِّ هـاجرةٍ ... تَـرَّاكُ لَذَّتِـهِ عَلَـى قَـدْرِ
تَـرَّاكَ مَـا تَهـوى النُّفـوسُ إِذَا ... رُغَـبُ النُّفـوسِ دَعـتْ إلى النَّـذرِ
وَمُبَـرَّأً مِـن كُـلِّ سَـيِّئةٍ ... عَـفَّ الهـوَى ذُو مِـرَّةٍ شَـزْرِ
والمصـطلي بـالحرب يسـعَرُهَا ... بِغُبَارِهَـا وبِفتنـةٍ سُـعْرِ
يجتاجهـا بأفَـلِّ ذِي شُـطَبٍ ... عضـبِ المضَـارِبِ قَـاطِعِ البَـترِ
لا شَـيء يلقـاه أَسَـرَّ لَـهُ ... مِـن طَعنَـةٍ في ثُغْـرةِ النَّحـرِ
نجـلاء منهـرَةٍ تَجِـيشُ بمـا ... كانـت عواصـي جَوفِـه تجـرِي
كخليلـكَ المختـارِ أذْكِ بِـه ... مِـن مُعتَـدٍ في الله أو مُسـرِي
خـوّاض غمـرة كُـلِّ مَتلفـة ... في الله تحـت العثـير الكُـدرِ
تـرّاك ذي النَّخـوات مُختَضِـبًا ... بنجيعـه بالطَّعنـةِ الشـَّزْرِ

وابـن الحصـين وهـل لـه شَـبَهٌ ... في العـرف أنىَّ كـان والنكـر
بشـهامة لم تُحـنَ أضـلُعه ... لـذوي أُخوَّتِـه علـى غِمْـرِ
طلـق اللسـانِ بكـلِّ مُحكمـةٍ ... رآبُ صـدع العَظـم ذِي الـوقر
لم ينفِكـك في جوفـه حَـزَنٌ ... تَغلـى حَرارتُـه وتستَشـرِي
ترقَـى وآونـة يُخفضـها ... بتـنفس الصُّـعداء والزَّفـرِ
ومخـالطي بلـج وخَالصـتي ... سـمُّ العَـدِّو وجابـر الكَسْرِ
نكـل الخصـومِ إذا هُـمُ شَـغِبوا ... وسِـداد ثَلمـة عـورة الثَّغـر
والخـايضُ الغمـراتِ يخطِـر في ... وسـط الأعـادي أيَّمـا خطْـرِ
بمشـطَّب أو غـيرِ ذي شُـطب ... هـامَ العِـدَا بذُبابـه يَفْـرِي
وأخيـكَ أبرهـة الهجـان أخـي ... الحـربِ العَـوان مُلَقَّـحِ الجمْـرِ
بِمُرِشَّـةٍ فَـرْغٍ تَثُـجُّ دَمًـا ... ثَـجَّ الغـويِّ سُـلافَةَ الخَمْـرِ
والضـارب الأخـدود لـيس لها ... حَـدٌّ ينهنهـا عـن السـمر
ووليُّ حكمهـم فجعـتُ بـه ... عمـرو فواكَبِـدي علـى عَمـرِو
قَـوّالُ مُحكَمـةٍ وذي فَهَـمٍ ... عَـفٍّ الهـوى متثبّـتِ الأمْـرِ
ومسـيَّبِ فـاذكْر وصـيَّتَه ... لا تـنسَ إمّـا كنـتَ ذا ذُكْـر
فكلاهُمـا قـد كـان مُحْتِبسًـا ... للهِ ذَا تَقـوى وذا بِـرِّ
في مُخْبِتـين ولم أُسمِّهـمُ ... كـانوا يـدي وهـمُ أُول نَصـري
وهـمُ مسـاعرُ في الـوغَى رُجحٌ ... وخِيـارُ مَـن يمشـي علـى العَفْـر
حـتى وَفَـوا لله حيـث لَقُـوا ... بعهـودٍ لا كـذبٍ ولا غَـدْر
فتخالَسـوا مُهجـاتِ أنفسـهم ... وعُـداتهم بقواضـبٍ بُـتْر
وأَسـنَّةٍ أُثْبِـتْن في لُـدُنٍ ... خَطِّيـةٍ بـأكفّهم زُهْـرِ

تحتَ العَجاج وفوقَهم خِرِقٌ   يخفِقْن من سُودٍ ومن حُمْرِ
فتفرّجت عنهم كماتُهُمُ   لم يغمضوا عيناً على وِتْرِ
فشعارُهم نِيرانُ حربِهِمُ   ما بين أعلى الشَّحْر فالحِجْر
صرعَى فَحاجِلةٌ تنوشُهُم   وخَوامِعٌ لحُماتِهِمْ تَفْري

قال: وتتبع ابنُ عطيةَ أصحابَ ابنِ يَحيى في كُلِّ مَوضعٍ يقتُلُهم، وأَقَامَ بصنعاءَ أشهرًا ثم خَرجَ عليه رجلٌ من أصحابِ ابنِ يَحيَى في آلِ ذِي الكلاع يقال له يحيى بن عبد الله بن عمر بن السباق، في جمع كثير بالجند، فبعثَ إليه ابنُ عَطِية ابنَ أَخيه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية، فلقيه بالحرب فهزمه، وقتل عامَّة أصحابِه، وهربَ منه فَنَجَا. وخَرج عليه يَحيى بنُ كربٍ الحميري بساحل البحر، وانضمت إليه شُذَّاذُ الإباضيةِ، فبعث إليه أَبَا أُمَيَّة الكِندِي في الوضاحية، فالتَقَوا بالسَّاحلِ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل، وتحاجزوا عند المساء، فهربت الأباضيةُ إلى حضرموت، وبها عاملٌ لعبدِ اللهِ بنِ يحيى يُقال له عبد الله بن معبد الجرمي، فصار في جيش كثير واستفحل أمرُه، وبلغَ ابنَ عطية الخبرُ، واستخلف ابنَ أخيه عبدَ الرحمن بنَ يزيد بن عطية على صنعاء، وشَخصَ إلى حضرموت، وبلغ عبدَ الله بنَ معبد مسيرُ عبدِ الملك إليهم فجمعوا الطعام وكل ما يحتاجون إليه في مدينة شبام وهي حصن حضرموت، مخافة الحصار، ثم عزموا على لقاء ابن عطية في الفلاة، فخرجوا حتى نزلوا على أربع مراحل من حضرموت في عدد كثير في فلاة، وأتاهم ابن عطية فقاتلهم يومَه كله، فلمَّا أمسى وقد بلغه ما جمعوا في شبام حدر عسكره في بطن حضرموت إلى شبام ليلا، ثم أصبح

فقاتلهم حتى انتصف النهار، ثم تحاجزوا، فلمَّا أمسَوا تبع عسكره، وأصبح الخوارج فلم يروا للقوم أثرا، فاتبعوهم وقد سبقوهم إلى الحصن، فأخذوا جميع ما فيه وملكوه، ونصب عليهم المسالح، وقطع عنهم المادة والميرة، وجعل يقتل من يقدر عليه ويسبي ويأخذ الأموال.

ثم ورد عليه كتاب مروان بن محمد يأمره بالتعجل إلى مكة؛ ليحج بالناس، فصالح أهل حضرموت على أن يرد عليهم ما عرفوا من أموالهم، ويُولِّيَ عليهم من يَختارُون، وسالموه فَرَضِيَ بذلك وسالمهم، وشَخص إلى مكة مُتعجِّلا مُخِفًّا، وَلَمَّا نفذ كتابَ مروانَ نَدِم بعد ذلك بأيام، وقال: إنا لله قتلت والله ابنَ عطية، هو الآن يَخرجُ مخفا متعجلا ليلحق الحج فيقتله الخوارج، فكان كما قال، تَعَجَّل فِي بضعة عشر رجلاً، فلمَّا كان بأرض مراد تلففت عليه جماعة، فَمَن كَانَ مِن تلك الجماعةِ أَبَاضِيًا عرفه فقال: ما ننتظر بهذا أن نُدركَ ثَأرَ إِخوَاننا فيه، ومن لم يكن أباضيًا ظنَّه من الإباضيةِ، وأنه مُنهَزِم، فَلَمَّا عَلِم أنهم يريدونه قال لهم: ويحكم أنا عاملُ أَمير المؤمنين على الحجّ، فلم يلتفتوا إلى ذلك وقتلوه، ونصبت الأباضية رأسه، فلما فَتَّشُوا مَتَاعَه وَجَدُوا فيه الكتابَ بولايته عَلى الحجّ، فأخَذُوا من الأباضيةِ رأسَه وَدَفَنُوه مَع جَسدِهِ.

وقال المدايني: خرج إليه جمانة وسعيد ابنا الأخنس، في جماعة من قومهما من كندة، وعرفه جمانة لما لقيه، فحمل عليه هو وأخوه ورجل آخر من همدان يقال له رمانة، وثلاثة من مراد، وخمسة من كندة، وقد توجه في طريق مع أربعة نفر من أصحابه، وتوجه باقيهم في طريق آخر، فقصدوا حيث توجه ابن عطية، ووجهوا في آثار أصحابه نحو أربعين رجلا منهم فأدركوهم فقتلوهم، وأدرك سعيدٌ

وجمانةُ وأصحابُهما ابنَ عَطية، فعطفَ عبدُ الملك على سَعيدٍ فَضربَه وطَعَنهُ جُمانة فصرعه عن فرسه، ونزل إليه سعيدٌ فقعد على صدره، فقال له ابن عطية: هل لكَ يا سَعيدٌ في أن تَكُونَ أكرمَ العربِ أسيرًا؟ فقال: يا عَدُوَّ الله أَتَرى اللهُ كان يُمهلك أو تطمع في الحياة، وقد قتلتَ طالبَ الحقِّ وأبَا حَمزةَ وبَلَجًا وأَبرهة؟! فقتَلَهُ وقَتلَ أَصحابَه جَميعًا، وبَعثُوا برأسه إلى حضرموت. وبَلغَ ابنَ أَخِيه وهو بصنعاءَ خبرُه فأرسلَ شُعيبًا البارقي في الخيل فقتلَ الرجالَ والصبيانَ، وبَقرَ بُطونَ النِّساءِ، وأَخذَ الأموالَ، وأَخربَ القُرى، وجَعَلَ يَتَتَبَّعُ البري والنطف، حتَّى لم يبقَ أَحدٌ من قَتَلَةِ ابنِ عَطِية وَلا مِنَ الإباضيةِ إلا قَتَلَه، ولم يَزل مُقيمًا باليمن إِلَى أَن أَفضَى الأمرُ إلى بَني هاشمٍ" انتهى من كتاب الأغاني.

ومن أَئمة الأباضيةِ بحضرموت: أحمد بن سليمان، وسليمان بن عبد العزيز.

ولم تزل بينهم وبين أئمة عمان مُراسلات ومواصلات ومساعدات، وفي أوائل ربع القرن الخامس للهجرة وفد الإمام الشاري أبو إسحاق إبراهيم بن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي إلى إمام عمان الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي يستعين به على إظهار دولة العدل في حضرموت وأَنشدَهُ قصيدةً طويلةً منها:

لقد جاءني من بعد أرضي و أوطاني ... رجاء لنصر الدين من نحو إخواني

وذكر إمام شاع في الناس ذكره ... وطاب الثنا فيه الخليل بن شاذان

فقطعت غيطانا وجاوزت أبحرًا ... إليهم أجرّ المجد من آل قحطان

وكم بلد خلفت فيها مشايخًا ... غطارفة غرًّا يرجّون إتياني

وكم كانت الأشياخ أشياخنا الأولي ... إذا طلبوا نصرًا مدوا بأعوان

وكم من إمام في الألى حلّ مكة ... و أعوانه في الصين أو في خراسان

وقال أيضاً:

يا أحمد بن معبد سيرا فقد ... سار الرضى عبد الإله خليلي

وارموا بنا نحو الإمام المرتضى ... المفزع المأوى لكل دخيل

ذاك الذي جلّى عمانا بعد ما ... واراهم غير الطغا بذبول

ذاك الذي يخطو خطى من صار في ... وادي القرى أو آسك ونخيل

فأمدهم الإمام بالمال والرجال، وسار بهم إلى حضرموت وهو يقول:

دعيني فعندي للنهوض عزائم ... ولما يكن لي عند ذاك قوادم

وكيف وقد أضحى الجناح متمما ... عليه من التأييد ريش مراكم

في قصيدة طويلة، وقد نصره الله وفتح معاقل حضرموت، وكتب إلى الإمام:

سل الوفد عني يا إمام ألم أكن ... تسربلت يوم الروع ثوب العزايم

فما كان إلا جمعة بعد جمعة ... وأدّت إليّ العشر أهل الحضارم

سل الخطبا لما دعوا لك جهرة ... على رغم أهل الجور بعد التصادم

و أما نواحي حضرموت فإنها ... بحول إلهي طوع أمري كخاتمي

وبعد ثلاثين عامًا تقريبًا أرسل قصائد غررا إلى الإمام الثاني بعمان راشد بن سعيد اليحمدي قال فيها:

إمامًا بنزوى قائمًا قَامَ في الوَرى ... بِعدلٍ فَأضحَى الحقُّ إذ قَامَ قَائِمَا

أديبًا لبيبًا يحمَديًا غَضَنفرًا ... مِنَ الأزدِ لَيثًا في حِمَى الحربِ غَانِما

ونحن إذا ما الحربُ جَدَّت إليكم ... أتتكُم كَراديس تَهزُّ الصَّوَارِمَا

يَذُودُونَ عَن أديَانهم كُلَّ مُعتَدٍ ... فَويلٌ لِمَن في الحربِ يَلقَى الحَضَارِمَا

أيَا راشدَ إنَّا لعمرُكَ نزدَهِي ... بذكراكم في حَضرَمَوتَ تَعَاظُمَا

إذا مَا عُمَانِيٌّ أَلَمَّ بَأَرضِنَا ... أَحطنَا بِه نَسألُهُ عَنكم تَزَاحُمَا

وقال:

وبيضٍ بأيدينا خِفافٌ صَوارِمٌ ... ثِقَالُ الظبي مَشحُوذَةٌ بالمَبارِدِ
مُعَوَّدَةٌ هَتكَ الجَمَاجِمِ أَظهَرَت ... سَبيلَ إمَامَينَا الخَلِيلِ وَراشِدِ

وخالف إمام عمان بعض القبايل فكتب الإمام الحضرمي إليه قصيدةً منها:

فَإن عَدَلُوا عَن بَغيِهِم وَتَراجَعُوا ... إلى عَسكَرِ الإسلامِ والحقِ وارتَدُّوا
فَأهلا وسَهلا بالعَشيرةِ إنَّهم ... إليكم بإخلاص لربِّ السَّمَا أدُّوا
وإن هم أَبَوا فاستَصرَخُونَا فَإنَّنا ... قريبٌ و مَا للقومِ مِن صحبهم بُدُّ
وَمَا بين وادِي حَضرموتَ وبَينَكُم ... إذا سَرَّكُم إتيانُنا نَحوكُم بُعدُ
مَتى يأتِنَا مِنكُم صَريخٌ نَؤُمُّكُم ... بِعسكَرٍ جَرَّارٍ يَضِيقُ بِهِ النَّجدُ

وله ديوان شعر طويل يدلُّ على شجاعته وشهامته، ويذكر في بعض قصائده أنه غاب في غزوة من غزواته تسع سنين وشهرا، وديوانُه مشهور بين الخواص والعوام، طبع مرتين، وله خاصيةٌ إذا قُرِئ في مجلسٍ تَشَوَّقت النُّفوسُ إلى الجهادِ وتَحرَّكَ الجبَانُ إلى الجِلاد واحترقَ قلبُ الشُّجَاعِ، فَمن شِعرِه:

خُلِقتُ عَلَى خُلِق الرجالِ فَلاَ أرَى سِوَى الجِدّ فِيمَا جدَّ فِيه الأكايِسُ
قَرِيبٌ وَزحّافٌ وَسَهمُ بنِ غَالِبِ أئمتُنَا والأربَعُون الفَوارِسُ
أُولاكَ مَصاليتُ أولاكَ مَسَاعِرُ أولاكَ مجاليدٌ أولاكَ أَشَاوِسُ
أُولَئكَ أَشيَاخِي وَأَربابُ دَعوَتِي أُولَئكَ أَقمَارُ الدُّجى وَالمقَابِسُ
أُولاكَ مَضَوا وَالمرهفَات ضَواحكُ بأيمانهم و العَادِياتُ عَوابِسُ
أَسِيرُ لِمَا سَارُوا وَأَدعُو لِمَا دَعَوا حَياتِي أَو تُحثَى عَلَيَّ الرَّوَامِسُ
إِذَا بالعُتيمَاتِ اعتَلَى الوهنُ فرشَه عَلَت بِي نُجودٌ أَو نَأت بِي بَسابِسُ
كَذَا هِمَّتِي أَو يحضر الموت همتي بحيثُ الثُّرَيَّا لا تزالُ تُقَابِسُ
فَمن ظَنَّ أَنِّي مُهمل أو مُقيّد بِروضِ الهوينَا هِمَّتِي فَهُو نَاعِسُ
لقدَ عَلم الشيخُ الذي أنَا نَجلُه بِأَنِّي لِسربالِ العَزِيمَةِ لابِسُ
وإنَّ قنَاتِي لا تَلينُ لِغَامِز وَإِنَّ سِنَانِي فِي الملمَّات دَاعِسُ
و إِني بحيثُ الظن منه و رُبّمَا أزيدُ عَلَى ما ظَنَّ فِيما أُمَارِسُ

ومن شعره:

ألا إنَّني لا أستَكِينُ لِذلَّةٍ ولا أرتَدِي في العِزِّ ثَوبَ التَّعَاظُمِ

وَلستُ إلى ظُلمٍ وإن كُنت معظما أميلُ وَلو قُسمتُ بَينَ الصَّوارِمِ

أبَت هِمَّتِي إلاَّ إلَى طَلَبِ العُلَى تُناطُ وتَأبى عَن قَبيحِ الجرَائِمِ

وَلِي هِمَّةٌ تَستَعذِبُ الموتَ عِندَمَا يَمُرُّ حِياضُ الموتِ ضَرب الجمَاجِمِ

أَسيرُ وَأُرضِي صَاحِبِي بِتقدُّمِي إذَا مَا التوَى في الرَّوعِ كَفِّي بِصَارِمِي

فَإن تَسأَلِي عَنِّي وَعن أَهلِ مَذهَبِي وعَن أينَ دَارِي أَنتِ يَا أُمَّ حَازِمِ

فَإنِّي مِن هَمدان أَصلِي، وَقُدوتي فَمِرداسٌ، وَالأوطان أَرضُ الحَضَارِمِ

أَنَا الرَّجلُ الدَّاعي إلى الحقِّ وَالذِي أَبَت نفسُهُ شَمَّ الطُّغَاةِ الأشَايِمِ

أنا الرجل الشاري الذي باع نفسه و أصبح يرجو الموت عند التصادم

ويروى أنَّه قُتلَ تمزيقًا في حوافرِ الخيلِ، ويبدو أنَّه عَاش حَوالي مائة سَنة، فقد رَثَى العلَّامة محمد بن إبراهيم الكندي العُماني مُؤَلِّف بيانَ الشرعِ المتوفَّى عَام ثمان وخمسمائة سنة. ومن شعره:

سَلامتي عِندي إذا لم أسلم يا نعمةً ما مثلها من أنعُمِ

إن أدرجُوني في ثِيابِي بِدَمِي لا شرف أعلَى مِنَ التَّقَحُّمِ

للهِ في خَوضِ الحِمامِ الأَحومِ أَهلًا و سَهلًا بِالقَنَا فَليقدُمِ

أَهلًا بِه بَين القَنَا المُحطمِ لستُ أُلاقيه بَوجهٍ أَجهَمِ

وقال أيضا:

فَــلا تَحــزَني إنَّ التَّوكــلَ مِغفَــرِي ... وَدَرعِــي يَقِيــنِي وَالحَقِيقَــةُ جُنَّــتِي
وَفِي الكَـفِّ مِنِّي كَالشِّـهَابِ وَضَـوئِه ... وَيَــومَ سُـعودِي يَــومَ أَلقَــي مَنِيَّــتِي
وَيَــومَ أَرَى الحَــورَاءَ تَمسَــحُ غُــرَّتِي ... شَــهِيدًا والسِّــيدُان تَــنهَشُ جُثَّــتِي

ومع جهاده وخوضه المعارك المتواترة لم تمنعه من التأليف ونشر العلم؛ فقد جمع إلى السيف القلم، قال: علق الفؤاد بأن أكون أنا الذي نشر الهدى بقواضب ورماح أو بأسنة الأقلام، فلقد صنف رحمه الله كتاب "مختصر الخصال" على منوالٍ حسنٍ وطريقةٍ لم يُسبق إلى مثلها في الأقدمين، ولا أتى بنظيرها المتأخرون، قال في مقدمته: أما بعدُ فقد دعاني إلى تصنيف هذا الكتاب خشيةُ انطماس أصولِ الاباضية، بقلة انتشارها في الأمصار، وتقييدها في الأسطار، وخيفة الرغبة عنها في معقل الدعوة الأصلية، بأهواء الشافعية والحنفية، لشهرتها في الآفاق، وظهور أهلها الفساق؛ لأني رأيت بعض متفقهي زماننا هذا من أهل دعوتنا ونظرت في أثر الآخرين ممن ينتحل مذهبنا وشاهدت قوما ممن ينتمي لديننا زاغت بهم الأهواء عن قصد السلف الصالح في لحن القول مع الغفلة لبعضهم عن أصول دينهم واختيار مذهبهم بلا خلاف قاصدا يوجب الوقوف عنهم، فلما خشيت هؤلاء وأمثالهم أن يزيغوا بما استخفوا به من الخلاف ويستميلوا به قلوب الضعاف، صرفت عناني إلى تصنيفه لترسخ الأصول في أماكنها، ويتعلق بها أهل دعوتها، ويرغب فيها من أكثر النظر فيها، وقد نظرت في بعض تصانيف أهل مذهبنا فإذا هو علم منشور، ولا تؤدي المسألة إلا معنى واحدًا غير شامل لأصول العلم، مفتقرا إلى النظر في جميع الكتب، فجعلت

كتابي هذا مختصرًا موجزًا، وفصلته أبوابا، وجعلت كلّ كتاب منه خصالا؛ ليسهل على المتعلم حفظه، ويقرب إليه فهمه، ويزيد العالم نباهة في قلبه وتقوية في علمه وبصيرة في دينه، وضمنته من جميع أصناف الفقه في الدين، وبدأت في أوله بذكر ما لا يسع جهله؛ فإنه معقل الدين ونصاب الفقه.

وهكذا يمضي في مقدمة كتابه، وعلى سبيل المثال أتى بباب من أبواب خصاله باب "ذكر بيان سنن الجمعة" قال أبو اسحاق: وسنن الحمعة تسعُ خصال، أحدهما: السواك والثاني: الغسل، والثالث: مسّ الطيب، والرابع: البخور، والخامس: الخطبة الثانية، والسادس: الاستماع حتى يبتدي الإمام الخطبة، وقد قيل ذلك واجب، والسابع: السكتة بين الخطبتين، والثامن: الأذان قبل الوقت في قول بعض أصحابنا، والتاسع: اللباس الحسن.

ونظَم كتابه هذا من المتأخرين العلامة نور الدين السالمي، سماه "مدارج الكمال نظم مختصر الخصال" وشرح بعضه وسماه "معارج الآمال" قال منه هذا تمام هذه المدارك فهيّأ الآمال للمعارج.

ثم رأيت في بعض الكتب أنه قتل سنة ٤٧٥ وعليه فالذي رثى العلامة محمد بن إبراهيم غيرُه، أو أنّ محمد بن إبراهيم غير صاحب بيان الشرع.

فصل

في أئمة الإباضية بليبيا وتونس والجزائر

فصل في أئمة الاباضية بليبيا وتونس والجزائر

قد ذكرتُ فيما سبق انتشار المذهب الاباضي في المغرب والمشرق وقيام دول لهم في كل ناحية يتمكنون من إقامة العدل فيها، فأول إمامة قامت لهم في طرابلس سنة واحد وثلاثين بعد المائة، إمامة الحارث وعبد الجبار، أحدهما إمام والآخر وزيره، قاما على عامل مروان بن محمد واستتب لهم الأمر، ثم وجدا قتيلين بعد معارك دارت بينهم وبين عبد الرحمن بن حبيب؛ إذ جاءهم بجيش من المغرب والبربر.

وفي عام أربعين وماية كانت إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح بن عبيد بن حرملة المعافري أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم الذي سبق ذكره أنه درس خمس سنوات هو وعبد الرحمن بن رستم ومن معهما، أرادوا الرجوع إلى المغرب والأخص القيروان من الجمهورية التونسية، وكان المذهب الاباضي قد انتشر انتشارًا كبيرًا، أمرهم أبو عبيدة أن يبايعوه إماما.

قال الشيخ علي يحي معمر من علماء ليبيا نقلا عن الأستاذ لوفيسكي: إن هذا المذهب قد جاء إلى تونس من طرابلس، وانتشر انتشارًا واسعًا في الشعوب البربرية بجهات جربة وجرجيس و ورغمه ومطماطة و نفراوة و الجريد.

قال: وكان سكان نفزاوة على المذهب الصفري وتحولوا إلى الاباضية في عهد الإمام عبد الوهاب، وبقي هذا المذهب هناك إلى القرن الحادي عشر للميلاد، حيث كان في بلدة فطناسة من نفراوة وحدها أحد عشر مسجدا اباضيا، وأما في الجريد فقد انتشرت الاباضية في زمن مبكر، وكان لها قوة عتيدة، خصوصا في أيام ازدهار مدينة درجين قرب نفطة، وكان سكان درجين يعدون وحدهم نحو

ثمانية عشر ألف فارس, وانتشرت الوَهْبِيةُ بين تزور والحامة. قال: وكان الاباضية يؤمون نفس المساجد التي يؤمها أهل السنة ويملون تعاليمهم ويناقشون تلاميذهم. قلت: واجتمعت تحت إمارته الجمهورية التونسية ثم بعث إليه المنصور جيشا يقوده محمد بن الأشعث الخزاعي في سبعين ألفا وقتل الامام وقتل عنده اثنا عشر ألفا وذلك في عام ١٤٤ كذا قال ياقوت في معجم البلدان.

ثم بويع بعده الامام أبي حاتم يعقوب بن حبيب مولى كنده المعروف بالمزوزي المنجيسي الهواري، بعدما قتل الإمام أبو الخطاب، وذلك في عام أربعة وخمسين بعد المائة، واستولى أيضا على ليبيا وتونس.

قال العلامة البرادي: "وقفت في بعض كتب أهل الخلاف على سيرته وأيامه، فمن أغرب ما رأيته فيها أن قال: اجتمع لأبي حاتم بأفريقية جيش لم يجتمع لخارجي قبله ولا بعده".

عدد عسكره ثلاثمائة ألف وخمسون ألفا، منها خمسة وثمانون ألف عنان، والباقي رجال، ولاقوا طوالع ثلاثمائة وخمسة وسبعين لقيه ومات في الأخيرة منها، والعسكر الذي قتل أبا حاتم مزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة.

وذكر بعضا من سيرته ابن الأثير في الجزء الخامس لكن قال: "كانت ولايته عام واحد وخمسين، وقتل عام خمسة وخمسين في ربيع الأول، وذلك في خلافة أبي جعفر المنصور، وكانت عاصمة هؤلاء الأئمة المذكورين طرابلس".

ثم بويع بعده للإمام عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سام بن كسرى، وهو أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم الذي سبق ذكره في حملة العلم إلى المغرب، وكان

قيامه مع أمه بالقيروان، قدم به أبوه حاجا من فارس فتوفى بمكة، وتزوجها رجل مغربي من أهل القيروان فحمل الولد معه ثم عاد الى البصرة مع رجال من المغاربة إلى طلب العلم فاستقر بها في رحاب أبي عبيدة خمس سنوات، ثم خرج وقام بدولة الإمام أبي الخطاب وتولى له القيروان كما ذكر ابن الأثير وابن خلدون وابن الصغير وغيرهم من المورخين، ولما قتل أبو الخطاب خرج عبد الرحمن مع رجال الأباضية إلى الجزائر وبويع له بالإمامة عام مائة وستين، وقيل اثنين وستين ومائة.

قال ابن الصغير، المؤرخ المالكي: "ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا: يا عبد الرحمن رضيك الإمام أبو الخطاب في ابتدآئنا ونحن آلان نرضى بك ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا بإمام نلجأ إليه في أمورنا ونحكم عنده فيما ينوب من أسبابنا، فقال لهم: إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه على الطاعة فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم، فأعطوه عهد الله ميثاقه على ذلك، وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم، وقدموه على أنفسهم، وألقوا اليه بأيديهم".

قال ابن خلدون: "فسار فيهم سيرة جميلة، حمدها أولهم وآخرهم، ولم ينقموا عليه في أحكامه حكما، ولا في سيره سيرة، وسارت بذلك الركبان إلى كل البلدان، وكانت له قصص حكوها عنه، لا يمكن ذكرها إلا على وجهها، وأن أتحرى فيها الصدق ولا أحرفها عن معناها ولا أزيد فيها ولا أنقص منهم؛ إذ النقص في الخبر والزيادة فيه ليس من شيم ذوي المروءات ولا من أخلاق ذوى الديانات، وإن كنَّا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين".

قال: "ولما ولى عبد الرحمن وما ولى من أمور الناس، شَمّر مئزره، وأحسن سيرته، وجلس في مسجده للأرملة والضعيف، لا يخاف في الله لومة لائم، وطار صيته في أطراف الأرض شرقا وغربا، حتى اتصل ذلك بإخوانه أهل البصرة وغيرها من بلد الشرق". انتهى كلام ابن خلدون.

ولبث في الأمامة حوالي أحد عشر سنة، وجعل الأمر شورى بعده بين سبعة من رجال العلم والصلاح، اقتداء بعمر بن الخطاب، وهم: ولده عبد الوهاب، ومسعود الأندلسي، وأبو قدامة يزيد بن فندين اليفرني، وعمران بن مروان الأندلسي، وأبو الموفق سعدوس بن عطية، وشكر بن صالح الكتامي، ومصعب بن سدمان. فاتفق رأيُ الجميع على تقديم ابنه عبد الوهاب.

قال ابن خلدون: "فلم تزل أموره كذلك وعلى ذلك، والكلمة واحدة، والدعوة مجتمعة، ولا خارج يخرج عنه، ولا طاعن يطعن عليه، إلى أن اخترمته منيته وانقضت أيام مدته، وكنت قد وقفت على عدد إمارته كم كانت، ولكن نسيتها مع مرور الأيام، وكان قد نشأ في أيامه ولد يعرف بعبد الوهاب، وكان محمود الأفعال، وكان قد رشحه للقيام بعده، فلما انقضت أيامه صيرت الاباضية إليه الأمر بعده".

وقال ياقوت في معجم البلدان عند ذكر تاهرت: "وملك بنو رستم تاهرت مائة وثلاثين سنة". قال: "وكان عبد الرحمن خليفة لأبي الخطاب عبد الأعلى". قال: "ولما قُتل هرب عبد الرحمن بأهله وما خفَّ من ماله، وترك القيروان، فاجتمعت إليه الأباضية واتفقوا على تقديمه وبنيان مدينة تجمعهم، فنزلوا موضع تاهرت اليوم، وهي غيضة أشبة، ونزل عبد الرحمن منه موضعا مربعا لا شعراء

فيه، فقالت البربر: نزل تاهرت ومعناه الدف لتربيعه. وأدركتهم صلاة الجمعة فصلى بهم هناك، فلما فرغ من الصلاة ثارت صيحة شديدة على أسد ظهر في الشعراء، فأخذ حيا وأتي به إلى الموضع الذي صلى وقتل فيه، فقال عبد الرحمن بن رستم: هذا بلد لا يفارقه سفك دم ولا حرب أبدا، وابتدأوا من تلك الساعة وبنوا في ذلك الموضع مسجدا، وقطعوا خشبة من تلك الشعرا، وهو على ذلك إلى الآن، وهو مسجد جامعها، وكان موضع تاهرت ملكا لقوم مستضعفين من مراسة وصنهاجة، فأرادهم عبد الرحمن على البيع فأبوا فوافقهم على أن يؤدوا الخراج إليهم من الأسواق، ويبيحوا لهم أن يبنوا المساكن، فاختطوا وبنوا، وسمو الموضع معسكر عبد الرحمن إلى اليوم" انتهى كلام ياقوت.

واستمر الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن في الإمامة، ولاقى حروبا داخلية، ومع هذا لم تثنه عن قيامه بالواجبات، حتى توفي بعد أربعين سنة من إمامته. وقال المورخ المراكشي المالكي: "إن إمامته كانت عشرين سنة" قال ابن الصغير: "وكان لعبد الوهاب كتاب يعرف بمسائل نفوسة الجبل، كتبت إليه في مسائل أشكلت عليها، فأجابها عن كل مسئلة مما سألت عنه، وكان هذا الكتاب في أيدي الاباضية مشهورا عندهم معلوما يتداولونه قرنا عن قرن إلى ان لحق الفضل فأخذته مع بعض الرستمين فدرسته ووقفت عليه" انتهى.

واجتمع أهل الحل والعقد من العلماء بعد وفاة الإمام عبد الوهاب عام تسعين ومائة على تقديم ابنه أفلح بن عبد الوهاب إماما لهم، فبايعوه فملك ما بين الجزاير إلى ليبيا وبعض المناطق خارجة عن حكمهم.

قال ابن الصغير المالكي: "فلما ولي أفلح أخذ بالعزم والحزم، ونشأ له من البنين ما لم يكن لغيره ممن قبله، وصار له الصيت، وأتته نفوسة يسألونه أن يقدم عليهم من يتولى أمرهم، ولم تكن الشراة تطعن عليه في شيء من أحكامه ولا في صدقاته ولا في أعشاره... إلى أن قال: وكان قد عمّر في إمارته ما لم يعمّره أحد ممكن كان قبله، أقام خمسين عاما أميرا حتى نشأ له البنون وبنو البنين وشمخ في ملكه وابتنى القصور واتخذ أبوابا من الحديد، وبنى الجفان وأطعم فيها أيام المجاعة الجيعان، وعمرت معه الدنيا، وكثرت الأموال والمستغلات، وأتته الوفود والرفاق من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات، وتنافس الناس في البنيان حتى ابتنى الناس القصور والضياع خارج المدينة، وأجروا الأنهار... إلى أن قال: وكانت نفوسه تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق". وكانت مدة خلافته خمسين سنة على قول ابن الصغير.

وقال الشيخ أبو زكريا: "مكث في إمامته ستين سنة، وتوفي سنة أربعين ومائتين، واجتمع أهل الحل والعقد على تقديم ابنه أبي بكر بن أفلح.

قال ابن الصغير: "فلمّا مات أفلح بن عبد الوهاب قدّم الناس أبا بكر ابنه، وأخبرني غير واحد قال: كان عبد العزيز الاوز ينادي بأعلى صوته: الله سائلكم معاشرَ نفوسة إذا مات واحدٌ جعلتم مكانه آخر، ولم تجعلوا الأمر للمسلمين وتردوه إليهم ليختاروا من هو أتقى وأرضى.. قلا يلتفتون إلى كلامه ولا يشتغلون بمقالاته، فلما ولي أبو بكر لم يكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من آبائه، ولكن كان سمحًا جوادًا، لين العريكة، يسامح أهل المروءات

ويشايعهم على مروءاتهم، ويحب الأدب والأشعار وأخبار الماضين، وكان بالبلد رجل يعرف بمحمد بن عرفة، وكان وسيما قسيما جميلا جوادا سمحا، وكان قد وفد على ملك السودان ملك صوصو بهدية من قبل أفلح بن عبد الوهاب، فعجب ملك السودان مما رآه من هيبته وجماله وفروسيته إذا ركب الخيل بين يديه، وقال له كلمة بالسودانية ليست تعبر بالبربرية؛ لأن مخرج كلاهما إنما هو فيما بين القاف والكاف والجيم، إلا أن معناها أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال". انتهى كلام بن الصغير.

وضعفت حالة هذا الإمام، واجتمع أهل الحل والعقد على تولية أخيه أبي اليقظان بن أفلح، وعزل أخيه عن الأمر، وذلك بعد سنتين، فاعتدلت به الأمور واستقامت بهمته الأحوال، وقد كان معتقلا في بغداد؛ إذ خرج حاجًّا في حياة والده، وأمسكه بنو العباس وعاد بعد موت أبيه. قال ابن الصغير: "وكان معه بعض الأموال التي جاء بها من بغداد والمدينة، بها رجال هواهم وقلوبهم عند أبي اليقظان، فخرجوا إليه فصارت الدعوة والإمامة كلها لأبي اليقظان، وأتته الاباضية من كل الأقطار، وبقي بالمدينة أمم ممن هم لا يوالون أبا اليقظان ولا يرون من رأيه". قال: "وحمل أبو اليقظان الناس على الخيل ودعي له بالإمارة والإمامة، وألغي ذكر أبي بكر". قال: "ثم أمر قومًا من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قالوا: فإن رأوا قصابا نفخ في شاة عاقبوه، وإن رأوا دابة حمل عليها فوق طاقتها أنزلوا حملها وأمروا صاحبها بالتخفيف عنها، وإن رأوا قذرًا في الطريق أمروا من حول الموضع أن يكنسه، ولا يمنعون أحدًا من صلاته في مساجدهم، ولا يكفونه عن حاله، ولو رأوه رافعًا

يديه في صلاته، خلا المسجد الجامع، فإنهم إذا رأوا فيه رافعًا يديه منعوه وزجروه". قال: "وكان أبو اليقظان عاش من السنين مائة أو نحوها، و كان عمره في إمارته نحوا من أربعين سنة، ولحقت أنا بعض إمارته وأيامه، ورأيته وحضرت مجلسه وقد جلس للناس خارج المسجد الجامع مما يلي الجدار الغربي منه، ورأيته يومًا ثانيًا في مصلى الجنائز وقد رميت له وسادة من أديم وجلس عليها ينتظر فراغ دفن رجل مات من وجوه الناس، ربع القامة، أبيض الرأس واللحية، وكان إذا جلس للناس وأمرهم بالجلوس لم ينطق أحد بين يديه إلا أن تكون ظلامة ترفع إليه، زاهدًا سكينا، ورعًا ناسكًا، وكان إذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من أديم مستقبلا الباب البحري، وله سارية تعرف به يجلس إليها، ولم يكن غيره يجلس إليها، وكان يقابله نصب عينيه رجل من نفوسه يعرف بعيسى بن فناس، وكان عندهم من الورع بمكان، ويلي عيسى رجل من هوارة يقال له ابن العقير، لسانهم في الفقه، ولم يكن في ورع عيسى. وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس، وكان أخص الناس به رجل من العرب يسمى بمحمود بن بكر. وكان مَدَرَهم الذي يذب عن بيضتهم، ويدافع عن دينهم، ويرد على الفرق مقالاتهم، ويؤلف الكتب على مخالفيهم، رجل يقال له عبدالله بن اللمطي" انتهى كلام ابن الصغير.

وكان في زمانهم المعتزلة، وجرت بينهم مناظرات ومقاتلات ومصاهرات، حكى ابن الصغير قال: "اجتمعت الاباضية والمعتزلة بنهر مينه لموعد جعلوه فيما بينهم للمناظرة، وكان كثير من هوارة ممن حضر المجلس يتسمى بعبد الله بكسر الدال، فأجابه رجل ثان فقال: لست أريد، قال عبد الله: وقد علمت أنه إياي

يريد فكرهت أن أجيبه خوفًا من سؤاله، فقال: عبد الله بن اللمطي أريد، فقلت: لبيك، فقال لي: هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه إلى مكان أنت فيه؟ فقلت: لا، فقال: وهل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه إلى مكان لست فيه؟ فقلت: إذا شئت فعلت، فقال: خرجت منها يا عبد الله. قال: وكانت نفوسة الجبل مفتونة بأبي اليقظان، وكان أكثرهم لا يحج إلا باستئذانه، وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ الإذن منه، وكان إذا ضرب سرادقه وأتته وفودهم لا ينامون الليل حول فساطيطة، شأنهم التهليل والتكبير من أول الليل حتى إلى الفجر، فإذا صلوا الفجر معه ضربوا بأنفسهم الأرض فناموا.. إلى أن قال ابن الصغير: فمات أبو اليقظان، فكل شيء وجد من العين في تركته سبعة عشر دينارًا. قال: وكانت لأبي اليقظان في إمارته وقايع صارت تاريخًا لموالد الناس".

وتوفي رضي الله عنه عام واحد وثمانين بعد المائتين، وكانت إمامته أربعين سنة.

وبويع بعده لابنه أبي حاتم يوسف بن محمد بن أفلح، الابن الخامس إمامة وبنوةً من الرستميين، والثامن من الأئمة المغربيين الاباضيين.

قال ابن الصغير: "فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم على مسيرة يومين من المدينة أو أكثر، فلما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره فبايعوه، فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر، فاصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله، وحملوه على الأيدي والأعناق حتى أوصلوه إلى داره، ثم أرسلوا إلى القبايل فبايعوه".

واستمروا على سيرة محمودة لم يتبين من أحد له خلاف حوالي سنة، ثم دبَّ داء الخلاف بينه وبين عمه يعقوب بن أفلح، وصار بينهم قتالٌ حتى قُتل رضي الله عنه وأرضاه سنة أربعة وتسعين ومايتين، بعد أربعة عشر عامًا من يوم ولايته، وبموته انقرضت إمامة الرستميين، وبقي نسلهم إلى اليوم، فهم الآن في الجزائر، ولا يكاد تمضي فترة إلا وفيها عالم أو صالح من سلالتهم؛ ففي وارجلان اجتمعت ببعض الصالحين منهم، وكذلك في بنورة من الواحات، وكان لنفوسه اليد الطولى في أئمة الرستميين والتاريخ المجيد علمًا وعملًا وشجاعة.

قال ياقوت في معجم البلدان: "نَفُوسة، بالفتح ثم الضم والسكون وسين مهملة، جبال في المغرب بعد افريقية عالية نحو ثلاثة أميال في أقل من ذلك وفيها منبران في مدينتين، إحداهما (شروس) في وسط الجبل وفيها خبز الشعير ألذ من كل طعام، والأخرى يقال (جادو) من ناحية (نفزاوة)، وجميع أهل هذه الجبال شُراةٌ وَهْبيةٌ وَأباضيةٌ، متمردون عن طاعة السلاطين، وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام، وبينه وبين القيروان ستة أيام، وبها قبيلة يقال لهم (بنو زمور) لهم حصن يقال له (تيرفت) في غاية المنعة، لا يقدر عليه أحد، وفيه نحو ثلاثمائة قرية وعدة مدن، ليس فيها منبر؛ لأنهم لم يتفقوا على رجل يأتمون به، وفي جبلهم نخلٌ كثير، وزيتون وفواكه، ويجتمع مما حوله من القبايل إذا تداعوا ستة عشر ألف رجل، وافتتح عمرو بن العاص نفوسه، وكانوا نصارى، ومن جبل نفوسة رجع عمرو بن العاص بكتاب ورد عليه من عمر بن الخطاب رضي الله عنه".

قلت: وقوله "ليس فيها منبر لأنهم لم يتفقوا على رجل يأتمون به" ليس الأمر كذلك، ولكن عندهم أن الجمعة تجب بلاخلاف في الأمصار التي مصَّرها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ولم تكن نفوسة منها، ومن جهة أخرى فمن شرط الجمعة الإمام العادل، وفي وقت ياقوت لم يكن عندهم إمام ولا سلطان يقيمها، وياقوت هذا من علماء القرن السابع.

ولم يزل فحول العلماء يخرجون من هذا الجبل، ولم تأليفات مفيدة ومعتمد عليها في جميع أنحاء المذهب الأباضي، كتأليفات وفتاوى الشيخ عمروس بن فتح، من علماء القرن الثالث، وكتفسير الشيخ هود بن محكم الهواري.

ويروى أنه قتل من علماء نفوسة في وقعة واحدة أربعمائة عالم في خلافة المعتضد العباسي، وأسر ثمانون عالما، وذلك عام مائتين ونيف وثمانين، وفي ذلك الوقت قُتل من عُلماء عُمان مثل هذا العدد، وقد ذكر الشيخ أبو العباس الشماخي من علماء نفوسة في القرن العاشر في كتاب السِّيَر عددًا كبيرًا من علماء المغرب والمشرق، فمن أراد الاطلاع فعليه به.

وأجل علماء نفوسة المتأخرين على الإطلاق وأشهرهم في الآفاق، العالمان الجيلان: عامر بن علي الشماخي صاحب كتاب (الإيضاح) الذي طبع مرتين، والشيخ الزاهد إسماعيل بن موسى الجيطالي صاحب كتاب (القناطر) وكتاب (القواعد) وغيرها من المؤلفات، ولهما تراجم مشهورة، ولم يزل فيها علماء مجتهدون إلى زماننا هذا، كالعلامة المؤرخ علي بن يحي معمر، والشيخ عمرو النامي، وكثير من الأخيار، اجتمعت ببعضهم في زماني هذا، ومنهم الشيخ سليمان الباروني أكبر مجاهد في تحرير ليبيا، وأبوه عبد الله.

ومن علماء الجمهورية التونسية ومن جربة خاصة الشيخ أبو خزر المؤلف والشيخ أبو نوح وهما من أجلاء العلماء القدامى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المؤلف، وأبوحفص عمرو بن جميع، والعلامة البرادي صاحب الجواهر، وأبو سليمان الثلاثي، وأبو ستة، والسيدويكشي، وكلهم علماء مشهورون مؤلفون، لاسيما أصحاب الديوان الكتاب المعتمد عليه في المذهب الاباضي.

وإلى زماننا هذا فيها علماء أجلة اجتمعت بعم، كالشيخ سالم بن يعقوب، والشيخ الهادي، وسلالة الشيخ الباروني وغيرهم من الصالحين. ولجربة تاريخ مجيد في الجهاد ودفع الإفرنج عن الجمهورية التونسية، وذلك في القرن الثامن، وقتل فيها عدد كبير من الإفرنج حتى اتخذ من رءوسهم برج معروف مكانه إلى اليوم، ورغم الافرنج وبعض المؤرخين الجاهلين بها وبأهلها أنها قرصنة، وينسى الإفرنج أعمالهم القبيحة ولا يعدونها قرصنة.

ومن علما الإباضية في الجزائر -وتاهرت كانت عاصمتهم كما ذكرنا- من المؤلفين الشيخ الجليل أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم، صاحب المؤلفات العديدة والكرامات المشهورة، ومن تأليفاته كتاب (العدل والإنصاف) وكتاب (الدليل والبرهان) وترتيبه لمسند الربيع بن حبيب، وهو من علماء القرن الخامس، ومقامه وارجلان، وهنالك عدد كبير من العلماء والفضلاء في كل وقت وإلى يومنا هذا، ومن علمائها الشيخ أحمد بن محمد بن بكر مؤلف كتاب (أبي مسئلة) ومؤسس بلدة العطف من وادي ميزاب، ثم انتقل الاباضية من شمال الجزائر وأسسوا بلدانا وقرى عديدة قريبة من العطف، ولا يزال العلماء والأخيار بها إلى يومنا هذا، وفيهم المؤلفون المشهورون كالشيخ عبد العزيز الثميني صاحب كتاب (النيل)

والشيخ القطب فخر المتأخرين الذي ألَّف في كلٍّ فن من الفنون، ولا سيما (شرح النيل) و(وفاء الضمانة) و(جامع الشمل) في الحديث، وفي التفسير فسر القرآن ثلاث مرات، واليوم هنالك من تفخر بوجودهم الجمهورية الجزائرية كالشيخ بيوض، والشيخ ناصر بن محمد المرموري، والشيخ عدون، والشيخ المهدي، والشيخ يوسف بابانوح، والشيخ عبدالرحمن بكلي المحشي على النيل، والشيخ دبوز المؤرخ، وعدد من الأخيار في غرداية وبنورة والعطف وبني يسجن وبريان والقرارة ومليكة.

فصل

في أئمة الإباضية في عمـــان

فصل في أئمة الأباضية في عمان

وأول إمام بويع له في عمان الإمام الجلندي ابن مسعود بن جيفر بن جلندي وهو أحد بني الجلندى المستكبر بن مسعود ابن الجرار بن عز بن معولة بن شمس ملوك عمان بعد أولاد مالك بن فهم، وكان الجلندى في جيش الإمام طالب الحق، فلما قُتل جاء إلى عمان فبايعوه فيها، وكان في زمانه حاجب والربيع بن حبيب في البصرة، وكان أبو عبيدة مسلم غير موجود في ذلك الوقت، وقد حضر البيعة حملة العلم الأربعة، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقتل سنة أربع وثلاثين ومائة، كذا قال ابن الأثير، وكانت إمامته سنتين وشهرا، وتوفي في زمانه خلف بن زياد البحراني، وبقي في منزلة إمام بعده شبيب بن عطية الأباضي العماني، ومحمد بن أبي عفان، وفي زمانهما بعض جور وقتل، حتى اجتمع المسلمون على تقديم الإمام الوارث بن كعب الخروصي، وهو أول إمام من بني خروص، وهم من اليحمد، وذلك في سنة تسع وسبعين بعد المائة، وكان القائم بإمامته والبيعة له موسى بن أبي جابر الأزكوي، أحد حملة العالم إلى عمان، ونص بيعتهم له: بايعوه على ما بويع عليه أئمة العدل، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشراء في سبيل الله، وإظهار الحق، وإخماد الباطل، والجهاد في سبيل الله، وقتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت عن الحق حتى تفيء إلى أمر الله، لا يستحلون منهم غنيمة مال ولاسبي عيال، ولا انتحال هجرة بعد النبي ﷺ ولا يسمون بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين.

وبعد سنتين توفى موسى عن عمر يبلغ أربعا وتسعين سنة، وتوفي الإمام غريقًا سنة اثنتين وتسعين ومائة، وكانت إمامته ثلاث عشرة سنة رضي الله عنه وأرضاه، وبيعته وموته بنزوى.

ثم بويع للإمام غسان بن عبد الله اليحمدي من الفحج، بويع له في اليوم الذي مات فيه الإمام الوارث من عام اثنتين وتسعين ومائه، وكان على رأس العلماء الذين تولوا بيعته العلامة سليمان بن عثمان والعلامة مسعدة بن تميم، وكانت بيعته بنزوى، وبعد تسع سنوات زار صحار، وفي زمانه خصبت عمان وصارت خير دار، وتوفى سنة سبع ومائتين، وكانت إمامته حوالي ست عشرة سنة.

وبويع بعده للإمام عبد الملك بن حميد، وهو من بني علي بن سودة بن علي بن عمرو بن عامر ماء السماء الإزدي، وكانت بيعته بعد موت الإمام غسان بيوم، وكان على رأس العلماء يومئذ موسى بن علي بن الحصين العنبري ابن ابنة موسى بن أبي جابر، وتوفي الإمام سنة ست وعشرين ومايتين، وكانت بيعته وموته بنزوى.

ثم بويع للامام مهنا بن جيفر، وهو من اليحمد، بويع له في اليوم الذي مات فيه عبد الملك بنزوى، وعلى رأس العلماء يومئذ موسى بن علي المذكور، وفي زمانه توفي موسى بن علي رضي الله عنه لثمان ليال خلون من ربيع الأول سنة ثلاثين ومائتين.

وبويع للإمام الصلت بن مالك في اليوم الذي مات فيه المهنا، وكان على رأس العلماء بشير بن المنذر، أحد حملة العلم إلى عمان، ومحمد بن محبوب بن

الرحيل القرشي، ولم يزل محمد له قاضيًا ومعاضدا حتى توفي بصحار يوم الجمعة لثلاث خلون من شهر محرم سنة ستين ومائتين، وعمر الصلت إمامته طويلا. واشتهر في زمانه علماء أجلة ،كهاشم بن غيلان، وعزان بن الصقر الذي توفي في عصره سنة ثمان وستين ومائتين بصحار، ومسكنه في نزوى. وفي زمانه أبو الموثر الصلت بن خميس الخروصي، وأبو جابر محمد بن جعفر صاحب الجامع المشهور.

وقام عليه موسى بن موسى بن علي يطلب عزله، وخرج من دار الإمامة إلى بيته بدون عزل، وقدم موسى عليه راشد بن النظر، وذلك في سنة اثنتين وسبعين ومائتين، وكانت إمامة الصلت خمسا وثلاثين سنة وسبعة أشهر وثمانية عشر يوما، وتوفي بعد ثلاث سنوات، ودفن بنزوى، وصلى عليه عزان بن تميم قبل أن يكون عزان إمامًا، ووقع اضطراب كثير وانشقاق عريض أدى الى انقسام أهل عمان نزوانية ورستاقية.

وبويع في حياته لراشد بن النظر، وهو من اليحمد، سنة اثنتين وسبعين ومائتين، وفي زمانه الشاعر المشهور أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي.

وبعد مضي أربع سنوات من بيعة راشد اقتضى نظر المبايعين له عزله وتقديم عزان بن تميم الخروصي، وذلك سنة سبع وسبعين ومائتين، وكان على رأس المبايعين له من العلماء موسى بن موسى، وبقيت الأمور في اضطراب شديد حتى خرج بعض رؤساء العمانيين إلى بغداد يستنجدون بالمعتضد العباسي، فأرسل معهم جيشًا انضم إليه عدد كبير من العمانيين فاحتلوا نزوى وغيرها من البلدان المهمة، واتبعوا أثر الإمام وكان بسمد الشان، فصارت وقعة أسفرت عن

قتل الإمام وعدد كبير من العمانيين، ومن بينهم أربعمائة عالم، وكان هذا سنة ثمانين ومائتين، ومع هذا كله لم تخل عمان من علماء أخيار صالحين كالشيخ أبي الحوارى القرى الضرير، والشيخ أبي جابر صاحب الجامع. ويروى أن لهم إمامًا سنة اثنتين وثمانين اسمه محمد بن الحسن الخروصي، وفي رواية أنهم بايعوا في هذه الفترة ما لا يقل عن ثمانية أئمة، وفي ذلك العصر الشيخ أبو مالك الخضر بن سليمان شيخ أبي محمد، والشيخ أبو روح بن عربي شيخ أبي سعيد الكدمي حتى أمدهم لله بالإمام العادل سعيد بن عبد الله ابن محبوب، وكانت بيعته سنة عشرين وثلثمائة، وكان على رأس العلماء يومئذ أبو محمد الحواري بن عثمان، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن أبي المؤثر، ومحمد بن زايده السمايلي، وكان على سجنه الإمام الكدمي أبو سعيد المؤلف المشهور وقتل شهيدا بعد ثماني سنوات من إمامته، وبويع للإمام راشد بن الوليد الكندي، وكان على رأس العلماء المبايعين له أبو محمد عبد الله بن محمد بن أبي المؤثر الخروصي، ولبث في إمامته حوالي أربع عشرة سنة، وصارت عمان بأيدي الجبابرة فاعتزل الإمام دار الخلافة إلى منزله حتى توفاه الله والعلماء موجودون، ولم تنقطع الدعوة، وربما يقدمون إمامًا ويعاجل بالقتل، ومن جهة أخرى فنفس اختلاف العمانيين يرهقهم الشتات والتفرق حتى بويع للإمام الخليل بن شاذان بن صلت بن مالك سنة سبع وأربعمائة، وكان في زمانه من العلماء محمد بن المفدى الكندي، والحسن بن أحمد شيخ صاحب كتاب بيان الشرع، وفي زمانه وزمان الإمام راشد ين سعيد زار عمان الإمام الشاري إبراهيم بن قيس الحضرمي، وله أشعار ذكرنا بعضها في ترجمته، وتوفي في أوائل سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

ثم بويع بعده للإمام راشد بن سعيد، وهو من اليحمد، بويع له بعد موت الخليل، وبقي في الإمامة إلى سنة خمس وأربعين وأربعمائة، وله أشعار حماسية منها:

متى يكسب المعروف من كان همه غداء يغدى أو كعوب تراقبه

وفي زمانه أبو الحسن البسياني وأبو محمد بن بركة وأبو سعيد الكدمي والحسن بن سعيد بن قريش، وبويع بعده لولده حفص بن راشد، وبويع بعده للإمام راشد بن علي سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، وفي زمانه الحسن بن أحمد الهجاري ومحمد ابن عيسى السري ونجاد بن موسى، وتوفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وبويع بعده للإمام محمد بن أبي غسان ولأبي المعالي وغيرهما من الأئمة الكثيرة مع اضطراب الأحوال وافتراق الكلمة النزوانية الرستاقية، وفي هذا الزمان الشيخ أحمد بن عبد الله صاحب كتاب (المصنف) والمشايخ أولاد محمد بن صالح وذراريهم العلماء وأبناء العلماء وآباء العلماء.

وفي مدة قرنين تقريبًا اختفى صوت الإمامة في عمان، وتولى الأمر ملوك النباهنة، وقتلوا كثيرًا ودمّروا كثيرًا، ومن ضحاياهم العلامة الجليل أحمد بن النظر الشاعر العالم صاحب كتاب (الدعايم) و(سلك الجمان في سيرة أهل عمان) وهو من سلالة العالم الكبير الخضر بن سليمان. وفي هذا الزمان مرَّ الرحالة المشهور بعمان ابن بطوطة.

وفي سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بويع للإمام الحواري أبي مالك، وفي زمانه العلامة سليمان بن أحمد مفرج البهلوي، ولبث في الإمامة حوالي ثلاثاً وعشرين سنة، ثم بويع بعده للإمام أبي الحسن بن خميس بن عامر سنة تسع وثلاثين

وثمانمائة، وبقي في إمامته سبع سنين وشهرين، وفي زمانه العلامة ورد بن أحمد بن مفرج البهلوي المتوفي سنة أربع وسبعين وثمانماية.

ثم بايعوا عمر بن الخطاب بن محمد بن أحمد بن شاذان بن صلت بن مالك، وذلك في سنة خمس وثمانين وثمانماية، وقضى بتغريق أموال الجبابرة بنى نبهان، واستعمل فيه المحاماة، فترك وكيلا يدافع عن الظالمين، ووكيلا يدافع عن المظلومين، وحاكمًا يحكم بينهم. وفي زمانه من العلماء سعيد بن زياد بن أحمد بن راشد البهلوي، وأبو عبد الله محمد بن سليمان بن أحمد بن مفرج بن محمد بن عمر بن أحمد بن مفرج، وأحمد بن صالح بن محمد بن عمر، وكلهم علماء أقطاب فحول كملة، ومنهم علي بن عبد الباقي، وكانت إمامته تسع سنين، ودفن بنزوى. ثم بايعوا لأبي الحسن بن عبد السلام.

وفي زمان هؤلاء الأئمة ملوك بني نبهان الذين صار بينهم قتال، حتى استتب الأمر للإمام محمد بن اسماعيل بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل الحاضري، وهو رجل من قضاعة، ويتصل نسبه بالنبي هود عليه السلام، وكانت بيعته سنة ست وتسعمائة، ولبث في إمامته ستا وثلاثين سنة، وتوفي رضي الله عنه سنة اثنتين وأربعين، وفي زمانه من العلماء عبد الباقي بن عمر، ومحمد بن سليمان بن محمد بن عمر، وأبو القاسم بن شايق بن عمر، وأبو القاسم محمد بن سليمان، وسعيد ابن زياد، ومداد بن عبد الله بن مداد، وعدد كبير من فحول العلماء.

ثم بويع من بعده لولده بركات بن محمد بن إسماعيل في اليوم الذي مات فيه أبوه، وكان على رأس العلماء المبايعين عبد الله بن عمر بن زياد الشقصي، ومحمد بن أحمد بن غسان.

وصار بين الإمام وبعض ملوك النباهنة ورؤساء القبائل بعض التنافس، وتوفي الإمام وأهلُ عمان في صراع شديد، حتى أدرك الله الأمة بالدولة اليعربية فجاء الإمام ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب من ولد نصر بن زهران فجمع شملها وداوى جراحها وأصلح شأنها وزالت بسببها النزوانية والرستاقية، وأصبحت مسلمة فطرية محمدية ذات أسطول عالمي، هزم البرتغال وطهر الخليج من الجنوب إلى الشمال وأعادت لعمان الشرف الباذخ والمجد الشامخ، فقد بويع الإمام ناصر سنة أربع وعشرين بعد الألف، وكان على رأس العلماء الشيخ خيس بن سعيد الشقصي الرستاقي مؤلف منهج الطالبين في واحد وعشرين جزءا، وفيهم من العلماء الشيخ مسعود بن رمضان النبهاني النزوي وصالح بن سعيد الزاملي العقري، وكان عدد العلماء الحاضرين أكثر من أربعين عالما، وذلك في بلد الرستاق. وتوفي سنة خمسين بعد الألف.

ثم بويع بعده للإمام سلطان بن سيف بن مالك ابن عمه في اليوم الذي مات فيه الإمام، فغزا الهند واستمر في نضاله ضد البرتغال وتقوية الأساطيل وتعمير البلاد وتأمينها. ولبث في إمامته حوالي إحدى وأربعين سنة، وكان في زمانه عدد كبير من العلماء، منهم الشيخ درويش بن جمعه المحروقي المؤلف، والشيخ خلف بن سنان الغافري.

ثم بويع بعده لابنه بلعرب بن سلطان في اليوم الذي مات فيه أبوه من عام واحد وتسعين بعد الألف، وكان على رأس العلماء في ذلك الوقت محمد بن عبد الله

بن عبيدان، وفي زمانه الشاعر المشهور راشد بن خميس بن جمعه الحبسي. ومات الإمام سنة أربع ومائة بعد الألف، ودفن بقصره الذي بناه.

ثم بويع لأخيه سيف بن سلطان قيد الأرض، واستمر في جهاده واحتل شرق أفريقيا متابعة لجهاد سلفه. وتوفي سنة ثلاث وعشرين بعد المائة بالرستاق، وكان في زمانه عدد كبير من العلماء كالعلامة الجليل سعيد بن بشير الصبحي وناصر بن خميس الحمراشدى وخلف بن سنان الغافري وعدي بن سليمان الذهلي وناصر بن سليمان بن مداد.

ثم بويع بعده لابنه سلطان بن سيف سنة ثلاث وعشرين ومائة بعد الألف، وبنى حصن الحزم، ويقال إنه اقترض من وكيل أموال المساجد والأوقاف خسمائة فراسلة فضة (والفراسلة عشرة أمنان، والمن أربعة وعشرون كياسا، والكياس سبعة مثاقيل، والمثقال وزن ثلاثة قراريط، والقيراط تسعون حبة شعير متوسط) وكان في زمانه من العلماء الذين ذكرناهم سابقا وزيادة. وتوفي سنة إحدى وثلاثين ومائة، وبموته انتفض الشر في عمان وكثرت الفوضى والفتن، فقد بويع بعده للإمام مهنا بن سلطان بن ماجد بن مبارك بن بلعرب في ذلك العام ولم يبق في إمامته أكثر من ثلاث سنوات فخذل وقتل.

وبويع بعده للإمام يعرب بن بلعرب بن سلطان بن سيف في ذلك العام، وقامت الحروب بين القبايل، وحرقت عدة مكاتب، وقتل عدد كبير من رجال

العلم والإصلاح، واعتزل الإمامة، وقدموا بالرغم سيف بن سلطان، وكان صغيراً إلا أن محمد بن ناصر الغافري أخذ البيعة، وهنا انقسم أهل عمان إلى غافري وهناوي، فالغافرية اتباع محمد بن ناصر، والهناوية أتباع خلف بن مبارك الهنائي، وبقيت حزازات في قلوب القبايل العمانية يتقاتلون باسمها، وأدخلوا العجم في البلاد فعاثوا في الأرض الفساد، حتى أغاث الله البلاد بالإمام أحمد بن سعيد بن أحمد بن محمد البوسعيدي، بويع له سنة سبع وستين ومائة بعد الألف، وبه انقرضت دولة اليعاربة بعد صراع دام بينهم حوالي أربعين سنة، وكان في ذلك الوقت من العلماء العلامة الصبحي المذكور الذي توفي قبل دخول العجم إلى عمان، والعلامة حبيب بن سالم امبوسعيد النزوي والشيخ سعيد بن أحمد الكندي، وكانت أيامه أيام راحة واستراحة. وتوفي بعد تسع وعشرين سنة من إمامته، وبقيت عمان حوالي تسعين سنة لم يكن بها إمام متفق عليه، ولكن العلماء الأخيار فيها كثر كالشيخ العلامة الرباني جاعد بن خميس بن مبارك الخروصي صاحب التأليفات العديدة والأسرار المنيرة والكرامات الشهيرة والفتاوى النيرة، وتوفي سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، وابنه العلامة ناصر بن أبي نبهان، وتوفي بزنجبار سنة ثلاث وستين ومائتين وألف، وعمره سبعون سنة، وأخوه نبهان، والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدي ضرير البصر من أهل مسكد، والشيخ العلامة جميل بن خميس السعدي مؤلف القاموس في تسعين جزءا، وقد نسخه بخط يده ثلاث مرات، شرع في تأليفه عام ست ومائتين بعد الألف، ولم أجد تاريخًا لموته، إلا أني وجدت بخط يده سنة اثنتين وسبعين، ولم يدرك الإمام عزان، ومنهم الشيخ سلطان بن محمد البطاشي المتوفي عام واحد وسبعين

ومائتين، والشيخ سالم بن سعيد الصايغي مؤلف الأرجوزة واللباب، والعلامة خميس بن راشد العبري والد الشيخ ماجد بن خميس.

ثم بايعوا للإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد، وذلك سنة خمس وثمانين ومائتين وألف، وكان على رأس العلماء العلامة المحقق سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي والشيخ صالح بن علي بن ناصر الحارثي والشيخ محمد بن سليم الغاربي السعدي الذي توفي عام واحد بعد ثلاثمائة وألف، وفي زمانه سالم بن عديم الرواحي وحمد بن سليمان اليحمدي ومحمد بن خميس السيفي وجمعة بن خصيف الهنائي. وبقي في إمامته سنتين وأربعة أشهر ونصف حتى قتل رضي الله عنه، وقام بعده بمنزلة إمام الشيخ صالح بن علي الحارثي آمرًا وناهيًا، حتى قتل عام ألف وثلاثمائة وأربع عشرة، وعمره ينيف على الستين سنة، وبقى ابنه عيسى بن صالح العلامة الجليل مشمّرًا عن ساق، وكان بجانبه العلامة الجليل المؤلف عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي أحد تلامذة الشيخ صالح، وفي زمانهما من العلماء الشيخ أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي والشيخ عبد الله بن راشد الهاشمي والشيخ محمد بن مسعود البوسعيدي والشيخ حمد بن سيف البوسعيدي والشيخ سعيد بن حمد الراشدي والشيخ راشد بن سيف اللمكي والشيخ ماجد بن خميس العبري والشيخ سيف بن ناصر الخروصي والشيخ علي بن محمد المنذري والشيخ راشد بن سليم الغيثي الحارثي والشيخ محمد بن سليمان الخروصي.

ثم بويع للإمام سالم بن راشد الخروصي سنة واحد وثلاثين وثلاثماية وألف، وكان على رأس العلماء يومئذ العلامة الجليل المؤلف نور الدين عبد الله بن حميد

السالمي، وحضر البيعة العلامة عامر بن خميس المالكي والعلامة أبو زيد عبد الله بن محمد الريامي والعلامة محمد بن سالم الرقيشي والشيخ عبد الله بن راشد الهاشمي والشيخ عامر بن علي الحبسي. وبعد سنة من بيعته توفي العلامة السالمي عن عمر يناهز الخمسين سنة، وقتل الإمام بعد سبع سنوات من إمامته في بلد الخضراء.

وبايعوا بعده للإمام محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي بعد أيام من قتل الامام، وكان القائم بإمامته العلامة عيسى بن صالح بن علي الحارثي المتوفي سنة خمس وستين عن عمر يبلغ خمسا وسبعين سنة، وحضر البيعة عدد من العلماء كالشيخ ماجد بن خميس العبري الذي أدرك الإمام عزان والإمام سالما. وهذا الإمام الثالث الذي توفي سنة ست وأربعين عن عمر يناهز المائة، ومنهم العلامة المالكي عامر بن خميس ابن مسعود المتوفى في هذه السنة سنة ست وأربعين عن عمر يبلغ ستا وستين سنة، ومنهم الشيخ أبو زيد الريامي المتوفى سنة ست وستين وعمره ثلاث وستون سنة، والشيخ إبراهيم بن سعيد بن محسن العبري الموجود حاليا.

ولبث الإمام في إمامته إلى سنة ثلاث وسبعين وتوفي ليلة ٢٩ شعبان من السنة المذكورة، واستخلف على المسلمين الإمام غالب بن علي بن هلال الهنائي، وبايعه كل من العلماء والزعماء، وكان على رأس العلماء العلامة محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي المتوفى سنة ثمان وسبعين عن عمر يناهز الثمانين في سجن السلطان سعيد بن تيمور .

وفي زمان الإمام الخليلي توفي العلامة الجليل عبد الله بن عامر بن مهيل العزري، والعلامة الجليل سعيد بن ناصر بن عبد الله الكندي سنة خمس وخمسين عن عمر يناهز الثمانين، أما الشيخ العزري فكانت وفاته بعد الشيخ الكندي بثلاث سنوات عن عمر يبلغ الستين.

وبقي الإمام غالب في الإمامة حوالي عشرين شهرا، واعتزل الإمامة وأعمال المسلمين إلى بيته، وذلك في سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف في آخر ربيع الثاني.

ولم تزل عمان إلى اليوم معمورة بالعلماء والفضلاء والصالحين، وممن يرجع إليهم في وقتنا هذا العلامة الجليل محمد بن شامس البطاشي المؤلف، والشيخ إبراهيم بن سعيد العبري، والشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، والشيخ سعيد بن خلف الخروصي، والشيخ سالم بن حمود السيابي المؤلف، والشيخ المفسر الجليل سعود بن سليمان بن جمعة الكندي، وكان هو والشيخ سالم من قضاة الإمام الخليلي. وتوفي منذ سبع سنوات العلامة الجليل خلفان بن جميل السيابي عن عمر يناهز الثمانين والشيخ حمد بن عبيد السليمي، وكلاهما من قضاة الإمام الخليلي. ومن علمائنا المعاصرين الشيخ النزيه المؤلف سيف بن عبد العزيز الرواحي، والشيخ سعود بن عامر بن خميس المالكي، والشيخ سالم بن محمد الحارثي من القابل، والشيخ ناصر الدين سعيد بن سالم النعماني من المضيرب، وأصله من الباطنة. وكل هؤلاء كانوا قضاة للإمام الخليلي والإمام غالب. ومنهم الشيخ أبو حميد حمد بن عبد الله بن حميد السالمي المتوفى سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وألف في شهر شعبان عن عمر ينيف على الستين سنة،

وكنت إذ ذاك بالهند في صحبة والدي حمد بن سليمان بن حميد الحارثي الذي توفاه الله عام ٨٩ عن عمر يبلغ أربعا وسبعين سنة، وتوفي أخوه عبد الله بن سليمان سنة إحدى وتسعين عن عمر يبلغ تسعين سنة، وكان من تلامذة الشيخ السالمي، وكان عالما حافظا رئيس الجمعية العربية بزنجبار، وتوفي أبوهما سليمان بن حميد سنة أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، وتوفي أبوه عبد الله بن سليمان بن محمد بن عيسى بن صالح بن راشد بن سعيد (وكان راشد بن سعيد قاضي الإمام سيف بن سلطان اليعربي) توفي عبد الله سنة ثمان وخمسين ومائتين وألف، ومسكنهم بلد المضيرب من شرقية عمان.

ومن قضاة الإمام الخليلي الجامعين بين العلم والعمل الشيخ سالم بن حمد البراشدي من بلدة سناو وتوفي سنة ١٣٧١، والشيخ عبد الله بن غابش الحبشي من بلدة القابل، وأصله من الباطنة.

ومن المتقدمين الشيخ جمعة بن سعيد المغيري كان من العلماء الفضلاء وتوفي سنة ١٣٢٤. ومن قضاة الإمام الخليلي الشيخ سعود بن حميد آل خليفين توفي ١٣٧٣ من أهل المضيرب، ومنهم الشيخ سيف بن حمد الأغبري، وكان عالما طبيبا، والشيخ محمد بن حمد الزاملي الرستاقي.

وللشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم الرواحي المتوفي سنة ١٣٣٩ يصف نزوى وايمتها من قصيدة طويلة:

وافُـرقْ بهـا البيـدَ حـتى تستبين لهـا ... (فَـرقٌ) علـى بيضـة الإسـلام عنـوانُ

فـإن تيامنـت الحَـورَاءُ شاخصـةً ... لهـا مَـعَ السُّـحْب أَكنـافٌ وأحضـانُ

فَحُـطَّ رَحلَـك عنهـا إنهـا بلغـت ... (نَـزوَى) وطافـت بهـا للمجـدِ أركـانُ

فطالمـــا وخـــدت تبغـــي لبانتهـــا كـــأنهن مـــع الأنضـــاء عقبـــان
انـــزل فـــديتُك عنهـــا إنَّ حاجتهـــا عـــدلٌ وفضـــلٌ وإنصـــافٌ وإحســـانُ
انـــزل فـــديتُك عنهـــا إنَّ وجهتهـــا تحتُ الأئمـةِ مُـذ كانـت ومُـذ كـانوا
هنالـــك انـــزل وقبِّـــل تُربَـــةً نبتـــت بهـــا الخلافـــةُ والإيمـــانُ إيمـــانُ
انـــزل علـــى عرصـــاتٍ كلُّهـــا قُـــدُسٌ للحـــق فـــيهن أزهـــارٌ وأفنـــانُ
انزل على عرفات النور حيث حوت أئمـــة الـــدين قيعـــانٌ وظهـــرانُ
حيـث الملائكـة احتلـت مشـاهدهم لهـــا علـــى الحـــل والتعـــريج ادمـــان
أرضٌ مقدســـةٌ قـــد بورِكـــت وزكّـــت تَنْصـــبُ فيهـــا مـــن الأنـــوارِ معنـــانُ
مـــا طـــار طائرهـــا لله محتســـبا لـــه جناحـــان إيقـــان وعرفـــان
إلا وقـــام يمـــين الله ســـاعده والفـــتح والنصـــر والتأييـــد أعـــوان
ميمونـــة بركـــات الله تنفحهـــا والـــيمن يثمـــره علـــم وإيمـــان
رست بها هضبة الإسلام من حقب وإن قضـت باسـتتار العـدل أحيـان
قديمـة الـذكر عـاذ الـدين عائـذها مـــن يـــوم أصـــبح توحيـــد وقـــرآن
قامـــت بهـــا قبـــة الإســـلام شـــامخة حـــتى تواضـــع بهـــرام وكيـــوان
ولم تـــزل عرصـــة للعـــدل عاصـــمة للاســـتقامة فيهـــا الـــدهر ســـلطان
كم أشهر الله فيها من حسام هدى كانهـــا لســـيوف الله أجفـــان
كنانـــة لســـهام الله مـــا فرغـــت مـــذ كـــان للجـــور سـلطان وشـيطان
بحجـة الله قامـت في الشـقاق لهـا بـــدين ذي الثفنـــات الحـــبر إيقـــان
تعاقبـــت خلفـــاء الله منصـــبها منذ (الجلندي) وختم الكل (عزان)
أئمـــة حفـــظ الـــدين القـــويم بهـــم مـــن يـــوم قيـــل لـــدين الله أديـــان
صـيدٌ سـراةٌ أبـاةُ الضـيم أسـدُ شـرى شمـــس العـــزائم أو أهـــوان رهبـــان

سفن النجاة هداة الناس قادتهم ... طهر السرائر للإسلام حيطان

تقبلوا مدح القرآن أجمعها ... إذا استحق مديح الله إيمان

جدوا إلى الباقيات الصالحات فلم ... يفتهم في التقي سر وإعلان

على الحنيفية الزهراء سيرهم ... والوجه والقصد إيمان وإحسان

بسيرة العمرين استلئموا وسطوا ... لشربة النهراون الكل عطشان

صعب الشكائم في ذات الإله فإن ... حناهم الحق عن مكروهة لانوا

مسومين لنصر الله أنفسهم ... أرواحهم في سبيل الله قربان

سبق إلى الخير عن جد وعن كيس ... دانوا النفوس فعزت حيثما دانوا

سيماهم النور في خلق وفي خلق ... وهديهم سنة بيضاء تبيان

مقيدون بحكم الله حكمتهم ... وهمهم حيثما كان الهدى كانوا

هم أسمع الناس في حق وأبصرهم ... وفي سواه هم صم وعميان

لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها ... إذ همهم صالح يتلوه رضوان

باعوا بباقية الرضوان فانيهم ... كأن لذة هذا العيش أوثان

وقف على السنة البيضاء سعيهم ... وفي الجهادين إن عزوا وإن هانوا

ما زايلت خطوة المختار خطوتهم ... ولا ثنى عزمهم نفس وشيطان

فجاهدوا واستقاموا في طريقته ... عزومهم لصروح الدين أركان

وسلطوا بحدود الله حكمهم ... حتى استقام لحكم الله سلطان

أولئك القوم أنواري هديت بهم ... عقبي محبتهم عفو وغفران

أئمتي عمدتي ديني محجتهم ... غوثي إذا ضاق بي في الكون إمكان

لا يقبل الله دينا غير دينهم ... ولا يصح الهدى إلا بما دانوا

من عهد بدر وأحد لا تزعزعهم ... عن موقف الحق أزمات وأزمان

حقيقــة الحــق مــا دانــوا بــه وأتــوا ... ومــــا عـــــداه أخــــاليط وخمـــان
إن يشـرف النـاس في الـدنيا بثـروتهم ... فثــروة القــــوم إخــــلاص وإيقـــان
لله مـــــا جمعــــوا لله مـــــا تركــــوا ... لله إن قربـــــوا لله إن بــــــانوا
أزكـى الصـنيعين مـا كـان الهدى معه ... لـــديهم ولـــه في الحـــق رجحـــان
تــراهم في ضــمير الليــل صــيرهم ... مثــل الخيــالات تســبيح وقــرآن
هــم الاباضــية الزهــر الكــرام لهــم ... بعـــزة الله فـــوق الخلـــق ســـلطان
لا يعـرف العـدل إلا في اسـتقامتهم ... لم يــوف إلا لهــم في العــدل ميــزان
في الـذب عـن حرمـات الله شـأنهم ... لا شــأن دنيــاهم نيــل وحرمــان
رضـوا ببلغـة محيـاهم علـى خطـر ... منهــا كــأنهم بالبلغـــة اختـــانوا
سيما التعفـف تكسـوهم جـلال غـني ... فالقلــب في شــبع والــبطن خمصــان
سمــتُ الملــوك وهــديُ الأنبيــاء علــى ... أخلاقهــم فكــأن الفقــر تيجــان
تمثلــت لهــم الــدنيا فمــا جهلــوا ... حقيقــة الأمــر إن العــيش ثعبــان
جـازوا الجسـور خفـاف الحـاذ وقـرهم ... زهــد وخــوف واصــبار وشــكران
فـاز المخفـون مـن دار الغـرور فـلا ... خــوف علــيهم ولا بــالقوم أحــزان
مضـــوا وآثـــارهم نـــور وذكـــرهم ... رحمـــى ومضـــجعهم روح وريحـــان
تتـــابعوا دولـــة في إثـــر ســـابقة ... كمــا جلــى الرســل أحيــان فاحيــان

وهي طويلة جدا، ذكر فيها عددا من القبائل العمانية والأشخاص الدينية.

قال صاحب كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية: "الإمامة منشأة قديمة في عمان ترتد إلى القرن الثاني من العصر الهجري الموافق للقرن الثامن من العصر

فائــدة:

قال صاحب كتاب عمان لشركة الزيت الأمريكية: "الإمامة منشأة قديمة في عمان ترتد إلى القرن الثاني من العصر الهجري الموافق للقرن الثامن من العصر المسيحي، وقد أنشأ الاباضيون من المسلمين هذه المنشأة وصانوها هناك، وهم فرع من الخوارج الذين قاموا بحركة عصيانية دينية محافظة، وانفصلوا عن الكيان الرئيسي لاتباع الإسلام في أيام علي بن أبي طالب، وقد قصد بعضهم إلى شرق الجزيرة العربية واستقروا بجبال عمان حيث نشروا عقائدهم التي تعرضت لتغييرات يسيرة في القرون المتتالية، ويمكن اعتبار إمامة الاباضيين في عمان من المخلفات الحية للخلافة الإسلامية الأولى، ولا يزال الإمام الاباضي يختار بطريقة تكاد تماثل طريقة اختيار الخلفاء الأولين في القرن الهجري الأول، وليس مما يغفل شأنه أن نعرف أن لقب الإمام نفسه كان يطلق على الخليفة أحيانا في تلك الأيام" انتهى كلامه.

تنبيهات الأول

في ذكـــر بعض مؤلفات علماء الاباضية

تنبيهان الأول في ذكر بعض مؤلفات علماء الاباضية

قال في كتاب السير: أرسل الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم إمام المغرب الذي بويع له في عام مائة وواحد وسبعين للهجرة أرسل ألف دينار إلى علماء الأباضية بالبصره يطلب بها كتبا فاشتروا له بذلك الألف قرطاسا فنسخوا له فيه وِقر أربعين جملا كتبا".

وقال الشيخ أحمد بن محمد بن بكر من علماء الأباضية في القرن الخامس بالجزائر قال: "دخلت الديوان بجبل نفوسه أطالع مسألة فبقيت ستة أشهر أقرأ وأطالع، ولا أنام إلا فيما بين أذان السحر إلى صلاة الفجر... قال: وتأملت ما فيها من تأليف أصحابنا المشارقة فإذا هي نحو من ثلاثمايه وثلاثين ألف جزء، فتخيرت أكثرها فائدة فقرأته".

وكان للشيخ خلف بن سنان الغافري أحد قضاة الإمام سيف بن سلطان اليعربي مكتبة تحتوي على سبعين وثلاثماية وتسعة آلاف كتاب، وكلها مخطوطة وأنشد:

لنـــا كتـــب في كـــل فـــن كأنهـــا	جنان بها من كل ما تشتهي النفس
جـرى حبهـا مـني ومـن كـل عـالم	ذكي الحجى والفهم حيث جرى النفس
فـلا أبتغـي مـا عشـت خـلاً مؤانسـا	سـواها فـنعم الخـل لي وهـي الأنـس
ولســت أرجــى أن يفــوز بمثلهــا	علـى غـابر الأيـام جـنّ ولا إنـس
ثــلاث مئــين ثم ســبعون عــدها	وتســعة آلاف لهــا ثمــن بخــس

وقد ذكرت سابقًا مدونة جابر بن زيد الذى ذكرها صاحب كشف الظنون، ومدونة أبي غانم الخراساني التي رتبها قطب الأئمة أخيرًا في مجلدين متوسطين مأخوذة عن سبعة من تلامذة الربيع بن حبيب من علماء القرن الثاني، عسى أن يتم طبعها على يدي في العام المقبل إن شاء الله. ومسند الربيع بن حبيب وملحقاته في أربعة أجزاء، شرحه العلامة أبو ستة الجربي، وشرح جزأين منه العلامه السالمي، وهو في الحديث وهو العمدة مع أهل المذهب. وكتاب ضمام بن السائب من رواية أبي صفرة في الحديث أيضا. وكتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل وكتاب ابنه محمد بن محبوب يقال إنه سبعون جزءا. وكتاب الخزانة لابنه بشير بن محمد بن محبوب يقال إنه سبعون جزءا. وكتاب الخزانة لابنه بشير بن محمد في سبعين سفرًا، وله كتاب البستان وكتاب الرضف في التوحيد وكتاب المحاربة. وتفسير القرآن للشيخ هود بن محكم الهواري من علماء القرن الثالث يحاول بلحاج بن الشيخ عدون بالجزائر طبعه وقد هيأه لذلك. والتفسير الكبير للشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم من علماء الجزائر في القرن الخامس في ثمانية مجلدات، وله كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه وكتاب الدليل والبرهان في أصول الدين وهو في ثلاثة أجزاء. وكتاب الإمام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب. وكتاب الضياء لسلمة بن مسلم الصحاري في أربعة وعشرين جزءا. وكتاب الكفاية لمحمد بن موسى الكندي في واحد وخمسين جزءا، وله كتاب جلاء البصائر، ولابن عمه كتاب بيان الشرع المتداول بين علماء العمانيين والمعتمد عليه في اثنين وسبعين جزءا، وله -أي صاحب بيان الشرع- الشيخ محمد بن إبراهيم مؤلفات عديدة كقصيدة العبيرية في وصف الجنة والنعمة أرجوزة. وكتاب المصنف لابن عمهما الشيخ أحمد بن عبد الله

الكندي في واحد وأربعين جزءا، وهؤلاء كلهم أبناء عم، فقبلهم صاحب بيان الشرع توفي عام ثمانية بعد خمسمائة، ويليه صاحب الكفاية ويليه صاحب المصنف توفي عام سبعة وخمسين بعد خمسمائة، ولصاحب المصنف مؤلفات كالتسهيل في الفرائض والتخصيص في الولاية والبراءة والجوهري في أصول الكلام وكتاب الاهتداء وكتاب سيرة البررة وكتاب التيسير في النحو وله كتاب الذخيرة. وكتاب التاج لأبي عبدالله عثمان بن عبدالله الأصم ذكر ترجمته في الموسوعة الفقهيه، وهو في واحد وخمسين جزءا، وله كتاب النور في الكلام وكتاب البصيرة وكتاب الأحكام وكتاب الأنوار في الأصول. وكتاب الاستقامة للإمام أبي سعيد الكدمي من علماء القرن الرابع، وله كتاب المعتبر في تسعة أجزاء، وكتاب الجامع المفيد من جواباته في مجلدين ضخمين، وله كتاب زيادات الأشراف. والجامع المشهور بجامع ابن جعفر، وعليه حواشي متعددة عن جملة من العلماء في ثلاثة مجلدات ضخمة. وكتاب جامع أبي محمد بن بركة، وللمؤلف كتاب التقييد وكتاب الموازنة وكتاب المبتدأ وكتاب التعارف وكتاب الإقليد. وكتاب جامع أبي صفرة. وكتاب الأكلة وحقائق الأدلة لنجاد بن موسى المنحي في خمسة أجزاء، وله كتاب الإرشاد وكتاب الحوالة، وله كتاب السيرة. وجامع أبي علي موسى بن علي من علماء القرن الثالث، وكتاب الإيضاح للقاضي سعيد بن قريش في ثلاثة مجلدات. وكتاب الإيضاح لأبي زكريا يحي بن سعيد الهجاري في أحكام القضاء في مجلدين. وكتاب الإيضاح لأبي ساكن عامر بن علي الشماخي النفوسي في أربعة أجزاء، طبع مرتين، وعليه حواشي مفيدة، وكتاب العقيدة له، واختصر الإيضاح العلامة عبد العزيز الثميني، وزاد عليه غيره، وشرح الجميع القطب محمد بن يوسف في عشرة مجلدات واسمه النيل. وكتاب

قواعد الإسلام للشيخ إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي، وعليه حواشي، وله كتاب القناطر على طريقة الإحياء للغزالي في ثلاثة أجزاء، وله شرح قصيدة فتح بن نوح في أصول الدين في ثلاث مجلدات، وله كتاب الفرايض وكتاب المناسك. وكتاب أبي مسألة لأحمد بن محمد بن بكر من علماء الجزائر في جزأين، وله كتاب أصول الأرضين، وله كتاب القسمه وتبين أفعال العباد في ثلاثة أجزاء، وله كتاب الألواح، وله كتاب الدماء في خمسة وعشرين جزءا. وكتاب دعائم الاسلام للعلامة أحمد بن النظر العماني من علماء القرن السادس، وعليه شروح عديدة منها لابن وصاف النزوي في مجلدين كبيرين، سماه الحل والإصابة، وشرحه أحمد بن عبد الله الرقيشي الأزكوي، سماه مصباح الظلام على دعائم الإسلام، وأبو القاسم البرادي صاحب كتاب الجواهر سماه شفاء الحائم على بعض الدعائم، شرحه القطب محمد بن يوسف، ولابن النظر كتاب قرى البصر في مجمع المختلف من الأثر، في أربعة مجلدات، وله كتاب سلك الجمان في سير أهل عمان في مجلدين، وكتاب التضميد في التقليد في مجلدين، وكتاب البصيرة لصالح بن وضاح في مجلدين. وجامع أبي الحواري في الأديان، وله سيرة طويلة إلى علماء حضرموت. وكتاب منهج الطالبين للشيخ خميس بن سعيد الشقصي مؤسس دولة اليعاربة في واحد وعشرين جزءا، وكتاب مراهم القلوب في مناجاة المحبوب تأليف محمد بن أحمد بن إبراهيم. وكتاب الإيجاز لأحمد بن خليل السيجاني. وجامع أبي قحطان خالد بن قحطان في جلدين. وكتاب الأشياخ جمعهُ العلماء في رباطهم في دما، زمان الإمام غسان. وكتاب الرهاين وكتاب الرقاع في أحكام الرضاع في مجلدين لجد الشيخ ابن النظر قاضي القضاة عبدالله بن أحمد. وكتاب الأحداث والصفات للشيخ أبي الموثر، وله كتاب البيان

والبرهان، وكتاب الأمة لسلمة بن مسلم صاحب كتاب الضياء، وله كتاب الأنساب، وكتاب مفتاح الشريعة تأليف محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الشجبي، وكتاب الكشف والبيان تأليف محمد بن سعيد القلهاتي في جلدين، وجامع أبي الحسن البسياني في جلدين على طريقة جامع أبي محمد في الأصول والقواعد، وله كتاب المختصر، وله السيرة الكبيرة المعروفة، وله سير غيرها. وكتاب مختصر الخصال للإمام إبراهيم بن قيس الحضرمي. وكتاب الصلاة والصلة لعمرو بن علي المقعدي الوبلي الرستاقي، وله زهرة الأدب. وكتاب مختصر العدل والإنصاف وشرحه للشيخ أحمد بن سعيد الشماخي، وشرح الجميع القطب محمد بن يوسف في ثلاثة مجلدات. وكتاب السير للشيخ أحمد المذكور، وله شرح مرج البحرين في علم المنطق والهندسة والحساب. وكتاب الموجز لأبي عمار في أصول الدين والرد على المخالفين، وله شرح الجهالات مجلد، وله أيضا كتاب الفرايض وكتاب اختلاف الفتيا. وكتاب عمروس بن فتح في أصول الكلام في أربعة أسفار، وكتاب الجناوى في سفرين. وكتاب الوضع ليحي الجناوني طبع مرتين وحشى عليه أبو ستة واختصره وزاد عليه القطب بن يوسف. وكتاب الشيخ أبي سليمان داود بن يوسف سفر. وكتاب الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف في جلدين في أصول الدين. وكتاب الشيخ أبي خزر في أصول الدين. وكتاب الشيخ أبي زكريا في السير مجلدان. وكتاب الأشياخ المعروف بالديوان في ستة أسفار. وكتاب السؤالات لأبي عثمان، وعليه حواشي. وكتاب الشيخ تبغورين بن عيسى في الكلام، وله أيضا كتاب الجهالات، وله أيضا كتاب الأدلة والبيان في أصول الفقه. والكتاب المعروف بالمعلقات في أخبار أهل الدعوة. وجوابات الشيخ أبي يعقوب يوسف بن خلفون. ورسالة أهل جبل

نفوسة. وكتاب الطبقات لأحمد بن سعيد الدرجيني. وكتاب المناسك لأبي زكريا يحي الأبدلاني. وكتاب دلائل الخيرات للشيخ درويش بن جمعة المحروقي طبع، وكتاب البيان له في مجلدين ضخمين. وكتاب اللباب في أربع مجلدات للشيخ سالم بن سعيد الصائغي، وله الأرجوزة التي زاد عليها وهذبها نور الدين السالمي، وله كتاب الجواهر في خمسة عشر جزءا، وبيع بعض أجزائه قريبا عن ثلاثين وأربعماية ريال عماني.

وكتاب الدقاق لأعناق أهل النفاق للشيخ جاعد بن خميس الخروصي، وله مؤلفات عديدة ورسائل وقصائد مشروحة، ولولده ناصر كتب متعددة تضمنها قاموس الشريعة للشيخ جميل بن خميس السعدي الذي هو في تسعين جزءا معروف ومشهور، وجامع الشيخ ابن عبيدان. وجامع الشيخ سعيد بن بشير الصبيحي في مجلد ضخم قد رتبته. والتمهيد للشيخ سعيد بن خلفان الخليلي في ثلاثة أجزاء، رتبه الشيخ محمد بن خميس السيفي، وله كتاب كرسي الأصول في أصول الدين، وكتاب الأقاليد في علم الصرف، ضخم جدا، وكتاب الخزائن في سبعة أجزاء ضخمة للشيخ موسى بن عيسى البشري، واختصره في ثلاثة مجلدات ضخمة جدا سماه مكنون الخزاين وعيون المعادن. وللشيخ القطب محمد بن يوسف مؤلفات عديدة مذكورة في ترجمته أهمها تفسير القرآن مرتين؛ الأول في ثلاث عشرة قطعه ضخمة، والثاني في ستة أجزاء، وله شرح النيل في عشرة أجزاء طبع مرتين. وللشيخ السالمي كذلك مؤلفات عديدة مذكورة في ترجمته، أهمها معارج الأمال في ثمانية أجزاء، وطلعة الشمس في أصول الفقه، والبهجة في أصول الدين، ومشارق أنوار العقول. وسلك الدرر للشيخ خلفان بن جميل

السيابي، وله بهجة المجالس. وسلاسل الذهب للشيخ محمد بن شامس البطاشي في عشرة أجزاء، وله إرشاد الحائر في أحكام الحاج والزائر، وله غاية المأمول في الفروع والأصول في أربعة أجزاء. وشرح لامية الشيخ الراشدي للشيخ محمد بن سالم الرقيشي في الدماء. وغاية المرام في الأديان والأحكام للشيخ عامر بن خميس المالكي في أربعة مجلدات، وله غاية التحقيق في أحكام الانتصار والتغريق، وله غاية المطلوب في الأثر المنسوب. وللشيخ منصور بن ناصر الفارسي أحد قضاة الإمام الخليلي مؤلفات، وكذلك للشيخ سالم بن حمود السيابي مؤلفات. وعين المصالح في جوابات الشيخ صالح بن علي الحارثي. والفتح الجليل من جوابات الإمام أبي خليل محمد بن عبدالله الخليلي. وخلاصة الوسائل في ترتيب المسائل للشيخ عيسى بن صالح الحارثي.

وللزمخشري:

سـهري لتنقـيح العلـوم ألـذ لي من وصل غانية وطيب عناق
وتمـايلي طربـا لحـل عويصـة أحلى وأشهى من مدامة ساق
وصـرير أقلامـي على أوراقهـا أحلـى مـن الـدوكاء والعشـاق
وألـذ مـن نقـر الفتـاة لـدفها نقـري لألقـي الرمـل عـن أوراق
أأبيـت سـهران الـدجى وتبيتـه نومـا وتبغـى بعـد ذاك لحـاقي

ولغيره:

إن صـحبنا الملـوك تـاهوا علينـا واسـتبدوا بـالرأي دون الجلـيس
أو صحبنا التجـار عـدنا إلى التجـر وصـرنا إلى حسـاب الفلـوس
فلزمنـا البيـوت نسـتعمل الحـبر ونمـلا بـه وجـوه الطـروس

ولغيره:

شـيئان أحلـى مـن عنـاق الخـرد وألـذ مـن مـاء القـراح الأسـود
وأجـل مـن رتـب الملـوك علـيهم حلـل الحريـر مطـرزًا بالعسـجد
سـود الـدفاتر أن أكـون نـديمها طـول الحيـاة وبـرد ظـل المسـجد

التنبيه الثاني

في بعض مسائل
وقع فيها الخلاف
ورأي الاباضية فيها

التنبيه الثاني في بعض مسائل وقع فيها الخلاف ورأي الاباضية فيها

فمن ذلك صفات الباري سبحانه، هل هي هو، أم هي غيره، فمذهب الاباضية أن صفاته هي ذاته لا بشيء زايد عليه، ووافقهم على هذا العلامة ابن العربي الأندلسي المالكي، وقال: لا فرق بين قول القائل إن صفات الله غيره، وبين قول اليهود: إن الله فقير، إلا تحسين العبارة.

ومن ذلك خلود الفاسق الذي مات غير تائب في النار، ووافقهم على هذا السعد من المالكية، وقيل إنه من الشافعية، ونص كلامه في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] : "لَمَّا كانت الآية نازلة في شأن التائب دلَّ سبب النزول على أن المراد بقوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ لمن يكون تائبا من ذنبه، فلا يفيد جواز المغفرة بدون التوبة" انتهى. وهذا هو قول جابر بن زيد في تفسير الآية، والحجة له من القرآن قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٧ - ١٨] وهذا هو قول المعتزلة أيضا.

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣ وقوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ الجن: ٢٣ وقوله تعالى: في سورة الفرقان في وصف المؤمنين بعد أن ذكر الزنا وقتل النفس ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ الفرقان: ٦٨ - ٧٠ .

وفي صحيح الربيع والبخاري ومسلم أحاديث مؤيدة ومفسرة لمراد الآية؛ كالذي يقتل نفسه بسم أو حديدة فحديدته في يده إلى قوله خالدا مخلدا فيها الحديث(١) وحديث البخاري ومسلم {مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ}.

ومن ذلك شفاعة النبي ﷺ فهي لا تكون لمن مات مصرًّا غير تائب، إنما الشفاعة لمن مات على صغيرة أو مات وقد نسي ذنبًا أن يتوب منه، أو لزيادة درجة في الجنة أو لتخفيف الموقف على المؤمنين وإراحتهم منه إلى الجنة؛ لقوله تعالى ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ غافر: ١٨ وقوله تعالي ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ الأنبياء: ٢٨. وقوله عليه السلام لعشيرته وأهله : {يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَيَا فَاطِمَةُ

---

١) الحديثُ هُوَ قولُ النَّبِيِّ ﷺ : مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا}.

بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا} {لا يَأتِينِي النَّاسُ بِأَعمَالِهِم وَتَأتُونِي بَأنسَابِكُم}. وقال جابر بن زيد: والله ما لأهل الكبائر شفاعة؛ لأن الله أوعد لأهل الكبائر النار في كتابه، وإن جاء الحديث عن أنس بن ملك أن الشفاعة لأهل الكبائر، فوالله ما عنى القتل والزنا والسحر وما أوعد الله عليه النار. ويلزم من هذه المسألة والتي قبلها أن الإيمان قول بلا عمل، وهو باطل، وبهذا قالت المعتزلة.

ومن ذلك القول برؤية الباري سبحانه في الدار الآخرة، فالاباضية يمنعون ذلك، والمنع قول عائشة من الصحابة وقتادة والزمخشري وغيرهم من المعتزلة، والشيعة، والحجة قوله تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ الأنعام: ١٠٣ والإدراك يكون بالقليل كما يكون بالكثير، فنفى ذلك عن نفسه، وبقوله لموسى عليه السلام ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ الأعراف: ١٤٣ وهي تقتضي التأبيد، والأحاديث الواردة آحادية وتقبل التأويل لتنطبق مع الآيات؛ ولأنه يلزم من يقول بالرؤية إثبات الجهة واللون لله تعالى، وهو باطل.

ومن ذلك قول من قال إن القرآن غير مخلوق، فعند المحققين من الاباضية أنه مخلوق؛ إذ لا تخلو الأشياء إما أن تكون خالقا أو مخلوقا، وهذا القرآن الذي بأيدينا نقرؤه مخلوق لا خالق؛ لأنه منزل ومتلو. وهو قول المعتزلة، والعلم غير المعلوم.

ومن ذلك نفي التشبيه عن الله سبحانه وتعالى، فبهذا يقول الاباضية وكل ما ورد مما ورد يوهم التشبيه فهو مؤول بما يليق به، كقوله تعالى ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾

القمر: ١٤ فاثبت عيونا كثيرة، وقال ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ طه: ٣٩ فدلت هذه الآيات أنها غير مراد ظاهرها. وقوله تعالى ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ طه: ٥ ، والآيات كثيرة، فهي عندهم مردودة إلى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى: ١١، وأثبت هذا كثير من العلماء كالبيضاوي وغيره، فهو أسلم اعتقادًا وأحوط مخافة الوقوع في الزلل.

قال صاحب الجوهرة من الأشعرية:

وكـل نص أوهم التَّشبيهـا أَوِّلهُ أو فَوِّض، وَرُم تنزيها

ومن ذلك قولهم في مرتكب الكبيرة إنه كافر كفر نعمة، أخذا من قوله تعالى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ الْكَٰفِرُونَ﴾ المائدة: ٤٤ وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ الْعَٰلَمِينَ﴾ آل عمران: ٩٧، فكل من لم يحكم بما أنزل الله وهو مستطيع فهو كافر، وكل تارك للحج وهو مستطيع فهو كافر نعمة الله التي أنعم بها عليه من الاستطاعة، بمعنى أنه سترها وهو معنى الكفر لغة، ومنه قوله ﷺ في صحيح مسلم {لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ}، وقول امرأة ثابت بن قيس في صحيح البخاري {وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الْإِسْلَامِ} والأحاديث الكثيرة في الصحيح.

ومن ذلك قولهم في أصحاب النبي ﷺ إنهم كغيرهم في الأعمال، لا في درجات الصحبة والمنزلة الأخروية، فالعاصي منهم كغيره من بعدهم؛ لقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوٓا أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُۥ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ

بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ ﴾ الحجرات: ٢، وقوله تعالى عند بيعة الرضوان ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ﴾ الفتح: ١٠. وقد رجم رسول الله ﷺ الزاني منهم، وجلد الشارب، وقطع يد السارق منهم، وهجر عاصيهم وقال: {وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا}. ووافقهم على هذا المعتزلة، وهو رأي الصحابة أنفسهم في بعضهم بعض وهم أسوة.

ومن ذلك براءتهم من العاصي، وهي هجرانه وبغضه على معصيته، وهي مأخوذة من فعل النبي ﷺ في الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت[١]، وأحاديث المحبة والبغض للمطيع والعاصي، وبهما تختلف المنازل عند الله وعند الخلق ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ التوبة: ١٠٥. وفي

---

١) لا يرى شيخنا إبراهيم مفتي سلطنة عُمان في هجران الثلاثة دليلا على البراءة منهم، ويقول: إن الهجران يكون بغير براءة، وإنما هجرهم رسول الله ﷺ انتظارا لأمر الله فيهم. بقي النظر في تخلفهم عن رسول الله ﷺ هل هو واسع أم غير واسع، والظاهر أنه غير واسع، وأنهم ارتكبوا معصية بتخلفهم، بدليل قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [التوبة: ٣٨] وثبت أن رسول الله ﷺ امتنع حتى عن رد السلام عليهم، مع أنَّ ردَّه فريضة، وقال ﷺ {لا يحل لامرئ من أن يهجر أخاه فوق ثلاث}. واستدل العلامة أبو عبد الله محمد بن رَوح بن عربي شيخ أبي سعيد الكدمي بقوله تعالى ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [التوبة: ٧١] واستدل المحقق الخليلي بقوله تعالى ﴿فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣] وكل من انحرف عن الطاعة إلى المعصية الكبيرة فليس من الإخوة وليس من المؤمنين، بل هو من كفار النعم ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ﴾ [السجدة: ١٨] والاباضية يوجبون الولاية للأشخاص والبراءة من الأشخاص بالإجماع، قياسًا على ثبوتها في الجملة، ولحديث ثبت عندهم عن عمر الخطاب وعمرو بن العاص {مَن رأينا منه خيرًا قُلنا فيه خيرًا وَظننَا فيه خيرًا وتَولَّيناه، ومَن رأينا فيه شرًّا قلنا فيه شرًّا وظننا فيه شرًّا وتبرأنا منه}.

أبي داود {مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ}.

ومن ذلك أنهم يؤمنون بالقضاء والقدر أنه من الله، وأنَّ الخير والشر خلقٌ من الله وكسبٌ من العباد، وهم متفقون مع أهل السنة في هذا، والحجة قوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ الصافات: ٩٦ ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ الأنبياء: ٢٣ ولو ثبت للعباد خلق لزم ثبوب شريك ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ لقمان: ١١. وفي ترجمة أبي عبيدة مسلم أبحاث مفيدة.

ومن ذلك أنهم لا يرون لزوم الإمامة في قريش، وهو قول الأنصار وعمر بن الخطاب وأبي ذر من الصحابة، واختاره العلامة الشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيره من العلماء.

ومن ذلك أنهم يوجبون الاستنجاء بالماء بعد البول والغائط، والخلاف معهم في الاستجمار، وهو مأخوذ من قول الله تعالى في وصف أهل قباء ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ التوبة: ١٠٨ فلما سالهم النبي ﷺ عن صفة طهارتهم قالوا: نتبع الحجارة بالماء، والمدح من المولى بشيء يوجب العمل به، كمدح الموفين بالنذر، ومدح النبي إسماعيل عليه السلام ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ مريم: ٥٥ وهو من سنن الفطرة، وثبت من فعل النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم.

ومن ذلك أنهم لا يقولون بالمسح على الخفين، وأن الصلاة لا تجوز به، والمنع مأخوذ من قول الله تعالي ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ المائدة: ٦ وقول النبي ﷺ {ويل للأعقاب ولبطون الأقدام من النار} والحديث في مسند الربيع والبخاري، ووافقهم على ذلك كثير من علماء المذاهب، والخلاف مع المالكية. وقول الاباضية موافق لقول عائشة وأنس وابن عباس، وقالت عائشة: {قطع الله رجلي يوم أمسح على الخفين} وروى القرطبي وغيره من العلماء عن أبي ميسرة أن المائدة من آخر ما نزل ليس فيها منسوخ، وكذا قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع {احلوا حلالها وحرموا حرامها} وآية الوضوء في سورة المائدة، فيلزم العمل بها وترك المسح على الخفين.

ومن ذلك أنهم يبطلون الصلاة بالقنوت فيها، ومنه قول آمين، مستدلين بقوله تعالى ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨ وقول النبي ﷺ {إِنَّ صَلَاتَنَا هَذِهِ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ} وهو موافق لقول الإمام أحمد "من قنت في الصلاة فقد اتبع نفسه هواها"، وفي الموطأ أن ابن عمر كان لا يقنت، وروى أنه بدعة. وقال أبو يعقوب من علماء الاباضية: "إنَّ من صلَّى خلف من يقنت لم تفسد صلاته ولو تعمد الصلاة معه".

ومن ذلك أنهم لا يرون رفع الأيدي مع وبعد تكبيرة الإحرام، ولا ضمها إلى الصدر؛ إذ لم يثبت معهم هذا من فعل النبي ﷺ وكذلك روى اللخمي والزرقاني عن إمامهم مالك بن أنس، وكانوا كذلك في الأندلس، حتى توعَّد بعض ملوك

الأندلس وهو مالكي المذهب أن يقطع يد من يرفع يديه في الصلاة، ذكره في نفح الطيب، ويؤيده ما رواه الحاكم في المدخل من حديث أنس "من رفع يديه في الصلاة فلا صلاة له" وفي مسلم وأبي داود عن جابر ابن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: {مَا لِي أَرَاكُمْ رَافِعِي أَيْدِيكُمْ كَأَنَّهَا أَذْنَابُ خَيْلٍ شُمْسٍ اسْكُنُوا فِي الصَّلاَةِ} وهو شامل لكل رفع، والحديث في مسند الربيع.

ومن ذلك أنهم يوجبون القصر في الصلاة لمن تعدى فرسخين عن وطنه مسافرا، والفرسخ ثلاثة أميال، والميل أربعة الآف ذراع، والذراع ذراع المسافر، وقيل الأوسط، والذراع من العظم الذي يكون من خلف متصلا بالعضد إلى آخر الإصبع الوسطى، وقيل أربع وعشرون إصبعا، وقيل الميل ألف باع، والباع أربعة أذرع، وهو قول أبي حنيفة، وأطال الاحتجاج له صاحب زاد المعاد. وأجمعت الأمة أنه من فعل النبي ﷺ إذا سافر ومدة إقامته في منى وفي مكة، بل ويجمع بين الصلاتين قصرًا في منى، وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه النبي ﷺ ما بالنا نقصر الصلاة ونحن آمنون، والله يقول {إن خفتم} فقال له {صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا صَدَقَتَهُ} رواه الجماعة إلا البخاري. وفي البخاري ومسلم عن أنس خرجنا مع رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة، فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا إلى المدينة. وقال مالك وحماد بن سليمان: يعيد الصلاة من أتم في السفر كما هو المذهب.

ومن ذلك أنهم يفسدون صيام من أصبح جنبا عملا بقول النبي ﷺ {من أَصبحَ جُنبًا أَصبحَ مُفطِرًا} والحديث رواه الربيع بن حبيب والبخاري ومسلم

ومالك في الموطأ، وبهذا قال عروة والحسن البصري وإبراهيم النخعي وطاوس وهو أحد قولي الشافعي.

ومن ذلك قولهم بتحريم المزني بها لمن زنى بها، عملا بقوله تعالى ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٣ وبأحاديث كثيرة رواها جابر بن زيد وغيره عن النبي ﷺ والصحابة. والقول بالتحريم قال به عدد من الصحابة منهم ابن مسعود وعائشة والبراء بن عازب وأبو هريرة وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبدالله.

ومن ذلك أن الرضاع قليله وكثيره يحرم التزاوج، وهو ظاهر القرآن. ولم تصح معهم الأحاديث المروية بتحديده، وهو قول مالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك ووكيع وكثير من الصحابة كما قال الترمذي.

ومن ذلك أنهم لا يحكمون باليمين والشاهد للمدعي، وهو قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي، عملا بالآيات ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ البقرة: ٢٨٢ ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ الطلاق: ٢ والأحاديث المروية في ذلك لم تصح معهم وما صح مؤول.

ومن ذلك أنهم يحرمون حلق اللحية، وقد أجمع على توفيرها الصحابة، ونهى رسول الله ﷺ عن حلقها وقال {جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَاعْفُوا اللِّحَى وَخَالِفُوا الْمَجُوسَ} وفي رواية {وَخَالِفُوا أَهْلَ الْكِتَابِ} وفيه تشبه بالنساء، ونهى النبي ﷺ عن التشبه بهن، وفيه أن توفيرها من الخصال العربية التي أمر رسول الله ﷺ

بالمحافظة عليها بقوله {إنما بُعِثتُ لأتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق} واللحية عربية والحلق أعجمي.

وَمِن ذَلكَ تَحريمهم شُربَ الدُّخانِ أَخذًا مِن قَولِهِ تَعَالَى ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ الأعراف: ١٥٧ وَهُو مِنَ الخَبَائثِ المبعُوثِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِتحرِيمِهَا، وَقَد اتَّفقَ الأطِبَّاءُ على أنَّه مَضَرَّة، وتَجَنُّبُ المضرةِ وَاجبٌ شَرعًا وعَقلًا، وفيه إِضَاعَةٌ للمَال، وَقد نَهى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَن إِضَاعةِ المالِ.

قد استراح القلم من جولانه

مساء يوم الجمعة الموافق تسعة وعشرين من شهر محرم الحرام

من سنة أربع وتسعين وثلاثمائة سنة بعد الألف

من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

نسخته لمؤلفه الشيخ العالم الجامع بين علمي المعقول والمنقول

الشيخ سالم بن حمد بن سليمان بن حميد الحارثي

وأنا العبد لله الفقير إبراهيم بن يعقوب بن سالم بن حمد بن سعيد البراشدي

بيده.

فهرس المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم ١

الحمد لله على الدوام والشكر له على الفضل والانعام والصلاة والسلام على محمد سيد الانام وعلى آله وصحبه الكرام وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم القيام اما بعد فان قطر عمان قد مضت له برهة من الدهر وهو في عالم الخفاء منقطعا حتى عن شقيقاته من الاقطار العربية ومن اجل ذلك خفيت مساحات عمان واسماء نواحيها وبلدانها على اكثر المجاورين لها فضلا عن النائين عنها مع كونها واسعة الاطراف كثيرة النواحي شامخة الجبال تشقها الاودية الكبيرة تشتمل على بلدان كبيرة وقرى كثيرة وقد ذكر حدودها ومساحتها الجغرافية الشيخ الاديب الكاتب محمد بن عبد الله بن حميد السالمي في كتابه نهضة الاعيان في تاريخ عمان وكذلك كتب عنها الشيخ القاضي الفقيه سالم بن حمود السيابي في كتابه العنوان وبها الكفاية في ذلك ولكنهما لم يكتبا عن داخلية عمان شيئا فطلب مني حضرة فضيلة الشيخ الوالد العلامة سالم ابن حمد بن سليمان الحارثي ان اكتب هنا ما يحضرني من اسماء نواحيها المعروفة وحوزاتها الموصوفة فتلبية لهذا الطلب اقول ان ارض عمان ثلاثة اقسام فما كان من قبلها محاذيا للخليج العربي يسمى الباطنة وذلك من بلد السيب الى خطمة ملاحة غربا وما ارتفع عن الباطنة جنوبا وقرب من الجبال يسمى الحجر نسبة الى حجر الجبال واكثر بلدان عمان حجرية لانها تقع في هذا القسم حتى مسقط ومطرح ووادي بوشر ووادي حطاط ووادي الطائيين ووادي دما ووادي ضيقه ووادي اسماعيه وخبه ووادي طيوي وقلهات .

الى حدود صور كلها تعدّ تجريبية لانها تكتنفها الجبال والحزوم والكدى[2] وما انفصل عن الجبال من الناحية الجنوبية فهي عندهم معروفة بناحية الرمال واكثر سكان هذه الناحية الاعراب اصحاب المواشي وليس في هذا القسم الرملي شيء من البلدان لقلة المـاء فيه وهذا القسم واسع الصحارى والمفازات يتصل بالربع الخالي غرباً وبحدود ظفار جنوباً وقد اصطلح اهل عمان فيما بينهم على قسمة تسمية نواحيها للتمييز فسمّوا ما كان شرقي بلدان العوامر الى آخر حدود بدية بالشرقية كما ان اهل الشرقية يسمون ناحية بلد العوابي ووادي بني خروص ووادي الترستاق بالغربية وكذلك يسمي اهل عمان سمائل الفيحاء واظن هذه التسمية خاصة بسمائل وحدها دون سائر البلدان التي بواديها ولعلها سميت بذلك لما يفوح فيها من روائح الثمار والازهار حينما تهب نسمات الاسحار ويسمونه ازكى جريان باسم صنم كان بها في الجاهلية ومن اشهر نواحي عمان ناحية الجوف بجيم معجمة لانها تضم جملة قرى وبلدان وحدها من المشرق نجد السحامة ومن المغرب نجد المخاريم ونجد المصلى ومن الجنوب بلد بسيا ومن الشمال الجبل الاخضر وفيها من البلدان الكبيرة إمطي وإزكى والبركة وفرق ومنها كان الامام ابو الشعثاء جابر بن زيد صاحب البحر ابن عباس وتلميذه رضوان الله عليهم وقبر ابنته الشعثاء موجود بها الى اليوم ونزوى التي تسمى بيضة الاسلام مأوى اكثر ائمة عمان ظهوراً وبطوناً وبها بلد العلامة الشهير

---

(1) او لسعتها كما يقال للمكان الواسع مكان أفيح

٢

ابي محمد عبد الله بن محمد بن بركة وفيها معامل العباءات الصوفية الغليظة واواني الخزف وكلاوات الماء الذي يُبَرَّد فيها للشرب واوعية التمر
وبالقرب منها قصر يبرين ويقال للبلد الذي بني فيه في عرف العامة جبرين الذي بناه الإمام بلعرب ابن الإمام سلطان بن سيف اليعربي مالك
وعلى عشرة اميال من يبرين تقع بلدة بسيا بضم الموحدة من جهة الجنوب وهي بلد الشيخ العلامة ابي الحسن علي بن محمد البسيوي
اشهر تلاميذ الشيخ ابي محمد السليمي البهلوي الذي مر ذكره وفي ناحية الجوف حوزة كدم بضم الدال وهذه الحوزة تقع شمالي بهلا
الى سفح الجبل الاخضر يجمع بها عدة قرى منها بلاد سيت والحمراء والقرية والقلعة والعارض وذات خيل والعارض هي بلد الامام الشهير والعلامة
الكبير ابي سعيد محمد بن سعيد الناعبي الكدمي وفيها قبره وهو من معاصري ابي محمد وقد ادرك ايام الامام سعيد بن عبد الله بن محمد بن محبوب
وهو شاب وقد تلمذ بنزوى على الشيخ محمد بن روح بن عزي السمدي النزوي وعلى الشيخ ابي الحسن محمد ابن الحسن السعالي النزوي ومن ناحية الجوف
ايضا وادي سيفم واعلاه البلد المسمى الوادي الاعلى والعيشي والغافات وسيفم التي ينسب اليها هذا الوادي والجبيلة وهي غير بلد الجبيلة
التي بوادي بني جابر من اودية سمائل، وحوزة الارض التي فيها بلد عبري والسليف والعراقي والعينين والدريز تسمى الظاهرة لظهورها
عن الجبال التي تكتنف ارض الجوف ويقال ان بلد بات ومقنيات والعارض وكهنات والهيال الى بلد ينقل كلها من بلدان الظاهرة
وخصت العينين والعراقي والغبي الجائدة باسم ارض السر ولست

٤

اعرف سبب تسميتها بذلك وقد كان الكتاب السابقون الذين
ادركوا عصر ايمة اليعاربة اذا نسخوا كتابا يكتبون في آخره هكذا
نسخته وانا فلان بن فلان في يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا ببلد
كذا من ارض الشر هذا اذا كتبوه في احدى القرى الثلاث المذكورة واما
الحوزة التي تضم بلدان البريمي من جبل حفيت شمالا الى حدود بلدان
بني كعب فهي تسمى في عرف القدماء ارض الجو وقد يغلط كثير
من العمانيين فيسمونها توام او توام هي بلد صحار مما يلي البحر
وكانت بلد راس الخيمة تسمى في القديم جلفار وقد ضبطها
بعضهم بضم الجيم وتشديد اللام المفتوحة ويجوز تخفيفها ساكنة
وبعضهم يسميها الصير باسم موضع فيها معروف بهذا
الاسم الى اليوم وكانت علاية الرستاق والعوابي تسميان سوني
القديمة باسم الجبل المطل عليهما ثم صرفت هذه التسميه الى العوابي دون
علاية الرستاق وقد خصوا به العوابي القديمة المنفصلة عن مجرى الوادي
الى الجهة الشمالية وهذه التسمية باقية لها الى اليوم في الصكوك التي
يكتبونها في بيوعهم اذا كان الصك في اقرار بيع او هبة او وقف
او وصية فيكتبون بعد كتابة الاقرار وتعيين البائع والمشتري
وذكر المبيع من بلد العوابي سوني القديمة ولست احفظ في حوزة
وادي المعاول ونخل والاجالة والطو تسمية جامعة غير اسماء الاعلام
المميزة لهذه البلدان بعضها من بعض مع ان وادي المعاول
بما فيه من البلدان ونخلا من احسن بلدان عمان الداخليه

٥

واطيبها هوآء وان ناها الى البحر الآن بلد نخل كانت يقال
لها نخل شاذون ولست ادري هذه الاضافة لاي مناسبة
ولعل شاذونا اسم رجل مشهور بها سابقا فاضافوها اليه ،
وكانت بلد السيب العامرة تسمى دُمَى بوزن جمع دُمْية
وهذا الاسم يطلق على موضع معروف بها الآن ولعلها سميت
كذلك باسمه من تسمية الكل باسم الجزء وقد اوّل بعضهم
تسميتها بذلك لكثرة ما كان يراق بها من الدماء ايام كانت
فارس والعراق والسند بالبوارج (١) تعدوا على عمان وقد كانت يومئذ
موضع رباط اهل عمان تجاه من يقابلهم من جهة البحر بالعدوان
حتى قال بعض علمآء ذلك العصر افضل الرباط اليوم رباط المسلمين
او رباط العدوة بدُمَى (٢) وان ثبت هذا التاويل فيكون ضبط هذا
الاسم بكسر الدال مشتقا من الدم المراق بها او هو جمع دم
فقصر لتانيث الاسم وقيل ان وادي بوشر كان معدودا
من اودية حطاط وحطاط بكسر الحاء المهملة في عرف الناس
وليس في شيئ من اوديته بلد تسمى حطاطا الآن فما ادري
لاي شيئ سمي هذا الوادي بذلك والبلدان التي وقعت
في الاودية الجبلية مما يلي الباطنة من الخابورة الى صحم يطلق
عليها اسم الجدّان واكثر هذه البلدان في وادي شافان
ووادي الصرّمي بفتح الصاد المهملة وتشديد الرآء المفتوحه
واليها ينسب الحواري بن عبد الله الحدّاني الذي نصب اماما

(١) البوارج مراكب العدو واتخذ الامام غسان سفنا لقتالهم تسمى الشذا
(٢) وكان في الرباط عدد من العلماء جمع لغنا واهم جامع سمي كتاب الاتباح معروف

٦

ايام الفتنة الواسعة النطاق في عمان بعد وفاة الامام الصلت
ابن مالك الخروصي ومن البلدان التي تجمعها اسم الاودية
بعمان وادي الجزي ووادي عاهن ووادي بني عمر ووادي الحواسنة
ووادي الجهاور ووادي الحيملي ووادي بني غافر ووادي السحتن
ووادي بني عوف ووادي الرستاق ووادي بني خروص ووادي
بني جراص ووادي مستل بوزن محمل ووادي بني رواحه ووادي
بني جابر ووادي الطائيين ووادي محرم ووادي عندام ووادي
دما وفي الشرقية اودية كثيرة لم تحضرني اسماؤها ويقال ان بندر ووادي مجان البدار
صور تعد من ناحية الشرقية ومنتهى نواحي عمان من الشرق
الناحية الشهيرة ذات البلدان الخصبة الكبيرة ناحية جعلان
وفي صحاريها الغابات الكثيرة فهذا ما حضرني ذكره وقد فاتني
كثيرا ان لم يكن فاتني الاكثر لاني كتبت هذا على عجل وانا بمدينة
القاهرة الزاهرة العامرة وكان الشيخ الولد العالم الجليل
سالم بن حمد بن سليمان الحارثي طالب هذه العجالة معنا
بالقاهرة فكان هذا من اكبر الحظ ودواعي الانس والسرور
والحمد لله الملك الغفور والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى اله
وصحبه وتابعيهم باحسان الى يوم الدين وذلك بتاريخ ليلة
٢٥ ربيع الاول سنة ١٣٩٤ هـ وقد كان بمعيتي ولدي عبد العزيز
ابن ابراهيم اهـ

ابراهيم بن سعيد العبري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحارثي
الى حضرة فضيلة شيخنا الوالد العلامة سالم بن حمد بن سليمان
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد فاني قد كتبت لك في
اقسام بلدان عمان ونواحيها ما حضرني اسمه وتيسر لي
رسمه اجابة لطلبك واتماما لرغبتك اذ لا يمكننا غير اسعافك
فيما تريده منا من المساعدة على الخير الذي هداك الله اليه
واعانك عليه فهذا هو يصلك الآن فانظر فيه فان رأيت تقصيرا
فاكمله او زيادة فاحذفها او غلطا فاصلحه وارجو منك ان تعتني
به عند الطبع لتنبه على الكلمات الموضوعة بين الاسطر لاجل
زيادة او بيان لئلا يشكل على القائم بامر الطبع فيقع الغلط والله
يوفقك ويمدك بعونه وعنايته والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
القاهرة يوم ٢٥ ربيع الاول ١٣٩٤هـ الموافق ١٧/٤/١٩٧٤
محبك ابراهيم بن سعيد العبري بيده

بعد تمام طبع الكتاب وصلتني رسالة الشيخ ابراهيم
محمد بن الله عند وصولها لتكمل الفائدة بها
سالم


تم بحمد الله